

ديوان ابن الوردي

للشيخ العلامة الأديب الألمعي

زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر الوردي الشافعي

(٦٩١ - ٧٤٩هـ)

تحقيق

الأستاذ الدكتور: عبد الحميد هنداوي

الأستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة



اسم الكتاب : ديوان ابن الوردي
اسم المؤلف : زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر الوردي الشافعي
اسم المحقق : د. عبد الحميد هنداوي

رقم الإيـــداع : ٥٧٦٥ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولى : ISBN : 977 - 344 - 142 - 3

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

دار الآفاق العربية
نشر - توزيع - طباعة
٥٥ ش محمود طلعت - من ش الطيران
مدينة نصر - القاهرة
تليفون : ٢٦١٧٢٣٣٩ - تليفاكس : ٢٦١٠١٦٤
e-mail: daralafk@yahoo.com




ديوان ابن الوردي


THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT


بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الديوان

الحمد لله خالق الإنسان، ومكون الأكوان، ومعلم البيان، وأصلي وأسلم على أفصح الخلق لسانًا، وأحسنهم بيانًا محمد وعلى آله وصحبه إقرارًا وعرفانًا.

وبعد؛ فإن الناظر في هذا الديوان يجد أنه أمام بحر زاخر تتلاطم أمواجه، وتقذف بالجواهر واللآلئ، فما بين مقامة شريفة، وحكمة لطيفة، ومدح عفيف، وفخر منيف، ورثاء شريف، وهجاء ظريف، ومثل طريف، ووصف يعاينه الكفيف.

كلٌّ ذلك بلفظ قد سهل في جزالة، ورقّ في فخامة، قد نادى بنداوته، وصاح بفصاحته، وبان بيانه، وبلغ القلوب ببلاغته، يصور دقيق المعاني، ولطيف الفكر، ويرسم ببديعه أجمل الصور.

وفي الحقيقة لا يسعفني البيان بتصوير حقيقة البستان، فمهما صورت لك ما فيه من زهر منمق، وأيك مزوق، فلن أستطيع نقل الصورة على ما هي عليه من الإبداع والجمال، فدونك بستان الورد في شعر ابن الوردي فنزّه فيه الطرف، وتنشق الشذا والعرف، لتعرف حقيقة الوصف، وأنه دون واحد من ألف.

إن المطلع على ديوان هذا الأديب البارع يجد نفسه أمام رجل أديب ناقد لبيب بارع، فطن فقيه ديّن ذي اعتقاد حسن، آخذ بحظه من جميع العلوم.

فديوانه لا يخلو من النظرات البلاغية والنقدية الدالة على حسّ أدبي نقدي، وذوق مرهف.

وشعره دالّ على اتساع في مختلف العلوم العربية والدينية من نحو وصرف وفقه ولغة وعروض وإملاء ومعان وبيان وبديع ومنطق وتوحيد وكلام وحساب وجبر وهندسة وبلدان، ومن عجب تجده على حسن اعتقاده وزهده وعفته آخذًا في جميع المعاني، ضاربًا في كلٍّ منها بسهم.

ومما يدل على حسن اعتقاده أنه على تصوفه وثنائه على أهل الطريقة منهم، فإنه ينكر عليهم زيارة المشاهد، وما يأتون عندها من البدع والمنكرات، والوقوع

في الشرك والضلالات.

ويشهد لحسن اعتقاده وسلفيته وسنيّة مذهبه رثاؤه لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– وإحسان الثناء عليه، وانتصاره له، وحملته على مناوئيه غير هيّاب لبطشهم ولا سلطانهم، منكرًا عليهم سجنهم له حتى لقي ربّه، وذلك في مرثيّة له من أروع قصائده.

ومما يشهد لحسن سلوكه واعتقاده كذلك اعتذاره في صدر ديوانه عمّا أورد فيه من وصف عذار الحبيب وخدّه، ونعت ردفه وقدّه.. إلخ، مبينًا أنه إنما أورد ذلك على وجه امتحان القريحة؛ أي على سبيل التدرب ومزاولة البراعة والبيان لا أكثر، ومحبة في إيراد المعاني المبتكرة، واللمع المليحة.

فيقول في صدر كتابه: "وقد يقف الناظر في مجموعي هذا على وصف عذار الحبيب وخده، ونعت ردفه وقده، وشكوى عشقه وصده، وذم الشيء وحمده، ومدح الشخص لرفده، وجزر القول ومده، فيظن لذلك بي الظنون، غافلاً عن قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ**﴾، وإني إنما قلت ذلك على وجه امتحان القريحة، ومحبَّة في المعاني المبتكرة واللمع المليحة".

وسواء قبل الناظر عذره أم لم يقبل، فاعتذاره يدل على تحرّجه وصلاح دينه.

هذا، وقد جمع ابن الوردي في شعره ونثره فنون البلاغة من المعاني والبيان والبديع في الغالب الأعم، وأكثر إكثارًا عظيمًا من السجع والجناس والمشاكلة والمطابقة والمقابلة والاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والحديث الشريف وروائع الشعر والنثر، كما غلب على شعره استخدام التورية وحسن التعليل اللذين أحسن التصرف فيهما تصرفًا عظيمًا، وقد أشرت إلى ذلك في تعليقي على كثير من أبياته في هذا الديوان.

أما عن عملنا في هذا الديوان:

فلم نأل جهدًا في ضبط ألفاظه، وتحرير أصله، وبيان فروق النسخ بين نسخه المطبوعة المتداولة، لما في ذلك من فائدة يعرفها أهل العلم بهذه الصناعة.

كما نبهنا على بعض أخطاء نسخه، وأهملنا ذلك في الغالب واكتفينا بإثبات النص على الصحة والصواب.

وقـــد تم تصحيحه وتدقيقه على النسخة المطبوعة بالمكتبة الكمالية، وقد كتب في آخرها:

انتهت مجموعة الرسائل الكمالية رقم ١١.

يقـــول الفقير لفضل مولاه المتعال، محمد سعيد بن حسن عبد الحي كمال: الحمد لله الـــواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوًا أحد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

أما بعد، فقد تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه طبع هذا المجموع القيم المشتمل على:

١-لامية العرب للشَنْفَرىَ.

٢-شرح هذه اللامية المسمى "أعجب العجب في شرح لامية العرب" لعلامة زمانه في علم العربية محمود بن عمر الزمخشري.

٣-المقــصورة الدريديـــة مع شرحها لعلامة زمانه أبي بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي.

٤-قصيدة المقصور والممدود المنسوبة لابن دريد.

٥-ديـــوان ورســـائل الـــشيخ العلامة زين الدين أبي حفص عمر بن مظفر بن عمر المشهور بابن الوردي.

٦-ديـــوان الـــسيد الشريف أبي الحسن إسماعيل بن سعد بن إسماعيل الوهبي الحسيني المصري الشافعي المعروف بالخشاب.

وكـــان صـــاحب مطبعة الجوائب طبع هذه المجموعة سنة ١٣٠٠هـــ، الطبعة الأولى بالقـــسطنطينية وإنـــي إذ أعيد طبعها اليوم بعد مائة عام تقريبًا سنة ١٣٩٩هـــ بالقاهرة، أشكر الله عز وجل على أن وفقني للقيام بطبعها مساهمة في نشر العلم وقيامًا بواجب نشر المعرفة والله أسأل أن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

مكتبة المعارف محمد سعيد بن حسن عبدالحي كمال الطائف- شارع الكمال ١/١/ ١٣٩٩هـ

كما استعنا في مراجعة بعض ألفاظه بمخطوطتي ديوان ابن الوردي، ومقاماته بمعهد المخطوطات رقم ١٦٩٦، ٧٨٩ أدب.

ولما كانت أغلب ألفاظه سهلة متداولة على ألسنة الشعراء، فلم نكثر بشرح الألفاظ والكلمات إلا ما ظهرت صعوبته، وأشكل معناه.

كما صدّرنا الديوان بهذه المقدمة التي ذيلناها بترجمة للشاعر.

والله نسأل أن ينفع بهذا الديوان، وبما فيه من القيم والحكم والأدب، وأن يزيد محبيّ العربية حبًّا، والمقصر في طلبها طلبًا.

كما نسأله سبحانه أن يجزل لنا المثوبة في العناية به، وأن يصلح القصد والنية وأن يجزي كلًّ من ساهم في إخراجه خير الجزاء، إنه سبحانه خير مسئول وخير مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وكتب

عبد الحميد هنداوي

الجيزة في شوال ١٤٢٦هـ

والخلل

والخلل ولقد صدقت خبر جهين وصدقت [illegible]
خبرك وخبرك وخاب شرك وشرك الطلا بالخمر وشبعة [illegible]
وارتكابا للمآثم حتى على شعر فقلت بأبي أنت وأمي أوصل الخبر إلى
فهمي فقال لقد أفتى المفتون أن مشاهد المشاهد مفتون وها قد
جردت من دار العدل المعمور لأعيب حاضري المشاهد وأزري على زائري
الدثور شعر

وأصدهم عن بدعة عظمت [illegible] السما
وأردهم عن خطة لعنت فالعن [illegible] الخطا

قلت أيها الأمير الجليل هل أبدي لهذا التحريم دليل فقال قد
ذكر لذلك أدلة تدع حاضري أهلها أذلة منها شد رحالهم إلى غير
المساجد الثلاثة ومشاركتهم أهل الكتاب في الأعياد و[illegible]
وتشبههم بالمجوس في إضرام النار وإضاعة المال المنهي عنها في
الأخبار واختلاط النساء بالرجال وركوب الأخطار والأوجال و
[illegible] عن العبادات والجماعات وإقبالهم على اللعب والشهوات ومحاكاتهم
الجاهلية في أسواقها وإحداث البدع في الثرية بالبين

له الصبح فتنفس الصعدا وجنق انفلق له الفجر زهرا وتحكيما حتى
اظهر الله تعالى انه من النصارى الضالين الجائرين فصدوا بيه
الجامع والمشاهد ومدارس العلم والمساجد لاهل دمشق بانها لا اهل
بلاد الاسلام بمرمتها بمكاتبات من ملوك الفرنج واشباههم
ليطفئوا نور الله بافواههم وجهزوا لهم من البحر سكاكين مسموما
ليذبحوا بها الذبايح للمسلمين في ايام معلومات وحرضوهم على حريق
المحرمين عنادا وكفرا وضمن لهم الحبشون بذلك الجنة وآكل الحر
فعل من يعبد ما صوره بيده في الحائط ويصلي ملطخا بالبول والغائط
فغيبهم الله عن صوابهم وجنبوا جنابا وكان جناب الدهر عن
جنابهم فتهيب من تعيب عن لبهم وقال لا تنزموا النصارى بعد
التهم وخوف من انتصار ملوك البحر لاهل دينهم وجعلهم من خدم
شار ملاعينهم فانشد بعض الفضلا بيت ابي العلا **شعر**
اعباد المسيح يخاف صحبي ونحن عبيد من خلق المسيحا
فما كان الان نايب الشام اخذته الغيرة للدين والاحتشام
دامسك منهم اهل الريبه وقررهم فاقروا بتفاصيل هذه المصيبه فلما

الورقة الأخيرة من مقامات ابن الوردي وشعره

٧٨٩ أدب

اسم الكتاب المقامة [illegible] والمقامة [illegible]

اسم المؤلف زين الدين ابن الوردي

تاريخ النسخ القرن الثامن

عدد الأوراق

الملاحظات

آخر النسخة

تمت تصويرها بدار الكتب [illegible]
في يوم [illegible] ٢٦ [illegible] ١٢٢٧هـ
الموافق ٧ [illegible] [١٩٤٩]




تقرير موجز عن فنون البديع
في شعر ابن الوردي ونثره

إن المطلع على شعر ابن الوردي ونثره يجد أنه يطوف في بستان تجتمع فيه شتى فنون البلاغة لاسيما المعنية بالتصوير والتزيين كالصور البيانية والفنون البديعية.

فالسجع يعد سمة ظاهرة في مقاماته ورسائله كقوله:

-من سالمه الناس وسالمهم استغنى عن الهجاء والقدح

- وثارت النار لأخذ الثار.

وكما يشيع السجع في نثره يشيع الجناس في شعره فمن أمثلته في الشعر لديه قوله:

السكْرُ كلُّ السكرِ في كاساتِه	والسرُّ كلُّ السرِّ في إبريقِه
رَفَعَ الكلَّ عنِ الكلِّ وَمَنْ	كلَّ في الدنيا تحامى كُلَّ كُلْ
لو تقنَّعتُ أتى رزقي على	رغمِهِ لكنْ خُلقنا مِنْ عجلْ
صارَ الرباطُ كاسمِه	والخانقاهُ خانقَة
قَدْ حمى[1] المولى حماةَ بفضلِه	فدمشقُ تحسدُها على تمكينها
ساقٍ يسوقُ إلى السياقِ محبةً	ويرى شفاءَ حريقِه برحيقِه[2]
ودارِهِمْ في دارِهِمْ وحيِّهم	في حيِّهم وأَرْضِهم في أرضِهِمْ

- ومن الجناس لديه في النثر :

- القصور من القصور.

-وأعلاها على أعلاها.

-ويمد لهم خِوانًا، يجمع فساقًا وخُوَّانًا.

-فوا أسفاه على منبج من مدينة جليلة، أصبحت دمنة وكانت الألسن عن وصفها كليلة[3].

---

(١) فيه جناس بديع بين حمى وحماة.

(٢) فيه جناس ظاهر وهو كثير في كلام المصنف.

(٣) فيه مشاكلة وتورية بكليلة ودمنة وليس هو المراد.

ومن الفنون الأثيرة لديه كذلك فن التورية ، فمن أمثلته لديه:

وإنَّ في عمـــرٍ عـــدلاً ومعـــرفةً فكـيفَ يُـصْرَفُ عـن هذا بلا سببِ

-وإذ قد أصغيتم لبياني، فسآتي بالبديع في شرح هذه المعاني.

-وسيوف بحوثه ماضية فهي على الفتح تبنى.

-موالاة يمتنع صرفها لاجتماع العدل والمعرفة.

- لا جرم شمر السيف وصقل قفاه، وسقي ماء حميمًا فقطع معاه، يا غراب البين، ويا عدة الحين، ويا معتل العين.

-حتى كاد يحصل منه الياس.

-فلولا أن هذا الشاب أسد لما قدر على السبع.

- فهي أم أربعة وأربعين.

-وينهـى بعـد دعائه المبني على الفتح، وثنائه المنصوب على المدح، وشوقه الذي ارتفع فاعله، وتوقه الذي لا يكف ولا يلغي عامله.

- فما أحق هذا الجبر بمقابلة الثناء عليه، وأن يمد المملوك لهاتين اليدين يديه، ومن كرامات مولانا أنه أصبح جابرًا بكاسرين.

- ويجمل نظراءه ببقائه فقد سبقهم أبو بكر بشيء وقر في صدره(١).

- من أمثلة التورية بمصطلحات علمي النحو والصرف

-يـا سـائلي عـن الكـلام المنتظمْ ذاكَ كـلامُ مَـنْ هـويتُ لا عُـدِمْ

-فكـلُّ مـا يقـولُ فـيهِ العـذَّل فإنَّـهُ منكَّـرٌ يـا رجـلُ

-في صـدغهِ للحسْنِ آيـاتٌ تُخطّ وقـال قـومٌ إنَّمـا الـلامُ فقـطْ

-رمَّانُـهُ غـضٌّ فـلا يمـشي فرطْ إذْ ألـفُ الوصـلِ مـتى يـدرجْ سقطْ

-صَـرَفْتَهم عـنْ ربعهـا إذْ أضفْتَهُمْ إلى الـذلّ والمـصروفُ يدخلُـهُ الكسرُ

---

(١) واضح أن الإجازة بكتاب "بهجة الحاوي" وهو كتاب فقهي فلذا اشتملت على التورية بكثير من مسائل الفقه وأبوابه وكتبه.

وكذلك حسن التعليل:

ومن أمثلته لديه:

-وإنْ يـستكدّروا يـوماً فَعُـذْراً ... فـإنَّ القـومَ مـنْ مـاءٍ وطـينِ

-فمـا زادوا الـصديقَ على سلامٍ ... لهـذا سُـمِّيَتْ دارَ الـسلامِ

-إذْ كـلُّ ذي مخلـبٍ ونـابٍ ... يعـدو بـه لا يحـلُّ أكلُـهْ

وكذلك الطباق كما في قوله:

وخلَتْ قلوبُ قصورِها فاستضحكتْ ... إذْ عـاشَ شـاكرُها وماتَ كفورُها

-فما أحق هذا الجبر بمقابلة الثناء عليه، وأن يمد المملوك لهاتين اليدين يديه، ومن كرامات مولانا أنه أصبح جابرًا بكاسرين.

وكذلك القلب كما في قوله:

- وزريـت بقـصور مادحيها، وتمثلت بمادحي قصورها، وزرت قبور صالحيها، وتوسلت بصالحي قبورها[1].

-وكذلك المشاكلة كما في قوله:

فـوا أسـفاه على منبج من مدينة جليلة، أصبحت دمنة[2] وكانت الألسن عن وصفها كليلة[2].

كما يكثر لديه الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والحديث والشعر:

فمن أمثلته في القرآن:

- فكيف الخلاص، ولات حين مناص.

- وتلوت يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب.

- ففهمناها سليمان.

- وكلفتني شططًا فقلت ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا.

---

(١) التوسـل بالمقبورين بدعة مخالفة للعقيدة الصحيحة، وفي الجمل السابقة نوع من القلب وهو من فنون البديع.

(٢) فيه مشاكلة وتورية بكليلة ودمنة وليس هو المراد.

- فأشفق الناس مـــن مس سقر. -وقد أويت من دمشق إلى ربوة ذات قرار ومعين.

- ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخًا. -ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا.

-وتنبهت عينه لمصر فإذا هم بالساهرة. -بل مكر الليل والنهار.

ومن أمثلته في الحديث: وارحموا عزيز قوم ذل.

ومن أمثلته في الشعر:

-قفـــا نبكِ مِنْ ذكرى حبيبٍ ومنزلِ	لقـــد هـــزلَتْ حـــتى بدا مِن هزالِها
-علـــى أريحـــيٌّ مـــذْ سمعتُ بذكره	أُغالـــبُ فيهِ الشوقَ والشوقُ أَغلَبُ[(١)]
-زلـــزلةٌ قـــدْ وقعـــتْ في العقـــبهْ	ترضـــى مـــن اللحـــمِ بعظمِ الرقبهْ[(٢)]
-بـــسمَتْ فأعجـــبني تبـــسُّم ثغرِها	فلـــثمتُ فاهـــا آخـــذاً بقـــرونِها[(٣)]
-يا برقُ قلْ لي ويا سطرَ السحابِ ترى	الـــسيف أصـــدقُ أنباءً أمِ الكتبُ[(٤)]
-كَمْ كسَّرتْ أصلَ تفاحٍ وكم حَطَمَتْ	ورداً وعـــضت علـــى العنَّاب بالبرد
-اللّـــهُ قـــدَّرَ رحلـــتي عـــن ربعِها	يـــا قلـــبُ لا تهلـــكْ أســـى وتجمَّلِ

وبعد فإن المطلع على ديوان ابن الوردي إنما ينـــزه طرفه في رياض مزهرة تجتمع فيها ضروب من الوشي وحلل من الزخرف البديع والبيان الرائق الينيع، فدونك هذا الديوان، فانشق عبيره وأريجه ومتع طرفك ببديع تصويريه وبديعه.

---

(١) تضمين لمطلع قصيدة مشهورة للمتنبي.

(٢) ضمن بيت الراجز:

أُمُّ الحُلَيسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ تَرضَى مِنَ اللَحْمِ بَعَظْمِ الرَقَبَهْ.

وأراد الراجز قلة أكلها، وأراد المصنف هنا أنها مهلكة حيث تأخذ بالرّقاب، ومن ثم فقد جمع إلى التضمين تلك الكناية البديعة.

(٣) ضمن بيته شطر البيت المشهور:

فَلَثَمتُ فاهـــا آخِـــذاً بِقُرونِها شُربَ النَزيفِ بِبَردِ ماءَ الحَشرَجِ

وقبله:

قالَت وَعَيشِ أَخي وَذِمَةِ والدي لَأُنَبِّهَنَّ الحَيَّ إِن لَـــم تَخـــرُجِ

(٤) تضمين لمطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام.

ترجمة المصنف

اسمه ونسبه ومولده:

هـــو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعرّي بن الوردي، يلقب بزين الدين، ويكنى بأبي حفص.

ولـــد ابـــن الوردي سنة إحدى وتسعين وستمائة من الهجرة النبوية (٦٩١هـــ) بمعرة النعمان (بسورية)، ومنها جاءت إليه نسبة المعري[(١)].

شيوخه:

أخـــذ ابن الوردي العلم عن فحول العلماء فأخذ عن القاضي شرف الدين البارزي بحمـــاة، وعـــن الفخـــر خطيب جبرين بحلب[(٢)]، وذكره ابن الألوسي في عداد تلاميذ شيخ الإســـلام ابـــن تيمية الحراني[(٣)]، ويذكر ابن الوردي بعض ما دار بينه وبين شيخ الإسلام — مـــؤكدًا بذلك حدوث التلقي عنه والتعلم على يديه- يقول فيما نقله صاحب "أبجد العلوم": "وكـــنت اجـــتمعت بـــه بدمشق سنة ٧١٥هـــ بمسجده بالقصاعين وبحثت بين يديه في فقه وتفـــسير ونحو فأعجبه كلامي وقبل وجهي، وإني لأرجو بركة ذلك، وحكي لي عن واقعته المشهورة في جبل كسروان[(٤)]، وسهرت عنده ليلة فرأيت من فتوته ومروته ومحبته لأهل العلم

---

(١) انظـــر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني- ط دار الكتب العلمية- بيروت- (١١٥/٣)، والأعـــلام للزركلي- ط دار العلم للملايين- (٦٧/٥)، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي- ط المكتبة العصرية وتصحفت فيه "المعرّي" إلى "المصري"- (٢٢٦/٢).

(٢) الدرر الكامنة- (١١٦/٣).

(٣) جـــلاء العينين في محاكمة الأحمدين لابن الألوسي البغدادي- (٣٥) ط مطبعة المدني- القاهرة- (١٣٨١هـــــ-١٩٦١م) نقلاً عن أصول الفقه وابن تيمية لصالح بن عبدالعزيز- الطبعة الأولى- (١٤٠٠هـــ-١٩٨٠م)- (٨٩/١).

(٤) كان بهذا الجبل قوم بغوا وخرجوا على الإمام وأخافوا السبل وعارضوا المارين فحث شيخ الإسلام ولي الأمـــر على قتالهم فتجهزت الجيوش لقتالهم، وأتم الله النصر عليهم وأجلى الجبل من البغاة، وكـــان من أصعب الجبال وأشقها، مما أخاف الولاة السالفين بمداهمته، فكان الخير على يد شيخ الإسلام بفضل الله [العقود الدرية- لابن عبدالهادي- (١٩٥)].

لاسيما الغرباء منهم أمرًا كثيرًا، وصليت خلفه التراويح في رمضان فرأيت على قراءته خشوعًا، ورأيت في صلاته رقة حاشية تأخذ بمجامع القلوب[١].

وقال عنه في تاريخه: "هو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، ولا رأى هو مثل نفسه في العلم[٢].

ومما يؤكد هذه الصلة بينه وبين شيخ الإسلام ما نظمه ابن الوردي في رثاء شيخ الإسلام ابن تيمية، فجاء بقصيدة بديعة يقول فيها[٣]:

عثا في عرضِهِ قومٌ سلاطٌ ... لهمْ منْ نثرِ جوهرِهِ التقاطُ
تقيُّ الدينِ أحمدُ خيرُ حَبْرٍ ... خُروقُ المعضلاتِ بهِ تُخاطُ
توفي وهْوَ محبوسٌ فريدٌ ... وليسَ لهُ إلى الدنيا انبساطُ
ولو حضروهُ حينَ قضى لألفَوا ... ملائكةَ النعيمِ بهِ أحاطوا
قضى نحباً وليسَ لهُ قرينٌ ... ولا لنظيرِهِ لُفَّ القماطُ
فتى في علمِهِ أضحى فريدًا ... وحلُّ المشكلاتِ بهِ يُناطُ
وكانَ إلى التقى يدعو البرايا ... وينهى فرقةً فسقوا ولاطوا
وكان الجنُّ تفرق من سطاه ... بوعظٍ للقلوبِ هوَ السياطُ
فيا للهِ ما قد ضمَّ لحدٌ ... ويا للهِ ما غطَّى البلاطُ
هُمْ حسدوهُ لما لم ينالوا ... مناقبَهُ فقد مكروا وشاطوا
وكانوا على طرائقه كسالى ... ولكنْ في أذاهُ لهم نشاطُ
وحبسُ الدرِّ في الأصدافِ فخرٌ ... وعندَ الشيخِ بالسجنِ اغتباطُ
بآلِ الهاشميِّ لهُ اقتداءٌ ... فقد ذاقوا المنونَ ولَمْ يواطُوا
بنو تيميَّةٍ كانوا فباتوا ... نجومَ العلمِ أدركها انهباطُ

---

(١) أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي- ط دار الكتب العلمية- بيروت- (١٣٠٧هـ-١٩٧٨م)- (١٣٦/٣).

(٢) السابق- (١٣٣/٣).

(٣) نقلنا هذه الرواية من أبجد العلوم، وهي موجودة في ديوانه باختلاف يسير وآثرنا أن ننقل هذه الرواية للزيادة في الروايات.

ولكــــنْ يـــا ندامـــةَ حابـــسيه ... فـشكُّ الـشرك كـانَ بــه يُمـاطُ

ويـــا فــرحَ الـــيهودِ بمــا فعلــتم ... فــإنّ الــضدَّ يعجــبُهُ الخبــاطُ

ألمْ يــكُ فــيكمُ رجــلٌ رشــيدٌ ... يــرى سـجنَ الإمــامِ فيُستــشاطُ

إمــامٌ لا ولايــةَ كــانَ يـــرجو ... ولا وقـــفٌ علـــيهِ ولا ربـــاطُ

ولا جـــاراكمُ في كـسب مـــال ... ولم يُعْهَـــد لـــهُ بكـــمُ اختـلاطُ

ففــيمَ ســجنتموهُ وغظْتموهُ ... أمـــا لجـــزا أذيَّــته اشـــتراطُ

وســجنُ الــشيخِ لا يرضــاهُ مثلــي ... ففـــيهِ لقـــدر مـــثلكمُ انحطـــاطُ

أمـــا واللهِ لـــولا كــتمُ ســرّي ... وخـــوفُ الــشرِّ لانحـــلَّ الـــرباطُ

وكـــنتُ أقـــولُ مـــا عـــندي ولكـــنْ ... بأهـــلِ العلـــمِ مـــا حَـسُنَ اشـتطاطُ

فمـــا أحـــدٌ إلى الإنـــصافِ يدعـــو ... وكـــلٌّ في هـــواهُ لـــهُ انخـــراطُ

ســـيظهرُ قـــصدُكم يـــا حابـــسيه ... ونيـــتُكُمُ[1] إذا نُـــصِبَ الـــصِّراطُ

فهـــا هـــو مـــاتَ عـــندكمُ استرحتمْ ... فعاطـــوا مـــا أردتم أنْ تعاطـــوا

وحُلّـــوا واعقـــدوا مـــنْ غـــير ردٍّ ... علـــيكمْ وانطـــوى ذاكَ البـــساطُ[2]

آثاره العلمية:

خلف ابن الوردي الكثير من المصنفات في شتى المجالات، ومن مصنفاته:

١-نَظـم البهجة الوردية في الفقه على الحاوي الصغير للقزويني الشافعي المتوفى سـنة ٦٦٥هـ، وذلك في خمسة آلاف بيت وثلاثة وستين بيتا، أتى على الحاوي الصغير بغالب ألفاظه، وأول هذه المنظومة:

قـال الفقـير عمر بن الوردي ... الحمـــد لله أتم الحمـــد[3]

٢-الرسائل المهذبة في المسائل الملقبة في الفرائض.

٣-ضوء الدرة على ألفية ابن معطي.

---

(١) في نسخة: ونبئكم.

(٢) أبجد العلوم- (٣/١٣٥-١٣٦).

(٣) كشف الظنون- (١/٦٢٧).

٤-شرح ألفية ابن مالك.

٥-اختصر ألفية ابن مالك في مائة وخمسين بيتًا.

٦-تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة نثر فيه ألفية ابن مالك.

٧-"تتمة المختصر" يعرف بتاريخ ابن الوردي.

٨-"الشهاب الثاقب" في التصوف.

٩-"منطق الطير" في التصوف "نظم ونثر".

١٠-اللباب في الإعراب.

١١-"تذكرة الغريب" منظومة في النحو.

١٢-ألفية في تعبير الأحلام.

١٣-تنسب إليه اللامية التي أولها:

اعتزل ذكـــر الأغاني والغـــزل[١]

حياته العلمية وثناء العلماء عليه:

كان ابن الوردي ينوب في الحكم في كثير من معاملات حلب، وولي قضاء منبج فتسخطها وعاتب ابن الزملكاني بقصيدة مشهورة على ذلك، ورام العود إلى نيابة الحكم بحلب فتعذر ثم أعرض عن ذلك ومات بحلب[٢].

وأثنى العلماء عليه ثناءً حسنًا؛ فقال عنه صاحب الشذرات[٣]: "كان إمامًا بارعًا في اللغـــة والفقه والنحو والأدب مفننا في العلم، ونظمه في الذروة العليا والطبقة القصوى وله فضائل مشهورة.

وقال السبكي[٤] عن شعره: "شعره أحلى من السكر المكرر وأغلى قيمة من الجوهر".

---

(١) انظـــر الـــدرر الكامنة- (٣/١١٦)، والأعلام للزركلي- (٥/٦٧)، وأبجد العلوم- (٢/٢٧٩)، وكشف الظنون- (١/٧٠١).

(٢) انظر الدرر الكامنة- (٣/١١٦-١١٧)، والأعلام- (٥/٦٧).

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب- (٣/١٦١)، وانظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة- (٢/٢٢٦)، وطبقات الشافعية- (٥/٤٢٧).

(٤) طبقات الشافعية- (٥/٤٢٧).

وقـــال ابن حجر عن نظمه في الفقه[١]: "وأقسم بالله لم ينظم أحد بعده الفقه إلا وقصر دونه".

وقال الصفدي[٢]: "شعره أسحر من عيون الغيد".

وقـــد ســـبق ذكر ما دار بين ابن الوردي وابن تيمية حيث ذكر ابن الوردي أنه بحث بين يديه في فقه وتفسير ونحو فأعجب شيخ الإسلام بكلامه وقبل وجهه.. يقول ابن الوردي: "وإني لأرجو بركة ذلك".

وفعل كهذا من شيخ الإسلام يضيف إلى ابن الوردي منقبة أخرى إلى مناقبه.

مذهبه الفقهي وعقيدته:

يعتبر ابن الوردي من فقهاء المذهب الشافعي، وقد قرر ذلك بعض من ترجم له، فقـــال الحـــافظ ابن حجر: "عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعري زين الدين بن الوردي الفقيه الشافعي[٣]".

وقال السيوطي: "زين الدين بن الوردي المصري[٤] الحلبي الشافعي[٥]".

وذكره السبكي في طبقات الشافعية[٦].

ولـــذلك فقـــد نظم ابن الوردي البهجة الوردية على الحاوي الصغير للقزويني في الفقه الشافعي[٧].

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة- (٣/١١٦).

(٢) شذرات الذهب- (٣/١٦١).

(٣) الدرر الكامنة- (٣/١١٥).

(٤) سبق التنبيه على التصحيف في كلمة المعرّي فصارت "المصري" في بعض الكتب منها بغية الوعاة للسيوطي.

(٥) بغية الوعاة- (٢/٢٢٦).

(٦) طبقات الشافعية- (٥/٤٢٧).

(٧) انظر: كشف الظنون- (١/٦٢٧).

وأما عن عقيدة ابن الوردي فلا تخالها إلا عقيدة أهل السنة والجماعة ويقوي ذلك ما ذكره ابن الوردي من قراءته على ابن تيمية في الفقه والتفسير والنحو وحفاوة ابن تيمية بـــه، ثم رثاء ابن الوردي له بعد موته بقصيدة بديعة غير أننا نجده يطري الصوفية في بعض المواضـــع ويذكر مصطلحاتهم التي لم يذكرها السلف من الصحابة والقرون المفضلة وذلك كالمحو والإثبات والرمز وغير ذلك من الأمور التي تمس جناب العقيدة مما يجعلنا نتوقف في الجـــزم الكلي باعتقاده عقيدة أهل السنة والجماعة في جميع المسائل [1] ويذكر له أنه عاب على متصوفة الأكل والشرب والنوم الذين يروون الأقوال ولا يتبعون الأفعال الذين وافقوا الأوائل ملبسًا وخالفوهم أنفسًا[2] مما يلمح بالدعوة إلى ما يسميه البعض بالتصوف السُّني.

وفاته:

توفي ابن الوردي في السابع عشر من ذي الحجة سنة تسع وأربعين وسبعمائة من الهجـــرة النبوية، ومات مطعونًا في الطاعون العام بحلب بعد أن عمل فيه مقامة سماها "النبا في الوبا" وذلك عن عمر يناهز الستين عامًا، فرحمه الله وعفا عنه[3].

---

(١) المحو عند الصوفية يعني: رفع أوصاف العادة بحيث يغيب العبد عندها عن عقله، ويحصل منه أفعال وأقـــوال لا مـــدخل لعقله فيها كالسكر، قال الحفني: "ومحو الجمع والمحو الحقيقي: هو الكثرة في الـــوحدة، ومحو العبودية ومحو عين العبد: هو إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان فالوجود ليس إلا عين الحق تعالى.." [الموسوعة الصوفية للحفني- (٩٤٧)].

قلـــت: وهذه هي عين عقيدة وحدة الوجود الخبيثة التي دعا إليها غلاة الصوفية أمثال ابن عربي وابن الفارض والحلاج وغيرهم ونسأل الله السلامة والعافية، أما الرمز فهو عندهم كما يقول الطوسي: هو معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله" [اللمع- (٤١٤)]، ويزعم الصوفية أن في ذلـــك مـــصلحة الناس وغيرة على أسرار الله أن تذاع بين المحجوبين (العامة) [انظر: جهود علماء السلف للجوير- (٥٤٥، ٥٥٠)] لكن اعتقاد ذلك على درجات لا ندري إلى أي درجة منها وصل ابن الوردي فالله أعلم .

(٢) انظر كلامه في المقامة الصوفية.

(٣) انظر: الأعلام للزركلي- (٥/٦٧)، وبغية الوعاة- (٢/٢٢٧).

مصادر الترجمة:

١-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني.

٢-طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبدالوهاب السبكي.

٣-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي.

٤-الأعلام للزركلي.

٥-أبجد العلوم لصديق حسن القنوجي.

٦-كشف الظنون لحاجي خليفة.

٧-شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبدالحي الدمشقي.

٨-أصول الفقه وابن تيمية لصالح بن عبدالعزيز آل منصور.

٩-الموسوعة الصوفية لعبدالمنعم الحفني.

١٠-جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لابن الألوسي.

١١-العقود الدرية لابن عبدالهادي.




بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم[1] العلامة القاضي الفاضل زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر ابن عمر الوردي الشافعي -رحمه الله تعالى ورضي عنه- أما بعد حمد الله الذي الحمد من فضله، والصلاة والسلام[2] على نبيه محمد خاتم رسله، وعلى آله وصحبه ومن اقتدى بقوله وفعله، فإني أمرت أن أكتب[3] في هذا الكتاب شيئًا من نثري ونظمي، وها أنا قد أثبتّ عليّ به مسطورًا يشهد بقصور فهمي، وقد يقف الناظر في مجموعي هذا على وصف عذار[4] الحبيب وخده، ونعت ردفه[5] وقده[6]، وشكوى عشقه وصده، وذم الشيء وحمده، ومدح الشخص لرفده، وجزر القول ومده، فيُظنّ[7] لذلك بي الظنون، غافلاً عن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾، وإني إنما قلت ذلك على وجه امتحان القريحة، ومحبة في المعاني المبتكرة واللمع المليحة[*]، التي لم يصبر عنها إلا من نفر طبعه، ولم يستهونها[8] إلا من أظلم حسه ونبا عن الحكمة سمعه، وما كُلُّ مَنْ قال فعل، ولا كل من مدح سأل، على أنه من نشأ بحمد الله في حجر العلم صانه عن الرذائل، ومن صحب من أولياء الله تعالى مثل شيخنا[9] دلت على نزاهته دلائل، ومن أغناه الله تعالى بفضله شرفت نفسه عن الاكتساب بالمدح، ومن سالمه الناس وسالمهم استغنى عن الهجاء والقدح[10]، ثم إني بعد جمع هذا الكتاب هجرت

---

(١) زيادة من بعض النسخ.

(٢) زيادة من بعض النسخ.

(٣) في نسخة: أثبت.

(٤) عذار الرجل: شعره النابت في موضع العذار، أي: الخد، يقال: ما أحسن عذاره أي خط لحيته [انظر: اللسان- (عذر)].

(٥) الرِّدف: العجُزُ، وخص البعض به عجيزة المرأة، والجمع: أرداف [انظر: اللسان- (ردف)].

(٦) القد: القامة [انظر: اللسان- (قدد)].

(٧) أي: فيظن الناظر، والجملة سياقها هكذا: وقد يقف الناظر في مجموعي هذا على... فيظن..إلخ.

(٨) وفي نسخة: يستهجنها.

(٩) وفي نسخة شيخنا عبس.

(١٠) هذا من أمثلة السجع وهو كثير في كلام المصنف.

المـــنظوم هجـــرًا جمـــيلاً، وطويت نشر المنثور إلا قليلاً، وعاودت[1] النفس من خدمة العلم الشريف سيرتها الأولى، وكيف لا والعلم أشد وطئا وأقوم قيلاً، هذا وما أثبت في هذا المجموع مـــن نثـــري إلا اليسير، وذلك نحو الثلث والثلث كثير، وحذفت من نظمي ما لم أعبأ بحذفه، وألححـــت عليه حتى صيرته على نصفه، ولولا رجاء الترحم ممن يقف عليه، والطمع في بقاء الذكـــر فهو مما تتوق النفس إليه، لسددت بحسب الطاقة هذا الباب، ولحثوت في وجه الأدب التراب، والله المسئول أن يبدل السيئة حسنة، وأن يكفينا شر حصائد الألسنة، آمين..

فمن ذلك المقامة الصوفية

حكى إنسان، من معرة النعمان، قال: سافرت إلى القدس الشريف، سفر منكر بعد التعـــريف، فاجتزت في الطريق بواد وقانا لفحة الرمضا، وقال: حكمت على الوادي الذي تروع حصاه حالبة العذارى فقلنا دائم الحكم والإمضا، وإذا عين كعين الخنساء تجري على صـــخر، ويقـــول ماؤها أنا سيد مياه هذا الوادي ولا فخر[2]، فرويت كبد صادٍ من تلك العين، ولكن نغّص منظرها الحسن بذكر ظمأ الحسين، هذا وماؤها يجري على رأسه خدمة للـــوراد، ويطـــوف بنفسه سواء العاكف فيه والباد، فأسبغت وضوئي منه إسباغ الذروع، وصليت ركعتين فوّقت فيهما سهام دماء من قسيّ ركوع، وسألت الله تعالى حسن منقلبي، ورجـــوت مـــنه أن يعوضـــني عن تعبي، بصحبة من يدلني عليه، ورؤية من يقربني منه إليه، فأجيـــبت دعوتي في الحال، والتفتّ وإذا عشرة رجال، من جملتهم شيخ كبير السن والقدر، وقـــد أحاطـــوا به إحاطة الهالة بالبدر، فقلت لهم: مرحبًا بحاضرة جلالتهم بادية، وسقيًا لمن تلقيت صحبتهم من عين صافية، يا ذوي الجمال والزين، من أين وإلى أين؟ قالوا: منه وإليه، ثقة به وتوكلاً عليه، ثم خاضوا في بحث يسرونه مني، ومناظرة يخفونها عني، بلفظ ألطف من النـــسيم، ومعنى مزاجه من تسنيم، وأطالوا في الجدال، وأنا لا أعلم حقيقة الحال، فلحظهم الـــشيـــخ شـــزرا، ونظر إليهم تارة وإليّ أخرى، وقال: إما أن تكفوا عن حثكم، وإما أن تطلعـــوا أخـــاكم الآخر على أول بحثكم، فتنبهوا إليّ، وأقبلوا عليّ، وقالوا: أيها الأخ إن بحثنا الدقيق في طريق هي السر المكتوم، وغوصنا العميـــق في منهاج هو مفتاح العلوم، وما

---

(١) وفي نسخة ما ودت.

(٢) فيه سجع وتورية وتضمين من الحديث الشريف.

ظنك بطريق جنيدها[1] أعظم من الملوك، وأدهمها وابنه[2] غير مصروفين لعظمهما في سلوك الحسن بحسن السلوك، وأهلها هم الكرم الصيّب، وذللها ينبت العز وكل مكان ينبت العزَّ طيّب.

ذمَّ المنازلَ بعدَ منزلةِ اللّوى والعيشَ بعدَ أولئكَ الأقوامِ

فكم منكر صار معروفًا فيها بالإيثار، وكم مالك أصبح مصروفًا بحسنها عن دينار.

كم أسد رُوِّع بالشبلِ فيها وحافٍ فاقَ ذا نعلِ

وكم سريٍّ بحره زاخرٌ وكم فضيلٍ فازَ بالفضلِ

قلت: قد وعيت على رمزكم، وانتهيت إلى كنزكم، فزيدوني إيضاحًا، زادكم الله إصلاحًا، قالوا: نحن أيتها العصبة، لنا في التصوف رغبة، وجدالنا معاشر الرفقة، في لفظة التصوف: مم هي مشتقة؟ وماذا شرط الصوفيّ الصافي؟ وإلى الآن ما تحرر لنا في ذلك جواب شافي. قال الشيخ: على الخبير سقطتم، وبجهينة الخبر أحطتم، ولكنكم ما ألقفتم أولا إليّ، ولا عولتم في ذلك عليّ، قالوا: مثلك لا يبخل بإفادتنا، وأنت عودتنا المسامحة في المطارحة فاصبر لعادتنا، قال: سمعًا وطاعة، اعلموا أيها الجماعة، أن اشتقاق التصوف، عند أهل التعريف والتعرف، من الصفاء والوفاء والفناء هذا من حيث عبارة الناطق، فأما اشتقاقه من حيث الحقائق، فمن أحد أربعة أشياء، تحيي الأسرار وتسرّ الأحياء، الأول من الصوفانة وهي بقلة قصيرة ذات رغبة، الثاني من صوفة قبيلة كانت تجيز الحاج وتخدم الكعبة، الثالث من صوفة القفا شعرات في قفا الإنسان، الرابع من الصوف الغني عن البيان، وإذ قد أصغيتم لبياني، فسآتي بالبديع في شرح هذه المعاني[3]: إن أخذ التصوف من الصوفة التي هي البقلة، قال القوم اجتروا في الجملة، فاقتصروا على ما يوجد الله بصنعته من رزقه، ومنّ به على عباد عباده من غير تكلف فيه من خلقه، فاكتفوا به[4] عما فيه للبشر صنع، فلم يبسطهم إليه عطاء ولا

---

(١) يعني أبا القاسم الجنيد.

(٢) يعني إبراهيم وأباه أدهم، فهما غير مصروفين أما أدهم فللعلمية ووزن الفعل، وأما إبراهيم فللعلمية والعجمة، وفي الكلام تورية؛ لأن هذا المعنى غير مراد.

(٣) هذا من التورية وهي كثيرة في كلام المصنف.

(٤) أي: بهذا النبات.

قبضهم عنه منع، كما شاع عن المجاهدين من المهاجرين، ونبه عليه سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم.

وإن أخذ من صوفة، وهي القبيلة المعروفة، فلأنّ الصوفي متزود من القربات والطاعات، محاسب نفسه على الدقائق والساعات، أحد أعلام الهدى، طاب خبره لطيب المبتدا. وإن أخذ من صوفة القفا، فحسبكم بيانًا وكفى، أن الصوفيّ معطوف به على الحق، مصروف به عن الخلق، لا يريد به بدلا، ولا يبغي عنه حولاً. وإن أخذ من الصوف المعروف؛ فلأن الصوفيّ يلبسه موصوف، اختار في الدنيا لبسه، وكسر بذلته وبذلته نفسه، نداء منه على لابس الحرير بالرعونة والبله، إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له، هذا بيان الاشتقاق[1]، وأما شرط الصوفي باستحقاق، فأن يتخلق بأخلاق الرسول، ويفوز من سول رياضاته بالشمول، ويتنكب عما عنه نكب، ويأخذ بما إليه ندب، لا يتخذ محرمه ربيعه، ولا يجري كالعاصي الذي يزيد إعراضه عن الشريعة، فقد صفى من الكدر، ونحى عن الفكر، ونجى من الغير، ومن عدل عن سمته ونهجه، وعول على حكم نفسه وهرجه، وسعى لبطنه وفرجه، كان من التصوف خاليًا، وفي التجاهل ساعيا، ومن داخله في ذلك مرية، فقد عطل عما ذكره الحافظ في الحلية. قال الحاكي: فلما سمعت ما قاله هذا الشيخ الجليل، أكبرته وبالغت له في التبجيل، وقلت له: يا سيدي لي زمان أحرص على مثلك، فما ظفرت به من قبلك، فتمم العطاء، واكشف لي الغطاء، عن أشياء تعانيها متصوفة الوقت، وميز لي منها ما يستحق المقة من

---

(١) ذكر المصنف أن التصوف مشتق من عدة أمور فهو إما من بقلة الصوفانة أو من قبيلة صوفة أو من صوفة القفا، أو من الصفاء أو من الصوف، وزاد آخرون فقالوا: إنما اشتق من أهل الصفة الذين كانوا يبيتون في مؤخرة مسجد النبي ﷺ من فقراء الصحابة المهاجرين، وقال آخرون: إنما اشتق من الصف الأول؛ لأن الصوفية في الصف الأول بين يدي الله -عز وجل- بارتفاع هممهم إليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه، وقيل غير ذلك، والراجح اشتقاقه من الصوف فهو الصحيح من حيث النسب في اللغة، ثم من حيث صحة المعنى إذ كان الغالب على طلائعهم الأولى لبس الخشن من الثياب زهدًا في اللين والزهد في طيبات الحياة، وهو ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة بن خلدون وغيرهما من المتأخرين [انظر: المقدمة لابن خلدون- (٥١٧)، ومجموع الفتاوى- (١١/١٩٥)].

المقـت[1]، قـال: سل عما تريد، قلت: أول بيت في القصيد، لم حلقوا الرءوس وقصروا الثـياب؟ قال: موافقة لما في الكتاب، وهم في ذلك كالمذكرين، أن من كان إلى العلا من المحلقين، فليعترف أنه من المقصرين. قلت: فلم تركوا النعال ولبسوا الجماجم؟ قال: شيء أحدثه الأعاجم.

وأقـسمُ مـا ذاكَ مـنهم سُـدى   فأفهـامُهم فـوقَ أفهامِـنا

فـإن قلـتُ مـا سـرُّ ذا أنـشدوا   جماجمُـنَا تحـتَ أقدامِـنا

قلـت: فلـم تختموا بالعقيق؟ قال: فيه منافع وخواص هو بها حقيق، فإن خاتمه يـسكن حدة الغضب، ولمنع التريف هو سبب، وسحالته لتآكل الأسنان، ولوجع القلب وقروح أمعاء الإنسان، ومما ذكر عنه وقيل، أن خاتمه لم يوجد في أصبع قتيل، وما أحسن استخدام بعضهم فيه، عج بالعقيق فمدمعي يحكيه، قلت: فلم رقصوا في السماع؟ قال: فيه لـذة واجتماع، ولهم فيه أسرار، لا يطلع عليها الأشرار، فهو كالفخ أو كالشبكة في يد الشيخ المتصنع يصيد به القوت، والصادق يصيد به الرتوت، والمبادرة إلى تحريمه من الجمود والقـصور، وهو رأي من له بالشعر شعور، ولا فهم المنظوم ولا شم رائحة المنثور، ولقد رأينا المعتمدين، من علماء الدين، لا يطلقون القول فيه بمنع ولا جواز، ولا يحملون الفتوى فيه في عراق ولا حجاز، بل الفتوى المعتمدة التي القلب إليها ساكن، أن الأمر في السماع يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأماكن[2].

---

(١) المقة: المحبة، وفعلها: ومق، والمقت: البغض، وفعله: مقت.

(٢) في هذا الكلام نظر؛ إذ إن أدلة تحريم الغناء ساطعة من الكتاب والسنة وكلام السلف، فعلى سبيل المثال قال تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ قال مجاهد: بصوتك: الغناء والمزامير، وقـال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ...﴾ قال ابن مسعود: لهو الحديث الغناء، وفي الـبخاري: "لـيكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف"، وعن أنس مـرفوعًا: "ليكونن في هذه الأمة خسف وقصف ومسخ وذلك إذا شربوا الخمر واتخذوا القينات وضربوا المعازف" [السلسلة الصحيحة للألباني].

كانوا معاني المغاني حينَ ينشدُهُمْ شادٍ يجاوبُهُ حُسْنٌ وإحسانُ
ما أنتَ حينَ تُغنِّي في منازلهم إلا نسيمُ الصبا والقومُ أغصانُ

قلت: فلم يجلسون الوارد على باب الرباط، ولا يتلقونه أولاً بالواجب ولا بالانبساط؟، قال: لأنه بطارئ السفر، قد تهجن طبعه ونفر، فأرادوا بذلك رياضة نفسه، ولينسى عشرة أبناء جنسه، وليبنى لهؤلاء على الكسر، وينصره الله على شيطانه وما النصر، قلت: فلم شرطوا عليه هيئة السفر إلى الدخول؟ قال: لأنها مذكرة بالوصول، فيا لها من هيئة تنسي الخلاق والطرب، تغييرها رياضة تعرب عن أصل الأدب، على أنه في هذا الوقوف، ينشد من قلب عروف.

وقوفي على بابهمْ رفعةٌ فيا طولَ طردي إنْ لمْ أقفْ
ولو لم تكنْ ليَ فَرْعيَّةٌ إليهمْ بأصلٍ لقالوا انصرفْ

قلت: فما معنى توجيه أباريقهم إلى القبلة؟، قال: هي صورة عبادة في الجملة، وفي المثل الغريب "أباريق الصوفية تخاريب".

ساقٍ يسوقُ إلى السياق محبةً ويرى شفاءَ حريقه برحيقه[1]
السكْرُ كلُّ السكرِ في كاساتِهِ والسرُّ كلُّ السرِّ في إبريقِهِ

قلت: فلم وضع ساقيهم إبهام رجله اليمنى إلى إبهام اليسرى؟، قال: فرقًا بين خدمة الخالق والمخلوق وذكرى، ففي الصلاة يصف قدميه، وفي خدمة القوم يفعل ما أشرت إليه، وعلى الحقيقة فالصوفي لا إبهام لفضله، ولا سبابة للوسطى من سيرة مثله، قلت: فلم يطوي الخادم للوارد إذا أتاه الطرف الأيسر من مصلاه؟، قال: ليدوس المطوي بيمناه، وينقل إلى جانبها يسراه، ثم ينقل اليمنى نقلا، ويصف اليسرى معها في المصلى، فقد كرموا في هذه الهيئة اليمين، وتميز بها عنهم من يمين، واتقوا بلل الوضوء بالبطانة، تورية إلى أن الوجه أحق بالصيانة، وسأدلك على قاعدة تحصل بها من أحوالهم كمال الفائدة، كلما فارقوا فيه بقية الناس، من العوائد والسمت واللباس، فليمتازوا به من سواهم، فتبارك الله الذي خلقهم فسواهم، ثم إن الشيخ سالت عبرته، وتوالت

(١) فيه جناس ظاهر وهو كثير في كلام المصنف.

حسرته، وغلبه الحال، فأنشد على الارتجال:

ذهبَ الصدقُ وإخلاصُ العملْ ... ما بقيْ إلا رياءٌ وكسلْ
غرَّكَ التقصيرُ مِنْ ثوبي فإنْ ... قُصِّرَ الثوبُ فقدْ طالَ الأملْ
إنْ تأملتَ فزيِّي منهمُ ... غيرَ أنَّ القلبَ مغناهُ طللْ
إنما الصوفيُّ صافي القلب منْ ... كلِّ غشٍّ فإذا قالَ فعلْ
رَفَعَ الكلَّ عنِ الكلِّ وَمَنْ ... كَلَّ في الدنيا تحامى كُلَّ كُلْ[1]
ذَلَّ للهِ فعزَّتْ نفسُهُ ... كلُّ مَنْ عزَّ بغيرِ اللهِ ذَلْ
فَهْوَ إنْ يعلُ فباللهِ علا ... وَهْوَ إنْ يترلْ فبالحقِّ نَزَلْ
كسرَ النفسَ فصمَّتْ[3] واتقى ... زخرف الدنيا وخيلاً وخَوَلْ
بَذَلَ الروحَ ولولا عزُّ ما ... رامَ ما هانَ عليه ما بذلْ
عرفَ المربوبَ بالربِّ فلم ... يخشَ إلا ربَّه عزَّ وجلْ
ليتني في جسم هذا شعرةٌ ... صَغُرت أو طعنةٌ فيما انتعلْ
بل مرامي لحظةٌ أو لفظةٌ ... مِنْ وليِّ اللهِ مِنْ قبلِ الأجلْ
هؤلاءِ القومُ يا قومُ مَضَوا ... ما تبقى منهمُ إلا الأقلْ
فإلى اللهِ تعالى أشتكي ... ما بقلبي مِنْ فتورٍ وخبلْ
لو تقنَّعتُ أتى رزقي على ... رغمِهِ لكنْ خُلقنا مِنْ عجلْ[2]
كم رياءٍ كم مراءٍ كم خطا ... كم عدوٌّ كم حسودٍ لا يملْ
ليس يخلو المرءُ عن ضدٍّ ولو ... حاولَ العزلةَ في رأسِ جبلْ
لا أرى الدنيا وإنْ طابتْ لمن ... ذاقَها إلا كسمٍّ في عَسَلْ
أين كسرى وهِرَقْلٌ أين مَنْ ... ملكَ الأرضَ وولَّى وعزلْ
أينَ مَنْ سادوا وشادوا وبَنَوا ... هَلَكَ الكلُّ وَلَمْ تغنِ القللْ
لو سألتَ الأرضَ عنهمْ أنشدَتْ ... أصبحَ الملعبُ قفراً والطللْ

(١) فيه جناس ظاهر وهو كثير في كلام المصنف.

(٢) فيه اقتباس واضح من القرآن الكريم وهو كثير في كلام المصنف.

(٣) في نسخة: فصحت.

قال الحاكي: فما زادني ما سمعت من فيه، إلا إعظامًا له وحبًّا فيه، فنادى متألمًا، وأنشد مترنمًا:

يا صاحِ حقَّ لكَ التخوفْ[4] وقلةُ[1] السعيِ والتطوفْ[2]
لا تقربَنْ بعدها رباطاً قَدْ خُرِّقتْ[3] خرقةُ التصوفْ

قلت: هيهات هيهات، المحو عين الإثبات، وقد كانت الصوفية أحبّ الخلق إلى الرحمن، والأصل بقاء ما كان على ما كان، وللعارف هضم نفسه، مخافة طرده وعكسه، قال: تالله لقد صدقتك في متصوفة العصر، ونصحتك في جمع ألسنتهم ترمي بشرر كالقصر، فإن المتصوفة اليوم، أصحاب أكل وشرب ونوم، يروون الأقوال، ولا يتبعون الأفعال، وافقوهم ملبسًا، وخالفوهم أنفسًا، يدعون ما ليسوا من رجاله، ويخيرون الشيخ بين عرضه وماله، يحبون الجاه والشهرة، ويؤملون برد النعيم على فترة.

اعتزلِ الناسَ ومِلْ عنهمْ بنفسٍ صادقة
صارَ الرباطُ كاسمِهِ والخانقاهُ خانقَة[5]
والناسُ قد تصنَّعوا وليسَ فيهمْ بارقَة
إلا قليلاً قال عن دنياهُ أنتِ طالقَة

قلت: إلى رؤية هذا القليل أميل، فبهم تبرد النار ويشفى الغليل، فليت طرفي قبل الموت المحتوم، اكتحل بنجومهم الزاهرة فنظر نظرة في النجوم، قال الشيخ: كم تدفعك فلا تندفع، وتقطعك فلا تنقطع، الآن أعجبني صدقك، ووجب علينا حقك، وأنشد:

---

(١) في نسخة: وفاتك.

(٢) في نسخة: التكلف.

(٣) في نسخة: خُرِّقتْ.

(٤) في نسخة: التخلف.

(٥) هو من بديع الجناس لديه.

هكـــذا كـــنْ محـــبةً واحـــتفالاً ... واعـــصِ فيـــنا الوشـــاةَ والعـــذّالا

لـــكَ مـــنّا تكـــتُّمٌ واســـتتارٌ[٣] ... ولـــنا مـــنكَ أن تطـــيلَ الـــسؤالا

إنَّ للهِ في الوجـــــودِ وجـــــوهاً ... تـــركَتْ حـــسنَها لـــهُ والجمـــالا

فاعلمـــوا أنَّ في الـــزوايا خـــبايا ... وافهمـــوا أنَّ في الـــسويدا رجـــالا

أقحمـــوا الـــنفسَ في مهالـــكِ زهـــدٍ ... يفترسْـــــنَ[١] الأرْواحَ والأمـــــوالا

قـــصدوا هـــدمَ ســـورِها فَبـــنَوْهُ ... وأتـــوا كـــي يقـــصِّروهُ فطـــالا

أنفـــسٌ أكـــرمُ الـــنُّفوسِ علـــى الـــلـــهِ وأقـــوى حَـــوْلاً[٢] وأقوَمُ حالا

فهـــي تمـــشي مَـــشْيَ العروسِ اختيالا ... وتمـــادى علـــى الـــزمانِ دلالا

نحـــنُ قـــومٌ يعـــيشُ مَـــنْ مـــاتَ فينا ... مـــستهاماً ويـــبلغُ الآمـــالا

عـــشْ علـــى حبـــنا ومـــتْ في هوانا ... هكـــذا هكـــذا وإلاّ فـــلا لا

قـــال الحاكـــي: فأطـــربني هـــذا الكلم الطيب، وما ضمنه من شعر أبي الطيب، ثم صافحوني للوداع، بأيدي سفرة، كرام بررة، تلك عشرة كاملة فسلام على الله العشرة[٤].

---

(١) في نسخة: يغترمن.

(٢) في نسخة: حالاً.

(٣) في نسخة: واستستار.

(٤) ذكر المصنف من الإطراء على الصوفية ما قد يُدْخِلُ على قليل العلم بهم حبًّا لا يستحقونه فيرفعهم به إلى مقام لا يبلغونه، والأمر على غير ما ذكر، ودون كل لبيب هذه الفقر: يؤخذ على الصوفية أمور كثيرة نلتقط منها:

١-إقامة المساجد على قبور الصالحين وتعظيمها رغم ورود النهي عن ذلك.

٢-بدعة الموالد التي يقيمونها لمشايخهم وآل البيت التي تضج بالمنكرات والشركيات.

٣-الغلو في النبي ﷺ والأولياء وأهل البيت وقد يصل الغلو إلى إسباغهم صفات الألوهية والربوبية.

٤-الشطح والرعونة مما يقع من بعضهم عند غلبة الوجد وهو ما لا يوجد مثله عند الصحابة -رضوان الله عليهم.

٥-قبولهم كل ما يرد على القلب مما يسمونه كشفًا أو مكاشفة ولو خالف الكتاب والسنة وكثيرًا ما يخالفهما.

حـــدث إنســـان، من معرة النعمان، قال: كثيرًا ما كنت أسمع بين البرية، الثناء علـــى نـــزه أنطاكية، وأنها قطـــع لمن لم يصلها، وخروج لمن لم يدخلها، ولفرط ثنائهم علـــيها، تجهـــزت للمسير إليها، فلما دخلتها، وشاهدتها وتأملتها، أكبرت طولها وطولها، وعجـــبت لحـــصانتها والعاصـــي دائـــر حولها، ودهشت لاستخراج الظاهر من باطنها، وانتعـــشت لاســـتدراج الكافر عن مواطنها، حتى قسى قلب القسيان على برج الحرس، ومـــــا بكت عين بولص على مـــا اندرس، وأشهر في التواريخ حديثها، وبدل بالتوحيد

=٦-الجهـــل بالـــشريعة وازدراؤها إذ يفرقون بين شريعة وحقيقة ويسلمون للكشف الآتي عن طريق الرياضة والمجاهدة.

٧-وقوفهم أو كثير منهم عند الرسوم وسماهم ابن تيمية صوفية الرسم.

٨-شـــيوع البدع في محيطهم دون نكير من أحد بل إنهم يستحسنونها مع أن النبي ﷺ جعل كل بدعة ضلالة و لم يفرق بين مستحسنة ومستقبحة.

٩-شيوع الأحاديث الضعيفة والموضوعة بينهم حتى في استدلالهم على صحة طريقتهم وأصول مذهبهم.

١٠-روايتهم لما لا يصح من الكرامات وما يصادم الشرع منها.

١١-عادة السماع التي يجتمعون عليها ويجعلونها دينًا يتعبدون الله بها وقد يصاحب السماع شيء من المعـــازف التي نهى الشارع عنها وربما صاحبها الرقص والتصفيق إذا غلب الوجد، وقد ينتهي الأمر بالصراخ والصياح كالمرأة الثكلى فأين ذلك كله من حال النبي ﷺ وأصحابه.

١٢-ابـــتداعهم ما سموه بالطرق الصوفية التي تتباين فيما بينها بصورة كبيرة ويكون لشيخها الكلمة النافذة والطاعة المطلقة لا للكتاب والسنة.

١٣-القول بإسقاط التدبير "أي ترك الأخذ بالأسباب والسعي لاكتساب الرزق".

١٤-اتخاذهم في الذكر منحى مخالفًا لما كان عليه السلف.

١٥-مخاطبتهم الله تعالى بما لا يليق وكذلك النبي ﷺ من ألفاظ العشق والوجد والسكر ونحو ذلك مما لا يناسب الأدب مع الله جل جلاله ولا صح عن النبي ﷺ ولا أحد من أهل القرون الفاضلة، وغالى بعض الصوفية فقالوا: بإسقاط التكاليف وتفضيل الولي على النبي وبإمكان رؤية الله تعالى في الدنيا بالأبـــصار تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. [انتهى ملخصًا من خلاصة الموقف السلفي من التصوف لأبي الفضل عبدالسلام بن محمد بن أحمد- ط دار الفتوح- الجيزة- (١-٣٧)].

تثليـــثها، وفتح باب جنانها، لمن أصبح من سكانها، فحمدت الله الذي جعلها دار إسلام، وشـــكرته على هذا الفتح الذي خص أحزاب المؤمنين بالأنعام، فانتهيت من بدايتها، إلى دار ولايتها، فوجدت والي المدينة، شابًّا ذا سكينة، فلما سلمت عليه، وأجلسني إليه، أخذ في مؤانـــستي، وأظهـــر الابـــتهاج بمجالستي، فغبطته بحسن زينته، وطيب مدينته، فتنفس الصعدا، وترنم منشدا:

كَـــمْ مِـــنْ صديقٍ صدوقِ الودِّ تحسبُهُ ... في راحـــةٍ ولديـــهِ الهـــمُّ والـــنَّكَدُ[1]

لا تغـــبطنَّ بـــني الدنـــيا بنعمـــتهم ... فـــراحةُ القلـــبِ لم يظفَـــر بهـــا أحدُ

قلـــت لله در فصاحتك، ما السبب في عدم راحتك؟ قال: لقد جمعت هذه المدينة بين عرب وروم، وأنا معهم في الحيّ القيوم، لا أطيق فيهم قرارًا، لو اطلعت عليهم لوليت مـــنهم فرارًا، ومن يطيق الجمع بين الضدين، أم من يقدر على موالاة ندين، وكيف يظفر ســـاكن أنطاكـــية بنـــيل إرب، وقد حنيت أضلع العجم على بغض العرب، كما أجدّ ويلعبون، وهم من بعد غلبهم سيغلبون.

مِـــنْ كـــلِّ فـــظٍّ أعجمِـــي ... غـــثِّ الكـــلامِ مـــذمَّمْ

إنْ نَبَّهَـــتْهُ مـــروءةٌ ... فـــتقولُ عجمـــتُهُ نَـــمِ

قلـــت: قصر عن خطاك خطاك، واشكر من أنطاك أنطاك، فسورها منيع، وعاصيها مطـــيع، وأطيارها تحن إلى نغماتها الجوارح، وأنهارها مطردة وعيونها سوارح، ونسيمها يبطل رائحـــة المسك السحيق، وساكنها يزهى على الغصن الوريق، يصدأ بهوائها السلاح، وتجلى به القلوب والأرواح، برية بحرية، سهلية جبلية، منثورها منثورها.

مـــتكاملٌ فـــيها الـــسرورُ لمـــن بهـــا ... يـــوماً أقـــامَ كمـــا تكامـــلَ ســـورُها

وخلَـــتْ قلوبُ قصورِها فاستضحكتْ ... إذْ عـــاشَ شـــاكرُها وماتَ كفورُها[2]

مَـــنْ حَـــلَّ فـــيها نـــالَ وَصْلَ حبيبها ... وشـــفى كلـــيمَ الـــروحِ مـــنهُ طورُها

---

(١) ويُروى: الكمد.

(٢) فيه طباق ظاهر وهو كثير في كلام المصنف.

مـــا تلـــك إلاّ جـــنَّةُ الدنــــيا وهـــا ولـــدانُها جُلـــيَتْ علـــيكَ وحـــورُها

فمــــــضيَّةٌ وســـــنيَّةٌ ونديَّـــــةٌ أرجاؤهـــــا ورياضُــــها وقــــصورُها

لمـــا بكـــى فقـــدَ الهمـــومِ ســـحابُها ضـــحكتْ وقـــدْ عاشَ السرورَ زهورُها

فـــالأرضُ مـــنها ســـندسٌ وخلالَـــهُ سُـــلَّتْ ســـيوفٌ والـــسيوفُ نهـــورُها

هـــيَ دارُ مملكـــةِ الرضـــى فلأجلِ ذا قـــد أُسْـــبِلَتْ دونَ الهمـــومِ ســـتورُها

جُمعـــتْ فـــنونُ الطـــيبِ في أفـــنانها وعـــلا علـــى المِـــسْكِ الذَّكيِّ عبيرُها

تحكـــي دُماهـــا غـــيدُها[2] البيضُ الألى بلحـــــاظهن فـــــتونُها وفـــــتورُها

مـــا سلـــسلٌ عـــذبٌ ســـقاه وابـــل وهـــناً فويـــقَ حصى بروقِ[1] غديرها

فنفـــى[5] بتفـــريكٍ وصـــقلٍ مذهب[6] عـــنه القـــذى ريـــحُ الـــصّبا ومرورُها

بألـــذَّ طعمـــاً مـــنْ مَراشـــفهنَّ إذ تَبْـــسَمْنَ[3] عَـــن دُرٍّ يضيءُ بدورُها[4]

تلـــكَ الـــثغورُ[8] ودمـــعُ عاشقهنّ قد حاكَـــتْ عقـــودًا تحـــتويه نحـــورُها

كـــمْ كـــان فـــيها للفـــرنجِ كواعبٌ كانـــت إناثًـــا واللحـــاظُ ذكـــورُها

ومهفهـــف يَـــسقِي الـــسلافَ كأنمـــا مِـــنْ مقلتـــيهِ ووجنتـــيهِ يديـــرُها

هـــل نارُهـــا فِـــي كاسِـــها أم كاسُها في نارِهـــا وَعَلـــى المـــنازلِ نـــورُها

تـــصفيقُ عاصـــيها المطـــيعِ مـــرقّصٌ أغـــصانَها لَمّـــا شَـــدَتْهُ طـــيورُها

فـــربوعُها محروســـةٌ وســـفوحُها مأنوســـةٌ لا يـــنطوي منـــشورُها

فاعجـــبْ لأرضٍ كالـــسماءِ مـــنيرة أضـــحتْ تلـــوح[7] شموسُها وبدورُها

فتبَـــسَّمَتْ وتَنَـــسَّمَتْ أرجاؤُهـــا أرجًـــا فمـــا الغـــصنُ النـــضيرُ نظيرُها

---

(١) ويُروى: يضيء.

(٢) يروى: عندها.

(٣) يروى: يبْسمنَ.

(٤) يروى: يروقك نورها.

(٥) يروى: فصفا.

(٦) يروى مذ نفت.

(٧) تروى: تضيء.

(٨) يروى: فثغورهن.

فلما أتممت جلاء هذه العروس، ورقمها سامعوها على وجنات الطروس، قال الوالي: لقد زدت وصفها، وشمخت على البلاد أنفها، وما أنطاكية لو كان عندك إنصاف، إلا طرف سكنته الأطراف، فلو أنك جمعت بين الأختين، وأرهقت العدة لنقص البيعتين، وأغلقت باب البحر، وجسرت على قطع الجسر، وسودت البيضاء، وأيبست الخضراء، لكان أهون عليّ من هذا النظم الأنيق، في استرقاق هذا البلد العتيق، وماذا تركت لدمشق من المنة والصفة، وقيل إنها في الأرض هي الجنة، لقد عرفت النكرة ونكرت المعرفة، ثم نظر إليّ خجلاً، وأنشد مرتجلاً:

مدحْتَ أنطاكيَّةً	حتى تَوارى عقلُها
ولم يكنْ عندي كما	ذَكَرْتَهُ محلُّها
لأنها داثرةٌ	علا عليها ذلُّها
فكيفَ لا أبغضُها	وكيف لا أملُّها
وعُجْمُها أكثرُها	وعُرْبُها أقلُّها
لولا حبيبٌ ساكن	فيها ولولا ظلُّها
لقلْتُ مِنْ مدنِ لظى	لكنني أجلُّها
لأن في يس جا	ء ذكرُها وفضلُها
لكنْ أقولُ قولةً	ليس يُرَدُّ عدلُها
لو كانَ فيها راحةٌ	ما فارقَتْها أهلُها

فلما تم الوالي نظامه، ابتدرت ملامه، وقلت إذا رغبت عن أنطاكية وأهليها، فما وجه مقامك فيها، فقال: ألزمني أن أقيم، مرسوم كريم، ممن غمرني بالعطا، وإذا خولف سطا، فكيف الخلاص، ولات حين مناص[1]، من مدينة بيت الماء أرفع منها بكثير، ولعظم السمكة فيها قدر كبير.

فقلتُ وقد أنكرتُ منه مقاله	وغرتُ لها ويلاه مِنْ سوءِ حالِها
ألا طالَ ما كانت أسرّةُ ملكِها	مكللةً بالدرِّ قبلَ زَوالِها

---

(١) اقتباس من سورة (ص).

وكـم خفقـتْ فيها البنودُ وكَمْ حَوَتْ ملـوكاً تـرى الجـوزاءَ تحـتَ نعالِها
معظّمــةٌ في الملّــتين بحــسنها مكــرَّمةٌ في الدولــتين بمالِهـا
ألَمْ تحتـرمْ فـيها حبيـباً نـزيلَها وما أنـتَ لـو أنصفتني من رِجالِها
وسـافرتُ إذْ نافرتُ في الحال[1] منشداً وعيـنايَ كـلٌّ أُسـعدت بـسجالِها
قفـا نـبكِ مِنْ ذكرى حبيبٍ ومنزلِ[2] لقـد هـزلَتْ حـتى بـدا مِن هزالِها

المقامة المنبجية

حكـى إنسان، من معرة النعمان، قال: دخلت منبج في بعض الأسفار، فرأيت مصرًا كأمـصار، ولكـن قـد صـغر تصريف الدهر اسمها، وأبهم على المتكلمين حدها ورسمها، فمساجدها بالدثور ساجدة، ومشاهدها بحسرتها على من غاب عنها شاهدة، ورباطاتها محلولة القـوى وللأنس فاقدة، ومدارسها دارسة لا واجدة، فازددت بحديثها القديم صبا، وغدا قلبي فـيها ودمعـي كلفـا بها وصبا، وحسدت غرابها في النوح وسواد الثياب، وتلوت يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب[3]، وعجبت لسورها المديد، وقصرها المشيد، ونبهت على خبر ملكها حسان بعد إذ دثر، وقرأت البيتين عليه نقرًا في حجر:

لقـد غفلَـتْ صـروفُ الدهـر عني وبــتُّ مــنَ الحــوادثِ في أمـانِ
وكـدتُ أنـالُ في الـشرفِ الثـريا وهـا أنـا في التـرابِ كمـا تـراني

ورأيـت قبر البحـتري بها وشهدت بهجة مشهد النور، ودعوت عند المستجاب وفي سـفح المـصلى خارج النور، وزريـت بقصور مادحيها، وتمثلت بمادحي قصورها، وزرت قـبور صالحيها، وتوسلت بصالحي قبورها[4]، وأمسـيت نزيلاً لنزيلها الجليل، ولي الله الشيخ عقيل، الطيار في الهواء، الغواص في الماء، شـيخ شيوخ الإسلام، وأول من دخل

---

(١) منها ذلك الوقت.

(٢) تضمين لشطر بيت امرئ القيس في معلقته.

(٣) اقتباس من سورة (المائدة).

(٤) التوســل بالمقبورين بدعة مخالفة للعقيدة الصحيحة، وفي الجمل السابقة نوع من القلب وهو من فنون البديع.

بالخـــرقة العمرية إلى الشام، جامع الوحوش من البر والبحر أفواجًا، وجاعل النجارة بإذن الله ذهـــبًا وهاجا، المتصرف بعد وفاته، كتصرفه في حال حياته[1]، الذي أعدى عديًا في حلبات الـــرهان، وأرسل رسالة سره إلى رسلان، ومازال الزولى له مريدًا، ورزق ابن مرزوق القرشي به جدًّا سعيدًا، وسعدًا جديدًا، وبعد أن فعلت ما فعلت، تذكرت ما كنت قلت:

خـــالطْ أولي العلـــمِ تكـــنْ عالمـــاً فـــربُّنا قَـــدْ رفـــعَ الوَحْـــيَا
واقـــتدِ بالموتـــى علـــى أنَّـــهُ لا بـــدَّ للحـــيِّ مـــن الأحْـــيا

فأخلصت النية، وقصدت مدرسة النورية، فإذا مدرسها القاضي، وقد استقبل أمر الـــدرس بفعل ماضي، فاحتقرته لحداثة سنه، وعزمت على تخجيله بفن لعله غير فنه، قال المتـــصدر قبل أوانه سفيه، ورب فقيه لا أدب فيه، فلما أتم درسه، بسط إليّ أنسه، وسألني عـــن حاجتي، فقلت في لحاجتي: نحن عشرة ذووا نسب، وأُلوا علم وأدب، وقد أنشد كل مـــنهم بـــيتي شـــعر، سامهما فضل سعر، وأقام وزنهما، وقال: إنهما وإنهما، وأنا رسول أصحابي إليك، لتنصف بيننا وقد دللت عليك، قال: قل ما أردت أن تقول، وابدأ بنفسك ثم بمن تعول، ثم أصاخ إليّ، فأنشدته بيتيّ:

زائـــرةٌ زارتْ بـــلا مـــوعدٍ أفـــدي بمـــا أملكُـــهُ سَـــيْرَها
فقلـــتُ مـــا ذا وَقْـــتُهُ فارجعـــي وعـــاوديني لـــيلةً غَيْـــرَها

فقـــال: هذا سوء الأدب بالأدب، والدليل على ضعف الطلب، أتزورك متفضلة، وترجع خجلة، سأنشدك بيتين لا مطعن عليهما، ولم أسبق إليهما:

جـــبرتِ يـــا عائـــدتي بالـــصلَهْ فتممـــي الإحـــسانَ تنفـــي الـــولَهْ
وهـــذه قـــد حُـــسبتْ زورةً لمْ أَنْـــتِ يـــا لعـــبةُ مـــستعجلهْ

ثم قال: هكذا بيان المعاني، فأنشدته قول الثاني:

يـــا مـــنْ أعـــارَ اللـــيثَ حـــسنَ اللقا وَكَـــمْ أعـــارَ الـــسُّحُبَ الهطْـــلا
بعـــضُكَ في الجـــودِ ككـــلِ الـــورى فاعجـــبْ لـــبعضٍ يعـــدلُ الكـــلا

---

(١) هذا من غلو الصوفية في الصالحين وافتتانهم بهم.

فقال: لقد أشبهك في بيتيك، لا بل أربى في سوء الأدب عليك، فمن أعار الليث لقاه، فبماذا يلقى عداه، ومن أعار السحب الهطل فقد خلت عن الهطل يداه، ولو أبدل أعار بعلّم، واحترز من عموم البيت الثاني كان أسلم، إذ يلزمه أن يكون بعض هذا الممدوح، مساويًا في الجود الورى حتى الكليم والروح، لقد أخطأ وأحال، ويا ليته قال:

عَلَّمتَ ليثَ الشرى وثوباً ... والسحبَ علَّمتهنَّ هطْلا
حاشاكَ ذمٌّ وكلُّ ضدٌّ ... فصحَّ قولي حاشا وكلاَّ

ثم قال: قد أريتك الباعث، فأنشدته قول الثالث:

لو كنتَ محتاجاً إلى درهمٍ ... لكانَ بالمدَّاح لي أُسوَهْ
وكانَ مَنْ لا يعطِني أهجهُ ... فالحمدُ لله على الثروهْ

فقال: هذا نظم على الفتوح، فهو كجسد بلا روح، وتقدير ضمير الشأن بعد قوله وكان يحيي به الميت، وإلا خرب البيت، وشاهد هذه النفيسة، إن من يدخل الكنيسة، فتنبه إليّ، وانظر كيف أخذت هذا المعنى بكلتا يدي، فقلت:

أنا لو كنتُ مُقِلاًّ ... ما اصطلى الناسُ بناري
خَلُصَ العالَمُ جمعاً ... مِنْ يميني ويساري[1]

ثم قال: قد جئتك ببدائع، فأنشدته قول الرابع:

له قباءٌ خلْتُ تطريزَهُ ... لحسنه تطريزَ خدِّيهِ
ملتفتٌ نحوي كظبي النقا ... لا ما لظبيٍ غنجُ عينيهِ

فقال: لا معنى بديع، ولا لفظ صنيع، قنع قائله بالوزن والقافية، وجمع بين ثقل لا وما النافية، فلو رآه سقراط أعرض عن حبه بغضًا ولم يعرج، وقال: إن لم يكن معلمًا فدحرج، فاسمع في المعنى تضميني الثمين، الذي أردفت جيش حسنه بكمين، فقلت:

طرزُ قباءِ محبتي ... كخدِّهِ ورقمهِ
ما أعوزَتْ منهُ الظبا ... إلا طرازَ كَمِّهِ

---

(١) يروى: بيساري.

ثم قال: هكذا النفائس، فأنشدته قول الخامس:

بأبي مخيِّلَةٌ إذا رقَصتْ ... رَقَصَ الفؤادُ ونقَّطَ الدمعُ

رَفَعَتْ نقابَ الحسنِ ثم شَدَتْ ... فافتنَّ فيها الطرفُ والسمعُ

فقال: لقد بالغ في ثلبها ونقصها، بقوله رقص الفؤاد ونقط الدمع لرقصها، فهي إذا معزية لا مهنئة، ونائحة لا مغنية، وفي قوله رفعت نقاب الحسن كلام، وفي قوله افتن عسر والسلام، فدع فساد المخيلة، واسمع ما قلت في مخيلة:

جاءتْكَ في طيفِ خيالٍ حكَتْ ... خيالَ طيفٍ هزَّ أعطافَهْ

مصريةٌ في نورِ شاميةٍ ... يا حينَ ذي الشمعةِ طوَّافَهْ

ثم قال: كذا من وجهين تجلى العرائس، فأنشدته قول السادس:

بي أغيدٌ لو بَذَلْتُ نفسي ... في قبلةٍ منهُ لمْ أنلْها

قلتُ لهُ بينَ عاشقيه ... أتاجرٌ أنتَ قال بالْها

فقال: هذا رجل صرف أغيد ضرورة، وجعل الهاء الممدودة مقصورة، وكان يقال: الجمع بين ضرتين، ولا الجمع بين ضرورتين، وبالجملة فما وفق لفصيح إعراب، ولا جاء بمعنى ذي إغراب، فاسمع ما قلت في تاجر، فملأت عينه بالجواهر:

وتاجر شاهدت عشاقه ... والحرب فيما بينهم ثائرْ

قال علامَ اقتتلوا هكذا ... قلتُ على عينكَ يا تاجرْ

ثم قال: هذا البرق اللامع، فأنشدته قول السابع:

قيلَ لي ماذا يحاكي ... قدُّ سعدى قلتُ صعدَهْ

قيل فالريقةُ منها ... أيُّ شيءٍ قلت شهدَهْ

فقال: تعمق هذا القائل، وزعم لطف الشمائل، ووجه لقدّ سعدي رفعًا ونصبًا، وجاء في سعدي وصعده بتجنيس سميناه مليحًا غصبًا، وخفي عنه أنه لحن حقيقة، بتأخير أي شيء على الريقة، فالخبر إذا تضمن استفهام وجب تصديره، وسأنشد في المعنى ما يعذب استرقاقه ويملح تحريره، وهو:

قـــالْ حكـــتْ قامـــتُها صـــعدةً فقلـــتُ لِـــمْ تَجْـــرَحُ تعـــديلَها
قـــال فقـــل ريقـــتها شـــهدةٌ قلـــت فكـــم تقـــصدُ تعـــسيلها

ثم قال: في تعسيلها ثلاث محاسن، فأنشدته قول الثامن:

أحـــسنُ مـــا كانـــتْ كـــئوسُ الطلا ســـوادحًا[1] يـــبدو بهـــا الخـــافي
فالـــنقشُ نقـــصٌ ومـــن الـــرأيِ أن ترتـــشفَ الـــصافي مـــنَ الـــصافي

فقـــال: أحـــسن هذا بعض الإحسان في شعره، حيث قال: يبدو بها الخافي تورية بـــسره وجهـــره، وجانس بين النقش والنقص ثم جاء أمرًا بدعًا، وأساء الأدب شرعًا، إذ تـــسهل في الأمـــر، وجعل من الرأي ارتشاف كأس الخمر، إلا أن يريد رأي السقاة، ولا يريد رأي الثقات، فيحسن إذا له الخلاص، وإلا فلات حين مناص، ثم قال: اسمع في المعنى أسد القولين، وانظر إلى بردتي كيف حوكت على نولين، وأنشد:

دعِ الكـــأسَ مِـــنْ نقـــشِها فـــصاف بـــصاف أحـــبْ
إذا ذهـــبتْ بـــالطلا فقـــد طُلـــيتْ بالـــذهبْ

ثم قال: بساط الأدب واسع، فأنشدته قول التاسع:

دَعْـــهُ ونـــتفَ العـــذارِ إذْ مـــا يـــسَّرَ وصـــلي حـــتى تَعـــذَّرْ
بالنـــتفِ ثم النـــبات يبقـــى عـــذاره الـــسكرَ المكـــرر

فقـــال: قـــوله دعه ونتف العذار، يحتمل التوبة عنه والإصرار، وفي قوله: يسر وصـــلـــى حـــتى تعذر ثقل، لا يعرفه من أهل الذوق إلا الأقل، فإن قيل أحسن في تورية تعـــذر، ولطافـــة النبات وحلاوة المكرر، قلت: على وجه التشنيع، كما قال البديع، حتى وحـــتى، حـــتى تـــنقطع الحـــاء والتاء وأيضًا فحسن اللفظ مطلوب، ولله قولي على هذا الأسلوب:

---

(١) يروى: سوادجا.

معـــــذَّرٌ عـــــشتُ بتقبـــــيله فمـــتُّ مـــنْ عشقٍ[1] وَمَنْ عاشَ ماتْ
فثغـــــرُهُ والـــــشعرُ في خـــدِّهِ هـــذا سُـــنيناتٌ وهـــذا نـــباتْ

ثم قال: ما كل شاعر فقيه ولا كل فقيه شاعر، فأنشدته قول العاشر:

قـــد بـــدا وجـــدي بـــادٍ ورقيبـــــي فـــيه حاضـــرْ
أنـــا في بحـــرِ هـــواهُ واقـــعٌ والقلـــبُ طائـــرْ

فقال: شغله البادي والحاضر، والواقع والطائر، فوالى بين أربع دالات، حتى كأنه راهـــن على هذه الثقالات، وكأنه ما وقف على ما فعله الوهراني[2] في مثله، ولا علم ما جرى على المتنبي من بيتيَ العظام والقلاقل من قبله، فلله اعتمادي، في وصف مليح بادي، فلقد أفرغ الجبن، في قالب الحسن، فقلت:

جاءَنـــا ملتـــثمًا مكتـــتمًا فدعـــوناهُ لأكـــلٍ وعَجْبـــنا
مـــدَّ في الـــسفرةِ كفًّـــا تـــرفًا فحـــسبنا أنَّ في الـــسفرةِ جُبـــنا

قال الحاكي: فلما أتم القاضي قوله، أطلت شكره وشكرت طوله، وقلت: قد بان بـــأن مقاطيعـــنا العشرة خاملة، وأن عشرتك تلك عشرة كاملة، ثم استغفرت ربي، ومن احتقاري له بقلبي، وعوذت بالله ذهنه، أن يرضى بمنبج وهي كليلة ودمنة، فقال: اسمع أيها المتعصب، لكثير الفضيلة على هذا المنصب، وأنشد:

---

(١) يروى: عشقي.

(٢) هـــو ركن الدين الوهراني محمد بن محرز أبو عبدالله المعروف بركن الدين الوهراني، وقيل جمال الدين أحد ظرفاء العالم وأدبائهم.

قدم من المغرب إلى مصر، وهو يدعي الإنشاء فرأى الفاضل والعماد وتلك الحلبة، فعلم أنه ليس من طبقتهم فسلك ذاك المنهج الحلو والأنموذج الظريف، وعمل المنام المشهور وله ديوان ترسل.

قـــدم من دمشق وأقام بها مدة، وبها توفي سنة خمس وسبعين وخمس مائة [انظر: الوافي بالوفيات للصفدي- باب محمد، ووفيات الأعيان وأبناء أهل الزمان لابن خلكان].

وإذا رأتْ عيـناي عـالي رتـبة بلغ المعالي وَهْـوَ غـيرُ مهـذبِ
قالـت لي الـنفسُ العروفُ[1] بفضلها مـا كـان أولاني بهـذا المنـصبِ
فأقـولُ يـا نفـسُ ارجعـي وتأدَّبي وثقـي فمـا الحـسدُ الذمـيمُ بمذهبي
هـي سُـنَّةُ الدنـيا فَكَـمْ مِنْ فاضلٍ في الخـاملين وكـم تُـرفِّع مِـنْ غبي

وكفاني تأدبا، ما قلت في الصبا:

قـلْ لمـنْ لامَ لكـوني في مكـانٍ غـيرِ طائـلْ
هكـذا الفاضـلُ مثلـي عـندَ قـسمِ الـرزقِ فاضـلْ

قال الحاكي: فقلت أيها القاضي لقد أعجبتني برضاك وأدبك، فلأن يعاب الزمان فـيك خـير من أن يعاب بك، ثم سألت الصفح عما قدمت، وودعته للرحلة وعزمت، وآلـيت بـآي الكتاب، أن لا أزدري بعدها بشاب، فسبحان من يؤتي من يشاء الحكم صبيًّا، ويخص بعض البقاع بمسك ضائع وإن كان ذكيًّا.

المقامة المشهدية

حـدث إنسان، من معرة النعمان، قال: لما أنست النفس شهرة شهر نيسان، الذي هو لمنطق الطير فصل، ولعين كل حيوان إنسـان، وقد جللت البسطة من السندس بـسطا، وكللت الأغصان من زهـر الزهر سمـطا، ورضيت الرياض عن سحب أذيال الـسحاب علـيها، ونظـرت العيون بنظرها إليها، حنـت النفوس إلى معاودة العوائد، وحـثت علـى مشاهدة المشاهد[2]، وارتقبت فرح المفـرح ومألفها، ولوت عنقها عمن عـنفها، وطلبت مركزها من دائرة الديور، ورأت تقـاعدها عن مقاعدها بتلك القصور مـن القصـور[3]، فغلبت النفس اللوامة، ولبسـت للسفر لامة، وحصلت على المسرة

---

(١) يروى: الصروف، وهو خطأ.

(٢) يقصد بهذه المشاهد قبور الأولياء وأضرحتهم، وسيأتي ما يدل على إنكاره لذلك وتحريمه.

(٣) بـين القـصـور والقصور جناس تام، الأولى: بمعنى المباني العظيمة، والثانية: من قصر في الأمر قصورًا.

ورجعـــت، وشـــرعت في الرحلة وأسرعت، فبينا أنا أفلي الفلا، وإذا غبار قد علا، فأعجزني كـــونه، وأزعجني لونه، فرقبته على رأس جبل رقيته، وحسبته أمرًا خشيته، فانقشعت سحب حجبه، عن أمير كبير في طلبه، فحين دنا مني، سألني عني، وقال: من أين وردت؟ وأي مكان أردت؟، فأنبأته بصدقي عن قصدي، وأطعته فأطلعته على ما عندي، فقال: لقد بطل هذا أيها الـــبطل، وظهـــر لأئمة الأمة فيه الخطأ والخطل، ولقد صدق خبر جهين، وصدقك دون مين، ولـــولاي لغاب خبرك وخيرك، وخاب سبرك وسيرك، أطلابًا للمحرم وربيعه صفر، وارتكابًا للمـــأثم حـــتى علـــى سفر، فقلت: بأبي أنت وأمي، أوصل الخبر إلى فهمي، فقال: لقد أفتى المفـــتون، أن مـــشاهد المـــشاهد مفتون، وها أنا قد جردت من دار العدل المعمور، لأغيب حاضري المشاهد وأزري على زائر الديور.

وأصـــــدُّهُمْ عـــــنْ بدعـــــةٍ عَظُمَـــتْ فخـــيفَ لهـــا الـــسطا
وأردُّهُـــــم عـــــنْ خطـــــةٍ أُلِفَـــتْ فألقـــتْ في الخطـــا

فقلـــت أيهـــا الأمير الجليل، هل أبدى لهذا التحريم دليل، فقال: لقد ذكر لذلك أدلـــة، تدع أعزة حاضريها أذلة، منها شدُّ رحالهم إلى غير المساجد الثلاثة، ومشاركتهم أهل الكتاب في الأعياد والخبـــائة، وتشبههم بالمجوس في إضرام النار، وإضاعة المال المنهي عنها في الأخبار، واختلاط النـــساء بالرجال، وركوب الأخطار والأوجال، ولهوهم عن العـــبادة والجماعات، وإقبالهم على اللعب والســـماعات، ومحاكاتهم الجاهلية في أسواقها، وإحـــداث أحداث العشيرة في الشريعة ما ليس من قياســـها ولا سياقها، وزيادة عيد ما وردت بـــه الرسالة، وارتكابهم أمرّ أمر مبتدع وكل بدعة ضلالة، ويغني عن هذا كله خبر فرد "كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد"[1]، هذا مع ما أحاط به علم الناهي، مـــن دلائل لا حـــصر لهـــا ولا تناهي، مما يقصر عن بعضه أشباهي، فارجع أيها المسكين إلى بلدك، واحـــرص علـــى تقـــويم أودك، واســـتغفر لذنبك، وتب إلى ربك، من هذه البدعة التي

---

(١) أخـــرجه الـــبخاري في "الصلح"، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود- (٢٦٩٧)، ومسلم في "الأقضية"، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور- (١٧١٨).

من استحلها من الأنام، خيف عليه الردة عن الإسلام[1]، واحمد الله على تمييز الحال، بين بيوت الهدى والضلال، فقد ارتاحت أرواح أهل روحين[2]، وترك أهل تيزين[3] التزيين، وتوفرت على الإنسان العين، وفطن أهل سرمين[4] لسر المين، وتاب أعيان عينتاب[5]، وما عزّ على ناسكي ساكني عزاز[6] هذا الصواب، وأصبح به أهل الباب أهل الباب، وضحكت له ثغور الثغور، ودارت الدوائر على الديور، وغير طور الطور، وكنس أثر كنيسة[7] أريحا، وخلصت الرزيئة من الرزيئة خلاصًا صحيحًا، وغاب الريا عن مشهد أوريا، وفاضت عيون الغيض سرورًا، وأصبح الأنصاري بالأنصاري منصورًا، والأمل من رافع الأكم، ودافع السقم، وغاية القسم، أن تبطل هذه المعرة عن المعرة، وأن يسري إليها العتق حتى تصير مثل البلاد حرة، لئلا يقول عنهم شماهم، سواء محياهم ومماهم، ولئلا يقرأ لهم ذو حلم، معرة بغير علم، فلو كشف الغطاء عاجلاً، لسعى فارسهم في إبطاله راجلاً، وهب أنه قطعت سوق السوق، وجدعت أنوف الفسوق، وأمر عيش الحلاويين، وهوى سماك السمّاكين، وذهبت شوا بائع الشوا، وأصبحت التجار، تجأر ولا تجار، وخسر طلاب الجلاب، وانقطع نشاب النشاب،

---

(١) انظر: كيف أطال في بيان دلائل تحريم السفر والارتحال لقصد تلك المشاهد لما يكون عندها من الشرك وقصد غير الله تعالى والتوجه إليه، ودعائه وطلب الحوائج منه، ولذا قال في هذه البدعة: "من استحلها من الأنام، خيف عليه الردة عن الإسلام".

(٢) بضم أوله وسكون ثانيه وكسر الحاء المهملة وياء مثناه من تحت وآخره نون: قرية من جبل لبنان قريبة من حلب [معجم البلدان- (٣/٨٧)].

(٣) بعد الزاي ياء ساكنة ونون: قرية كبيرة من نواحي حلب، كانت تعد من أعمال قِنَّسْرين، ثم صارت في أيام الرشيد من العواصم مع منبج وغيرها [معجم البلدان- (٢/٧٧)].

(٤) بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر ميمه ثم ياء مثناه من تحت ساكنة وآخره نون: بلدة مشهورة من أعمال حلب، وقد ذكر الميداني في كتاب الأمثال أن سرمين هي مدينة سدوم [معجم البلدان- (٣/٢٤٣)].

(٥) قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية [معجم البلدان- (٤/١٩٩)].

(٦) بفتح أوله وتكرير الزاي وربما قيلت بالألف في أولها والعزاز أرض صلبه، وهي بليدة فيها قلعة [معجم البلدان- (٤/١٣٢)].

(٧) في الأصل: كنسية.

وخـاب حـزر الحروزية، وانقبضت بسطة البسيطة وسدت الطرق على الطرقية، وأقسم الأقـسماوي، أن هـذا أمـر سماوي، وغابت أقمار المقامرين، وأخمل أصحاب الحديث حديث للمسامرين، وبطل التفاف التقاف، وعطل التقاف التقاف، نفرت ظباء الغنى ولا بـدع أن تنفر، وألقى المشبب الشبابة وقال كم مثلها فارقتها وهي تصفر، وكورت شمس الـشعراء وزمر الزمر، وكفت أحزاب النساء عن ممتحنة المجادلة إذ قضي الأمر، وزهدت نفوسهن في نقوشهن، وتعدين عن حدودهن، في تخمير تحمير خدودهن، وأنفن من تحسين الأنوف، وتركن القروط والشنوف، وما ألوين على لبس الملون، وخلين الخلاخل تخلية من هون، فلقد ذاق أبو مره، بذلك الجرعة المرة، وآلت عليهم الشريعة الشريفة ألية بره، أن لا تجعـل لهم إلى مشاهدة المشاهد كره، وعزل عن المشهد سلطانه الزور، وأغمدت سيوف لعبه بمفرق جمعه المنذور.

أسمـاء مملكـة في غـير موضـعها ... كالهـرِّ يحكـي انـتفاخًا صولة الأسد

فقلت أنشدك الله أيها الأمير، وأقسم عليك بالعليم الخبير، من هو المنبه على هذا الأمر؟ والمطفئ لشرر هذا الجمر؟، فأبرّ قسمي في الحال، وأنشدني بارتجال:

سـألتُ مـنِ الناهـيَ عن البدعِ التي ... يظـلُّ لهـا[1] المنطـيقُ وَهْوَ صموتُ

هـوَ ابـنُ الزَّمَلْكاني[2] الهمامُ الذي له ... تُقـى وفـنونٌ جمَّـة وقـنوتُ

إمـامٌ مـتى يذكـرْهُ في العلـمِ ذاكرٌ ... تقـرُّ لـهُ في المعـضلاتِ رتـوتُ

أولـو الفـضلِ والآدابِ والعلمِ والحجا ... لديْـهِ إذا جـدَّ الجـدالِ سُـكوتُ

ومـا تـنفعُ الآدابُ والعلـمُ والحجـا ... وصـاحبُها عـندَ الكمـالِ يمـوتُ

فلمـا علمـت أن مـولانا قاضـي القضـاة كمال الديـن، شـيخ الإسلام والمسلمين، لازال نداه مثل حرف النداء، كفيلاً بضم الأقربين والبعداء، من وصل به نال عـرفًا، واكتسب تابعه على اللفظ والمحل عطفًا، حتى يكون علمه علمًا منصوبًا، وعواطفه للمعـارف خبرًا مبتدأ به منسوبًا، ولا برح مرفوعًا بفعل الحسنى، وسيوف بحوثه ماضية

(١) في الأصل: بها.

(٢) في الأصل: الزملكي.

فهي على الفتح تبنى[1]، هو الذي بدع أهل هذه البدعة، وأطفأ شمعة السمعة، وأمر بالمعروف المعروف، وقبح العكوف على هذا المألوف، وسد فرج الفرج، وداوى جرح الحرج، ونبه على لغط الغلط، وكسر سقط السقط، فحينئذ رجعت عن قصدي وأطرحت كلفتي، وأقسمت بفرحتي، قبل حلول حفرتي، لأتركن حرفتي، ومن للقاضي المسكين، من الذبح بغير سكين.

وأجبت مَنْ يلحى على تركِ القضا — تلفُ العدوِّ على العدوِّ رخيصُ
قَدْ قيل لي قاضٍ فأيُّ مزيَّةٍ — لاسمٍ هو المستثقلُ المنقوصُ

فلأعملن على المقام بين يدي هذا الإمام، الذي من فوت فوائده، فكأنما وتر ولده وعقَّ والده، ولأستشفعن به إليه، في الإقامة بين يديه، ثم فرغت لي ذهنًا، ونظمت قصيدة في هذا المعنى، اغترفتها من بحره، وأعذتها بستره، من القدح في رمادها، والعدول بها عن مرادها، وهي:

طولُ المقامِ بدارِ الحرثِ برَّحَ بي — فالحزمُ رجعايَ عن قصدي وعن طلبي
أفنيتُ عمري بلا علمٍ علمتُ ولا — خيرٍ عملتُ ولا مالٍ ولا أدبِ
إنَّ الضياعَ ضياعٌ للزمانِ وَمَنْ — يلِ المناصبَ لا ينفكَ ذا نَصَبِ
والعجزُ أوجبَ لي سلبَ الخمول ولو — شئْتُ الخمول مع الركبانِ لم أجبِ
رضيتُ راحةَ روحي فاحتُقِرْتُ ولو — تعبتُ نلتُ رخيمَ العيش في التعبِ
ومذْ صحبْتُ سوى جنسي ضنيتُ به — والشَّمعُ لولا جوارُ النارِ لم يذبِ
أمِرْيَةٌ بعدَ تجريبي فلستُ وإنْ — رامتْ مطامعُ تجري بي[2] بمنقلبِ
أمْ هلْ أشكُّ وقدْ جربتهم زمناً — وعفْتُ أكرمَهم[3] رمياً فلا وأبي

---

(١) هذا من بديع التورية.

(٢) في نسخة: "تجريبي"، والمذكور هنا أولى لما فيه من جناس بين الاسم والفعل.

(٣) في نسخة: أكثرهم.

كـــمْ ذا[٣] أصـــاحبُ ذا جهلٍ أُساءُ بهِ ... تـــرى[١] الـــسلامةَ مـــنهُ خيرَ مكتسَبِ

ممَّـــنْ أراهُ صـــديقاً في اليـــسارِ ولَـــوْ ... مـــالَ الـــزمانُ تـــولى مـــسعدَ النوَبِ

فـــسمعُهُ عـــنْ مقالِ الصدقِ في صممٍ ... وقلـــبُهُ عـــن فعـــالِ الجـــدِّ في لعـــبِ

إنْ أبـــكِ يـــضحكْ وإنْ أعقلْ يجنَّ وإنْ ... أقـــرَّ يعـــبثْ وإنْ أحـــضرْ لـــهُ يغبِ

ولـــيس يكـــشفُ عـــني مـــا أكابـــدُهُ ... ومـــا أقاســـيهِ مـــنْ هَـــمٍّ ومنْ وصبِ

إلا إمـــامُ الهـــدى قاضـــي القضاة وَمَنْ ... أحـــيا العلـــومَ وأعلـــى رتـــبةَ الأدبِ

شـــيخُ الأنـــامِ وحيدُ العصرِ جامعُ أش ... تـــاتِ الفـــنونِ بـــلا مَـــيْنٍ ولا كذبِ

لـــو لم تكمَّـــلْ بـــه العلـــيا مـــراتبَها ... مـــا قـــيلَ عنهُ كمالُ الدينِ ذو الرتبِ

ابـــن الأفاضـــلِ والغـــرِّ الأماثـــلِ وال ... شهبِ الكواملِ[٢] ردءُ الناسِ في الشَغَبِ

زيـــنُ المـــدارسِ جلابُ[٤] النفائسِ غَلْ ... لابُ المـــنافسِ معطـــي القاصدِ الجدبِ

محيـــي الـــثغورِ ندىً مجني الكَفور ردىً ... مـــولي الشكورِ هدىً كفَّاهُ كالسُّحُبِ

يـــا كامـــلَ الفـــضلِ جمَّ البذلِ وافرَه ... جـــوداً مديـــدَ القـــوافي غيرَ مقتضبِ

إني أحـــبُّ مقامـــي في حمـــاكَ وَمَـــنْ ... يكـــنْ بـــبابكَ يـــا ذا الفضلِ لم يَخِبِ

فليـــتني مـــثلُ بعـــضِ الخـــاملينَ ولا ... تكـــونُ تولـــيةُ الأحكـــامِ مِنْ سببـــي

فـــالحكمُ مَتْعَـــبَةٌ للقلـــبِ مَغْـــضَبَةٌ ... للـــربِّ مَجْلَـــبَةٌ للـــذنبِ فاجتـــنبِ

وإن تكـــنْ رتـــبتي في الـــبرِّ عالـــيةٌ ... فالكـــونُ عـــندَكَ لي أعلـــى من الرتَبِ

فانظـــرْ إليَّ وجُـــدْ عطفـــاً عليَّ عسى ... رزقٌ يعـــين علـــى ســـكنايَ في حلبِ

والـــبرُّ أوســـعُ رزقـــاً غـــيرَ أنّـــيَ في ... قلـــبي مـــنَ العلـــمِ والتحصيلِ والطلبِ

وفي المـــدارسِ لي حـــقٌّ فمـــا بُنـــيَتْ ... إلا لمثلـــيَ في حجـــرِ العلـــومِ رُبي

---

(١) في نسخة: يرى.

(٢) في نسخة: الثواقب.

(٣) في نسخة: لي.

(٤) في نسخة: حلاب.

أهلُ الإفادة[2] والفتوى أنا ومعي ... خطُّ الشيوخ بهذا فامتحنْ كتبي

و[3]إنَّ في عمرٍ عدلاً ومعرفةً ... فكيفَ يُصْرَفُ عن هذا بلا سببِ[1]

قالوا فلمْ تطلبِ العزلَ الذي هربَتْ ... منهُ القضاةُ قديماً غايةَ الهربِ

فقلتُ نحنُ قضاةَ البرِّ مهملةٌ ... أقدارُنا فَهْيَ كالأوقاصِ في النصبِ

مَنْ كان منَّا جريًّا أكرموه وول ... لوه المناصبَ بالخطْباتِ والخطبِ

ومتقي اللهِ منَّا مهملٌ حرجٌ ... مروَّعُ القلبِ محمولٌ على الكربِ

لا يعرفونَ لهُ قدراً وعفتُهُ ... يخشَونَ إعداءها للناسِ كالجربِ

إنْ دامَ هذا وحاشاهُ يدومُ بنا ... فارقْتُ زيي إلى ما ليسَ يجملُ بي

وقلتُ يا فقهُ فقتُ المثْلَ فيكَ فلِمْ ... خصصتني بمكانٍ ما ارتضاهُ غبي

وكيفَ يا نحوُ نحوَ الخفضِ تعطفني ... وَقَدْ نصبْتَ قسيَّ الجزمِ في نصَبي

ترى بقولي زيدٌ ضاربٌ مثلاً ... عمراً أردتَ تجازيني على كذبي

ويا أُصولُ إلى كم ذا أصولُ ومِنْ ... غيرِ الدعاوى ومني الصدقُ في طلبي

ويا بديعَ المعاني والبيان خذي ... غيري فقدْ أخذَتْني حرفةُ الأدبِ

يا سيدي يا كمال الدينِ خذْ بيدي ... منَ القضاءِ فما لي فيهِ مِنْ أربِ

البرُّ يصلحُ للشيخِ الكبيرِ ومن ... رمى سهاماً إلى العليا فلم يُصبِ

أما الذي عُرفَتْ بالفهمِ فطرتُهُ ... فإنَّهُ في مقامِ البرِّ لم يطبِ

لا زلتَ عوناً لأهلِ العلمِ تكنفهم ... ما لاحَ برقٌ وناحَ الورقُ في القضبِ

---

(١) هذا من بديع التورية حيث ذكر العدل والمعرفة والصرف وهي من مصطلحات النحو؛ لأن "عمر" يمنع من الصرف للعلمية والعدل، ولكنه لا يريد ذلك؛ إنما يريد ما عرف به عمر من العدل ومعرفة الله تعالى ونحو ذلك.

(٢) في نسخة: الإعادة.

(٣) في نسخة: "فـ".

وقال إجازة بقراءة الألفية لابن ريَّان

أمـــا بعد حمد الله الذي منح خلاصة النحو كلَّ مقرب، وفتح لمن برزت ضمائره في طلـــب العلـــم باب معرفة وهو باب صحيح مجرب، والصلاة على رسوله محمد الذي شـــهدت مسئلة تنازع الفعلين بفضله فإن كان الأنبياء عليهم السلام أسبق فنبينا صلى الله عليه أقرب، وعلى آله وصحبه الذين نزهوا عن الأفعال الناقصة والمقاربة فبنى بهم الإسلام علـــى الفتح، فلله هو من مبنيّ معرب، فقد قرأ عليّ القاضي شهاب الدين أحمد ابن ريان جعلـــه الله وقـــد فعل فقيه أهله، ولا صرفه عن علميته ووزن فعله، جميع كتاب الخلاصة الألفية، في علم العربية، للعلامة جمال الدين أبي عبدالله محمد بن مالك روى الله بسحائب الـــرحمة ثرى لحده، وصرفنا وإياه ببركة سميه عن سمي جده، وما اكتفى بذلك حتى شرح علـــيّ شرحها لابن المصنف من أوله وآخره، ووقف على معانيه ومغازيه وباطنه وظاهره، وأدأب نفـــسه في شرح هذا الشرح الطويل، وعول على إدراك أسراره أيّ تعويل، فنحا نحـــوه بفهـــم ثاقـــب دراك، وتصرف في تصريفه تصريف الملاك، وفاز بحمد الله بخلاصة الـــشرح وشـــرح الخلاصة، وظفر بهمته الشامخة وعزمته الباذخة بخلاصة الشرح وشرح الخلاصـــة، وصـــار أهلاً لإقراء هذا الكتاب وأصله، وأعرب عن ذهن وقاد يشهد بفطنة فطـــرته وفضله، وأخبرته أن شيخنا قاضي القضاة شرف الدين بن البارزي الحموي حبر الأمـــة وعـــالم عالمهـــا، أجازني بالخلاصة عن ناظمها، وأخبرني على صدق لهجته وعلو مقداره، أن هذه الخلاصة صنفت له وفي داره، فهو إذن أحق العالم برفع رايتها، ومن أولى الناس بروايتها.

وله إجازة بعرض الكافية في النحو

أمـــا بعـــد حمد الله المقدمة رحمته، الكافية نعمـــته حمدًا يبلغ به المقرب خلاصة التسهيل، ويمسي به مفصل الجمل وهو بإيضاح العمـــدة كفيل، والصلاة على نبيه محمد الـــذي ألف التقوى، ولام أهل العدوى، ودال على كل كاف من أهل العـــناد، وذال إذ قـــصر ثـــيابه فطمس عين أهل الشرك وفاء بعين المراد، وباء من إسرائه الشريف بما صاد الأضـــداد، وشين حاسده بما بان لكل راء في يس وص، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أفـــضل من جاهد وصبر ما نصب بأن الاسم ورفع الخبر، فإن فلانًا عـــرض عليّ المقدمة

الكافـــية والله يؤتـــيه فيما حفظ فهمًا يعجب الناظر ويسر الصاحب، وعملاً يقول عنده المصنف أفدي هذا العارض بالحاجب.

وله من إجازة ببهجة الحاوي من تصنيفه

أمـــا بعد حمد الله مثيب من اغترب ليتفقه، والصلاة على محمد الذي لم يزل خيرًا من خير على أيّ صفة كان من أصل الخلقة، وعلى آله وصحبه الذين علموا وعملوا بقوله تعالى: ﴿فَلَـــوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾[1]، فقد قرأ عليّ فلان ذو الذهن الوقاد، والفكر المنقاد، جمل الله بـــبقائه الملة، وكثر في الناس أمثاله ففي الأذكياء قلة، جميع كتابي المنظوم في الفتاوي، الموسوم بـــبهجة الحـــاوي، حفظًـــا من لبه، وطردًا أمن به عكسًا عن ظهر قلبه، قراءة زاد بها البهجة ابـــتهاجًا، وألـــبس عروســـها المجلوة بحسن أدائه تاجًا، وضوع منظومه برائحة المنثور وصير لتحـــصيلها بقلب طيب، فصدق قول أبي الطيب، أن العظيم على العظيم صبور، وكان حفظه لها في مدة ليست مديدة، وأشهر كما يقال غير عديدة.

فـــيا لَـــهُ مِـــنْ نَحـــيفٍ ... قـــدْ صـــارَ ضـــخمَ المعـــالي
والـــسهمُ أبعـــدُ مرمـــى ... مـــنَ الـــرماحِ الطـــوالِ

وبعـــد أن أداهـــا حفظًا، بحثها عليّ لفظًا لفظًا، فزاد بعرضها طولاً، وتلوت عند بحـــثها ﴿وَلَلآخِـــرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأولَى﴾[2]، فإنه وقف على أسرارها ورموزها، وتنبه لـــدقائقها وكنوزها، على وجه جزمت معه بذكائه وفضله، وعلمت أنه صار أهلاً لأقراء هذا الكتاب وأصله، والله المسئول أن يطيل عمر هذا الشاب الذكي ويبلغه ما كان طالبًا، ويرفع قدر هذا الشمس حتى يكون:

كالـــشمس في أفـــق الـــسماء ونورها ... يغـــشى الـــبلاد مـــشارقًا ومغاربًـــا

فكأن الجد في التحصيل قال له عليك أثني، قائلاً قلت أوليائي فهب لي من لدنك وليًا يرثني.

---

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) الضحى: ٤.

وله من إجازة بعرض حنفي كتاب البداية

أما بعد حمد الله على حسن البداية، والصلاة على نبيه محمد الموصوف في الكتب بما فيه الكفاية، وعلى آله وصحبه سفن النجاة ونجوم الهداية، فقد عرض عليّ محمد بن الحسن الحنفي من كتاب البداية مواضع وافرة، أوائله وأوساطه وأواخره، فجرى فيه بلسان رطب فصيح، جرى من جمع بين طرفيه بالياء والنون وهذا جمع السلامة وبالفاء والواو وهذا جمع التصحيح، فهو نجيب من نجيب، لا بل عجيب من عجيب، لا بل علم من علم، ومن يشابه أبه فما ظلم، والله تعالى يرزقه العلم والعمل بما في الكتاب، وغير بدع لمحمد بن الحسن أن يعد من الأصحاب.

وله من إجازة بعرض كتاب التنبيه

أما بعد حمد الله الذي زاد أهل العلم علاء، والصلاة على نبيه محمد أطيب العالمين ثناء، وعلى آله وصحبه الذين ملأت الدنيا محاسنهم ضياء، صلاة دائمة يكملون منها شرفًا ويزيدون بها بهاء، فقد قرأ عليّ علاء الدين أدام الله علو قدره، ومتعه بنور شمسه وبدره، جميع كتاب التنبيه للشيخ العلامة ولي الله أبي إسحاق الشيرازي سقى الله ثراه عهاد الرحمة، ونفعنا به وبسائر علماء الأمة، في مجالس آخرها كذا قراءة متقنة فصيحة، محكمة صحيحة، دلت منه على همة شامخة، وعزمة باذخة، مضى في حفظه طردًا فأمن من العكس بذلك الطرد، وسرده بتقدير فلله من قدر في السرد، وجمع بين طرفيه جمع من هو بالتحصيل ملي، وصقل فقرأت كلمة فلا سيف إلا ذو الفقار وفاق به أمثاله فلا فتى إلا علي، وجرى فيه كسوابق الخيل، فلئن كان العارض عليًّا فالمعروض في السرعة كجلمود صخر حطه السيل، وقد أجزت له أن يرويه عني وجميع ما لي من منقول ومعقول بشرطه، عند أهل ضبطه، والأمل ممن جعله من حفاظه، أن يرزقه بحث ما تحت ألفاظه، حتى يقول عنه كشف المعاني وحلها، قضية ولا أبا الحسن[1] لها، ليعد بمعرفة كتابه هذا من القوم، ويشتهر في تحقيقه فمن أحب التنبيه أبغض النوم.

---

(١) في نسخة: حسن.

ومن تهنئة بقدوم من الحجاز

يا عالماً عاملاً قد جلّ تشبيهاً عن البدور وفي العلياء يحكيها
وفاضلاً فاضلاً تحوي بدايته من النهاية تهذيباً وتنبيها
لا ما حججت بل الآداب أجمعها وما قدمت بل الدنيا وما[1] فيها

قد طافت كعبة الجود، بكعبة الوجود، وسعى ذو الصفاء والمروة، بين الصفا والمروة، وكان وادي محسر مفتوح السين لرؤياه، فتأرج بالركنين من قلبه ورياه، وأصبح أعداؤه محصرين، وأمسى من المحلقين، وحساده من المقصرين.

ومن رسالة

قد قيدنا بالإحسان، وبلّ أجنحتنا بنداه فعجزنا عن الطيران، حتى قال أبناؤه كناية عنا، ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا.

وكتب على قطعة من شعر بدر الدين حسن بن حبيب بعد أن كتب عليها الفاضل جمال الدين بن نباتة

تأملت هذه النبذة التي رق من قائلها الطباع، فافتخرت بنظرها الأبصار على الأسماع، فوجدتها مشتملة على مباني القوافي الفوائق، والمعاني الرواقي الروائق، فقبسها بدري وكوكبها دري، هاجت لي ذكرى حبيب، فهي زبدة من حلب لابل قطعة من طيب، أعذب من الوصال، وألذّ من الماء الزلال، وألطف من الرياض عند الصباح، وأرق من رحيق الطل في ثغور الأقاح، فيالها من مقطعات نيل، أضرمت في روح كل كليم نار خليل، قدر ناظمها في السرد، وقال ناظرها بالجوهر الفرد، ونابت مناب سيوف الهند، وأغنت عن التشبيب بسعاد وهند، ما أطول صفات شعرها وإن كان قصيرًا، فلو ألقيت على وجه أبي العلاء لأتى بصيرًا، ومن سلك من الجماعة هذا الطريق وهو نقيّ خدّ، فما الظن به إذا تحلى لسانه وعارضه برسم وحدّ، وكيف به إذا تعلق بأفنان مواد هذا الفن وامتاز، ونزل بدر خده في دارة دار الطراز، هنالك يبين للناظرين

---

(١) في نسخة: بما.

أن الوليد كان عابثًا، وأن ابن حبيب لأبويه في الأدب والنسب أصبح وارثًا.

أقسمتُ إنْ جدَّ وطالَ المدى أروى[1] الورى مِنْ بحرِهِ الزاخرِ
فقلْ لمنْ بالسبقِ تفضيلُهُ كمْ تركَ الأولُ للآخرِ

وما لي لا أصف هذه النبذة فأغلو في وصفها، وقد شهدت الألفاظ النباتية بحلاوتها ولطفها، قرن الله قوله وفعله بالتوفيق، وصان شأنه عمن شأنه فشين الحسن لا يليق.

وله من توقيع بعدالة

الحمد لله الذي زاد رتبة العدالة شرفًا وجاهًا، ورفع منصبها عن سائر المناصب وأعلاها على أعلاها[2]، وجعلها همة من شرفت نفسه وزكت وقد أفلح من زكاها، واختار لها من عباده أقوم قوم ملأوا بالثناء على سيرتهم مسامع وأفواهًا، وتمسكوا للديانة من أسباب تقواها بأقواها، ونزهوا نفوسهم عن نقائص كالليل إذ يغشاها، فظفرت مطالبها بعد المطال بها فإذا هي كالنهار إذا جلاها، أحمده على نعم أولاها ووالاها، وأشكره على منن لو عدها العاد ما أحصاها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يحبها ويرضاها، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خير البرية وأتقاها، وأنزه الخليقة عرضًا وأنقاها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة يسعد ببركتها من صلاها، وتظفر منها النفوس في الدارين بمناها، وبعد؛

فإن أولى ما انتهضت إليه الهمم العلية، وعكفت على تحصيله النفوس الزكية، وانشرحت بمطلبه صدور الصدور، وصلحت بسببه الطروس[3] للسطور، ما كان في الدارين نافعًا، ولمكارم الأخلاق جامعًا، وبذروة العز منوطًا، وفي سائر المناصب الدينية مشروطًا، وهو منصب العدالة التي هي محافظة دينية في السر والنجوى، يجتنب صاحبها

---

(١) في نسخة: رَّوى.

(٢) فيه جناس تام بين الفعل والاسم.

(٣) الطروس: جمع طرس وهي الصحيفة، وبين الطروس والسطور جناس.

البدع فتحمله على ملازمة المروءة والتقوى، ولما كان الصدر الفلاني ممن حسنت سيرته، وأمنت سريرته، وتناسبت أحواله، واعترفت بحسن طريقته أمثاله، وكانت العدالة من مراتب أبيه، ولا شك أن الإرشاد إلى منهاج الوالد من التنبيه، استخار الله تعالى مولانا قاضي القضاة ونوه بتبجيله، وأشهد على نفسه الكريمة بتعديله، جعله الله ممن صدع بالحق، وجلا أمره في عين المعترف وفي قفا المنكر دق، وعصمه من فرقة في قلوب الحكام من تدليسهم دود، وهم على ما يفعلون شهود.

ومن إجازة لضياء الدين سليمان العجمي بنظم الحاوي

أما بعد حمد الله الذي جعل ضياء العلم ناسخًا لظلام الجهالة، والصلاة على نبيه محمد مخمد نار الضلالة، وعلى آله الذين أصبحوا في جهاد العدو آله، وعلى صحبه المسترسلين إرسالاً إلى تصديق الرسالة، فقد أجزت الفقيه الفاضل ضياء الدين سليمان الفارسي، طال بقاؤه، وطاب لقاؤه، أن يروي عني منظومتي الموسومة ببهجة الحاوي في الفقه وجميع ما لي من معقول[1] ومنقول بشرطه مع علمي بأن عجمته تمنع صرفه عن فهم ما يروم، وفارسيته يتناول رجالها العلم ولو كان العلم في النجوم، وذلك بعد أن سمع جميع البهجة عليّ، وتلقف من غررها عني ولديّ، مع فوائد يبخل بها لفساد الزمان، وجدته لها كفؤًا ففهمناها سليمان[2]، والله تعالى يسعفه بإتمام العلم، ويشفعه بالأناة والحلم، ويبلغه قصده بكرمه وفضله، ويمن على أهله ببقائه فهو ضياء أهله.

وكتب على فتوى في الفتوّة

أما بعد حمد الله الذي من اتبع ما أنزله قُبل، ومن خالف كتابه وسنة نبيه خُذل، والصلاة على رسوله محمد الذي شريعته هي الفتوّة حقًّا، وطريقته هي المروءة صدقًا، وعلى آله أهل الرأفة والإشفاق، وصحبه المأخوذ عنهم مكارم الأخلاق، فقد غاظني حتى هاضني، وأحنقني حتى خنقني، ما أحدثه أهل الجهل والابتداع، وسكت عنه

(١) في الأصل: مقول، وهو خطأ.

(٢) تضمين لقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[الأنبياء: ٧٩].

العلمـــاء حتى شاع في الرعاع وذاع، وهي البدعة التي يجب إعفاء رسمها، والنكرة المعروفة بالفـــتوة وهي ضد اسمها، وكيف لا وقد عكف عليها تُباع[1] الضلالة، ودعا إليه الجهل وأهل البطالة، يجمعون لها الجموع الأنباط، ويحضرها المرد وأهل اللواط، فمنهم من يتصابى على سنّه، ومنهم من يمشي على بطنه، ومنهم قوم إذا الشر أبدى ناجذيه طاروا إليه، وإن تنحنح ذو سطوة أجابوه بسكين وقرأوا التكاثر عليه، إن أضمرت كلمة الحق ظهروا، وإن بـــني علم الإيمان على الفتح اشتروا، ما أحقهم بنفي الجنس، وما أولاهم بالكسر وجعلهم كأمس.

جنائـــــــزٌ مجمـــــــــوعةٌ بغْضُـــــــمْ كبــــيعِ المفلــــــسِ
لا قـــــــبضَ في صـــــــرفهمُ مــــا هـــمْ خـــيارُ المجلـــسِ

كـــبيرهم العاصي يزيد تيهًا على الفرات وهو عند الشريعة صغير، ويتصدر فيهم بغـــير علم ولا هدى ولا كتاب منير، يلبسهم لباس شر ولباس التقوى ذلك خير، ويشهد الـــنحاة أن قـــوله عليه من اللوم سرواله موضوع لكن لزم هذا اللابس والملبس لا غير، خـــصوصًا إذا كـــان هـــذا اللابـــس نقيّ الخد، فتلك راية فرح الجماعة والطريق إلى ما يـــوجب الحدّ، ويسقيهم ماء له بالملح مزاج، بئـــس الشراب ولو كان عذبًا فراتًا فكيف وهـــو ملح أجاج، فيشقيهم بما يسقيهم، ويطغيهم بما يعطـــيهم، فيضلون بالبدعة جمعًا، وهـــم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ويمد لهم خوانًا، يجمع فســـاقًا وخوّانًا[2]، جمع ثمنه من الشـــشم والأنـــزروت، والقرعة والقمار ورمل التخوت، والزبل والكـــنس والحجامة، والدبـــغ والحوك والنجامة، ومن الزفورية والطرقية، وسائر الحرف الدنية، بعدًا من بدعة ســـفلى، وطريقة مثلى، ما سمعنا بمثلها في أمة، ولا ساعد عليها أحد من الأئمة، وما كفى مـــا أتـــوه مـــن الضلال الجلي، حتى أضافوه جهلاً إلـــى الإمام علي، أقسم بالله أغلظ

---

(١) كذا في الأصل: تُبّاع، جمع تابع.

(٢) بـــين الخِوان بكـــسر الخاء، والخُوَّان بضـــمها جناس، والخوان بالكسر: المائدة، والخُوان: جمع خائن.

يمـــين، أن مـــستحلها يكذب ويمين[1]، الشيطان بغروره دلاه، فاشترط شروطًا ليست في كـــتاب الله، فوقوف كبيرهم لعلة لا لله، ودعوته إلى الباطل في الجملة حيًا كميت، كاذبًا على أهل البيت.

لـــيس الفـــتى كـــلُّ الفـــتى عـــندنا　　إلا الـــذي يَنهـــى عـــنِ الفحـــشِ

يـــأتي إلى الإســـلامِ مِـــنْ بابِـــهِ　　ويتـــبعُ الحـــقَّ بـــلا غـــشٍّ

ليس الفتى من ضرب بالسكين والسيف، الفتى من أطعم المسكين والضيف، ليس الفـــتى مـــن أقام الشنائع وشهر على الأمة السلاح، الفتى من دقق الدرائع وسهر في جمع الكلمة والإصلاح، ليس الفتى من قال بالشاهد، الفتى من يحاسب نفسه ويجاهد، فإن قال أحـــدهم أنـــا أقضي دين المدين، وأجبر المكسور بتسكين روعة المسكين، وأحمل الثقل، وأطلـــق المعتقل، قلنا قصدت به حظ نفسك، وخصصت به أبناء جنسك، ولو سلم هذا فقد أهملت واجبًا لمندوب، وأنت بكذبك على عليّ بن أبي طالب مطلوب.

كـــذبتَ علـــى آلِ الـــنبيِّ بجـــرأة　　ورحـــتَ لأفعـــالِ الحـــرامِ مـــوجِّها

وجـــئْتَ بمعـــروفٍ تـــضمَّنَ منكـــراً　　كمطعمـــةِ الأيـــتامِ مِـــنْ كـــدِّ فَرْجِها

فـــإن احتج للفتوة بأخذها عن الخليفة، قلنا إن صح فبدعة وإن أحدثت كتقبيل العتـــبة الشريفة، وإنما يصح الاقتداء من الخلفاء بالراشدين، الذين أخذ عنهم العلماء أئمة الـــدين، فلا تحرم نفسك الجنة، بمخالفة الكتاب والسنة، وتب إلى ربك من هذه الجهالة، فـــإن كـــل محدثـــة بدعة وكل بدعة ضلالة، وما كان الإسلام ناقصًا حتى تكون هذه له تـــتمة[2]، والله تعالى قد أكمل لنا ديننا وأتم علينا النعمة، والراضي بهذه البدعة كفاعلها، أعاننا الله على إزالة أزلها، وإبطال باطلها، فإنها طريقة مذمومة، وفعلة محرمة مسمومة، كم أفـــتى بتحـــريمها عالم وكم ولي، ولو صحت عن أمير المؤمنين لكانت في القوة كجلمود صخر حطه السيل من علٍ، ولولا خوف التطويل لذكرت ما عليها من دليل،سماها بعض شياطين الإنس فتوة، قصر الله عمره فلا حول وأضعفها فلا قوة.

---

(١) يمين: فعل من مان يمين أي يكذب، والمين هو الكذب.

(٢) هذا كله ما يدل على حسن اعتقاده وسنيته كما نبهنا في المقدمة.

وكتب جوابًا إلى
الشيخ بدر الدين محمد بن مكي المعري بطرابلس

يقـــــبِّلُ الأرضَ ويُنهـــــــي إلى　　علـــومكُم بعـــدَ الثـــناءِ المـــبينْ
ورودَ مرســـــومٍ لكـــمْ ظـــنَّهُ　　كـــتابَهُ أُوتـــيَهُ بالـــيمينْ

فقـــبله المملوك احتفالاً، ونهض له إجلالاً، وشكر مهديه، وتمعنّ[1] معانيه، فكان وصـــوله أعـــذب من الوصال، ومشموله أطيب من الشمال، شفى بقدومه من كان على شفا، ونفى سهرًا كان للنوم حاجبًا وعلى الناظر مشرفًا، فجعل المملوك يستضيء بأنواره، ويطلـــع على أسراره، ويبتهج بالرقيم[2] الصادر عن كهفه، وتتأكد عبوديته المصونة عن الـــبدل لبيان عطفه، فيجد نظمًا ونثرًا، لا بل تأهيلاً وجبرًا، فالأرواح تقل لهذا الجبر عن مقابلـــه، والأشباح تكل لهذا الخط واللفظ عن مماثله، ثم إن المملوك امتثل المرسوم المشرف لقدره، وجهز صحبة قاصد مولانا شيئًا من نظمه ونثره، ولولا مرسومه الشريف لما جهره أصـــلاً إذ لم يـــر ذلك لحضرته العالية أهلاً، والمملوك يسأل بسط عذره لديه، ففي المثل المـــشهور السخيّ بما قدر عليه، وفي فتوة مولانا ما قابله لا بحده بل بصفحه، وتطول على تقصيره بفضله فهو رماد لا فائدة في قدحه، وأما نظم الحاوي المطلوب فالمملوك مهتم في نـــسخه لمولانا وبرسمه، ومقابلته إن شاء الله تعالى وتشريفه باسمه، تجهيزه إليه، ليحصل له البركة بوقوع نظره عليه، والله تعالى يكمل بحياته الفتوح، حتى يحيى بزمان محمدك الخضر كل خليل كليم الروح، والسلام.

وله من تعزية بامرأة

أعظـــم الله أجر سيدي وأجزل له المثوبة، وجعلها آخر كل مصيبة، ومتع بحياته المسلمين، وجمل ببقائه العالمين.

---

(١) في الأصل: تمعني.

(٢) الرقيم: اللوح يتخذ للكتابة يرقم فيه أي يكتب.

وماضـية إلى الـرحمنِ أضـحتْ أجـلُّ نـساءِ أهـلِ العـصرِ صَـبْيا
مـباركةٌ ممـنَّعةٌ رزانٌ تـردُّ عـنِ النِّـسا ذمًّـا وريْـبا
قـرينةُ زاهـدٍ لـولاهُ كانـتْ تـشيبُ رءوسُ أهـلِ العـصرِ شَـيْبَا
تحـنُّ علـى الفقـيرِ حـنينَ أمٍّ وتـرحمُهُ فُـوَيتَ(1) المـوتِ وَيْـبَا
تـزيدُ علـى الـرجالِ نهـىً وعقـلاً ومـا التأنـيثُ لاسـمِ الـشمسِ عَيْبَا
فـصبراً سـيِّدي فالـصبرُ خـيرٌ فلـيسَ بـنافعٍ مَـنْ شـقَّ جَيْـبَا

والمملـوك ينهـي أنه خجلان من قصوره، مستحي لعدم حضوره، ولكن عذره ظاهر، ومحبته يشهد بها الخاطر.

يـا عُـدَّتي يـا عُمـدتي يـا قُـدوتي يـا جابـري
إنْ لمْ أجـئْ معـزِّياً كـنْ في انقطاعـي عـاذري
كـمْ حاضـرٍ كغائـبٍ وغائـبٍ كحاضـرِ

وله من إجازة لابن شجرة

أمـا بعد حمد الله الذي خص هذه الأمة بعلم الإعراب، والصلاة على نبيه محمد الـذي جـر ذيـل الفتوة ونصب علم الصواب، وعلى آله الذين هم آلة تعريف الشريعة والآداب، وعلـى صحبه الذين رفعوا كلمة الحق وخفضوا للمؤمن الجناب، فقد قرأ عليّ الفقيه الجليل، النبيه النبيل، فلان بارك الله فيه، وأقر به عين أبيه، جميع كتاب الجمل للإمام عبدالقاهـر الجرجاني والخلاصة الألفية لابن مالك قدس الله روحيهما، ونور ضريحيهما، سـردهما من صدره فقدر في السرد، وصقل جوهرهما من حفظه فلولا تعددهما لقلت هما الجوهـر الفرد، وجرى فيهما طردًا فأمن به عكسًا، وضمن الحرص له تمييزًا فطاب محمد نفسًا، فلقد أجمل في عرض الجمل، فقلت: لقد ردت هذا العرض طولاً، وأحسن خلاصة الخلاصـة فتلوت ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأولَى﴾، رزقه الله من العلوم أوفى حظ وأوفر مشاركة وجعله فرعًا باسقًا فهو من شجرة مباركة.

---

(١) في نسخة: قُريب.

وله من إجازة

عرض علي كتاب الوافية، في نظم الكافية، لابن الحاجب عرضًا زاد في طوله وطوله، وشهد له به في سدد السؤدد كأصوله، فلو أن صاحبها مشارف وعاملها مباشر لتعجب ابن الحاجب من عرض ابن الناظر عامله الله بلطفه وفضله، وجمل به المناصب كما جملها بأهله، ونقط جبين العليا بشكله، وزان الوجود بوجود مثله، وقرن حركاته وسكناته باليمن والأمان، ولا صرفه عن الفضل فهو إبراهيم ولا أظمأ فرعه من العلم فأصله ريان.

وله من رسالة

يقبل مواطئ القدم التي تتشرف بها مفارق الطرق، وتحسد حصباءها نجوم الأفق، ويصف أشواقًا لا تحلى باسم ولا صفة، وموالاة يمتنع صرفها لاجتماع العدل والمعرفة[1]، وينهى أنه مازال يحج من أقلامه إلى كعبة مدحكم على كل ضامر، ويلازم باب رجائكم، فواعجبًا لعمر وهو ببابكم غير معدول عن عامر.

وله رسالة السيف والقلم

لما كان السيف والقلم عدتي العمل والقول، وعمدتي الدول فإن عدمتهما دولة فلا حول، وركني إسناد الملك المعربين عن المخفوض المرفوع، ومقدمتي نتيجة العذل الذال الصادر عنهما المحمول والموضوع، فكرت أيهما أعظم فخرًا، وأعلى قدرًا، فجلست لهما مجلس الحكم والفتوى، ومثلتهما في الفكر حاضرين للدعوى، وسويت بين الخصمين في الإكرام، واستنطقت لسان حالهما للكلام.

فقال القلم: بسم الله مجراها ومرساها، والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها، أما بعد حمد الله باري القلم، ومشرفه بالقسم، وجعله أول ما خلق، وجمل الورق، بغصنه كما جمل الغصن بالورق، والصلاة على نبيه محمد القائل جفت الأقلام، وعلى آله وصحبه أعلم المعارف وأعرف الأعلام، فإن القلم قصب السباق، فالكاتب بسبعة

---

(١) هذه تورية؛ لأن مما يمنع صرفه كعمر يكون للعدل والمعرفة، فهو معرفة معدول عن عامر.

أقـلام مـن طبـقات الكتاب في السبع الطباق، جرى بالقضـاء والقدر، وناب عن اللسان فيما نهى وأمر، طالما أربى على البيض والسمر، في ضرابها وطعانها، وقاتل في البعد والـصوارم في القـرب ملء أجفانها، وماذا يشبه القلم في طاعة ناسه، ومشيه لهم على أم رأسه.

قال السيف: بسـم الله الخافـض الرافع، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع، أمـا بعـد حمـد الله الذي أنزل آية السيف، فعظم بها حرمة الجرح وأمن خيفة الحيف، والـصلاة على نبيه محمـد الذي نفد بالسيف سطور الطروس، وأخدمه الأقلام ماشـية على الرؤوس، وعلى آله وصـحبه الذين أرهفت سيوفهم، وبنيت بها على كسر الأعداء حـروفهم، فإن السيف عظيم الدولة، شـديد الصولة، محا أسطار البلاغة، وأساغ ممنوع الإساغة، من اعتمد على غيره في قـهر الأعداء تعب، وكيف لا وفي حده الحد بين الجد واللعـب، فإن كان القلم شاهدًا فالسـيف قاض، وإن اقتربت مجادلته بأمر مستقبل قطعه الـسيف بفعل ماض، به ظهر الدين، وهو العدة لقمـع المعتدين[1]، حملته دون القلم يد نبيـنا، فشرف بذلك في الأمم شرفًا بينًا، الجنة تحت ظلاله، ولاسـيما حين يسل فترى ودق الـدم يخـرج من خلاله، زينت بزينة الكواكب سماء غمده، وصدق القائل السيف أصـدق أنـباء من ضده، لا يعبث به الحامل، ولا يتناوله كالقلم بأطراف الأنامل، ما هو كالقلم المشبه بقوم عروا عن لبوسهم، ثم نكسوا كما قال الله تعالى على رؤوسهم، فكأن الـسيف خلـق من ماء دافق، أو كوكب راشق، مقدرًا في السرد، فهو الجوهر الفرد، لا يشرى كالقلم بثمن بخس، ولا يبلى كما يبلى القلم بسواد وطمس، كم لقائمه المنتظر من أثـر، في عين أو عين في أثر، فهو في حراب القوم قوام الحرب، ولهذا جاء مطبوع الشكل داخل الضرب.

قال القلم: أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين، يفاخر وهو القائم عن الـشمال الجـالس علـى اليمين ، أنا المخصوص بالريّ وأنت المخصوص بالصدى ، أنا

---

(١) في نسخة: المعتمدين.

آلـة الحـياة وأنت آلة الردى، ما لنت إلا بعد دخول السعير، وما حددت إلا عن ذنب كبير، أنت تنفع في العمر ساعة، وأنا أفني العمر في الطاعة، أنت للرهب وأنا للرغب، وإذا كـان بصرك حديدًا فبصري ما ذهب، أين تقليدك من اجتهادي، وأين نجاسة دمك من تطهير مدادي.

قـال السيف: أأنف في الماء، واست في السماء، أمثلك يعير مثلي بالدماء، فيطالما أمرت بعض فراخي وهي السكين، فأصبحت من النفاثات في عقدك يا مسكين، فأخلت مـن الحـياة جثمانك، وشقت أنفك وقطعت لسانك، ويك إن كنت للديوان فحاسب مهموم، أو للإنشاء فخادم لمخدوم، أو للبليغ فساحر مذموم، أو للفقيه فناقص في المعلوم، أو للـشاعر فسائل محروم، أو للشاهد فخائف مسموم، أو للمعلم فللحي القيوم، وأما أنا فلي الوجه الأزهر، والحلية والجوهر، والهيبة إذا أشهر، والصعود على المنبر، شكلي الحسن علـي، و لم لا حملك الحطب بدلي، ثم إني مملوك كمالك، فإنك كناسك، أسلك الطرائق، وأقطع العلائق.

قال القلم: أما أنا فابن ماء السماء، وأليف الغدير وحليف الهواء، وأما أنت فابن الـنار والدخان، وباتر الأعمار وخوان الإخوان، تفصل مالا يفصل، وتقطع ما أمر الله به أن يوصل، لا جرم شمر السيف وصقل قفاه، وسقي ماء حميمًا فقطع معاه، يا غراب البين، ويـا عـدة الحـين، ويا معتل العين[1]، ويا ذا الوجهين، كم أفنيت وأعدمت، وأرملت وأيتمت.

قـال الـسيف: يـا ابن الطين، ألست صامدًا وأنت بطين، كم جريت بعكس وتـصرفت في مكـس، وزورت وحـرفت، ونكرت وعرفت، وسطرت هجوًا وشتمًا، وخلدت عارًا وذمًّا، أبشر بفرط روعتك، وشدة خيفتك، إذ قست بياض صحيفتي بسواد صـحيفتك، فـألن خطابك فأنت قصير المدة، وأحسن جوابك فعندي حدة، وأقلل من غلظـتك وجـبهك، واشـتغل عن دم في وجهي بمدة في وجهك، وإلا فادني ضربة منّي

---

(١) فيه تورية؛ لأن كلمة "سيف" معتلة العين بالياء، والمراد هو المعنى الآخر.

تـــروم أرومـــتك، فتستأصل أصلك وتجتث جرثومتك، فسقيا لمن غاب بك عن غابك، ورعيًا لمن أهاب بك لسلخ إهابك.

فلمـــا رأى القلم السيف قد احتد، ألان له من خطابه ما اشتد، وقال أما الأدب فـــيؤخذ عـــني، وأما اللطف فيكتسب مني، فإنت لنت لنت، وإن أحسنت أحسنت، نحن أهـــل الـــسمع والطاعة، ولهذا تجمع في الدولة الواحدة منا جماعة، وأما أنتم فأهل الحدة والخلاف، ولهذا لم يجمعوا بين سيفين في غلاف.

قـــال الـــسيف: أمكـــرا ودعوى عفة، لأمر ما جذع قصير أنفه، لو كنت كما زعمت ذا أدب، لما قابلت رأس الكاتب بعقدة الذنب، إنا ذو الصيت والصوت، وغراراي لـــسانا مشرفي يرتجل غرائب الموت، إنا من مارج من نار، والقلم من صلصال كالفخار، وإذا زعم القلم أنه مثلي، أمرت من يدق رأسه بنعلي.

قال القلم: صه فصاحب السيف بلا سعادة كالأعزل.

قال السيف: مه فقلم البليغ بغير حظ مغزل.

قال القلم: أنا أزكى وأطهر.

قال السيف: أنا أبهى وأبهر.

فتلا ذو القلم لقلمه إنا أعطيناك الكوثر، فتلا صاحب السيف لسيفه فصل لربك وانحر، فتلا ذو القلم لقلمه إن شانئك هو الأبتر، قال: أما وكتابي المسطور، وبيتي المعمور، والـــتوراة والإنجـــيل، والقـــرآن ذي التبجيل، إن لم تكف عن غربك، وتبعد مني قربك، لأكتبنك من الصم البكم، وأسطرن عليك بعلمي سجلاً بهذا الحكم.

قـــال السيف: أما ومتني المتين، وفتحي المبين، ولساني الرطبين، ووجهي الصلبين، إن لم تغـــب عن بياضي بسوادك، لأسخمن وجهك بمدادك، ولقد كسبت من الأسد في الغابة، توقيح العين والصلابة، مع أني ما ألوتك نصحًا، أفنضرب عنكم الذكر صفحًا.

قـــال القلم: سلم إليّ مع من سلم، إن كنت أعلى فأنا أعلم، وإن كنت أحلى فأنا أحلـــم، وإن كنت أقوى فأنا أقوم، أو كنت ألوى فأنا ألوم، أو كنت أطرى فأنا أطرب، أو كنت أغلى فأنا أغلب، أو كنت أعتى فأنا أعتب، أو كنت أقضى فأنا أقضب.

قال السيف: كيف لا أفضلك والمقر الفلاني شاد أزري؟

قال القلم: كيف لا أفضلك وهو عز نصره ولي أمري.

قال الحكم بين السيف والقلم: فلما رأيت الحجتين ناهضتين، والبينتين بينتين متعارضتين، وعلمت أن لكل واحد منهما نسبة صحيحة إلى هذا المقر الكريم، ورواية مسندة عن حديثه القديم، لطفت الوسيلة، ودققت الحيلة، حتى رددت القلم إلى كنه، وأغمدت السيف فنام ملء جفنه، وأخرت بينهما الترجيح، وسكت عما هو عندي الصحيح، إلى أن يحكم المقر بينهما بعلمه، ويسكن سورة غضبهما الوافر ولجاجهما المديد ببسيط حلمه، ويعاملهما بما وقر في صدره من الوقار وسكن في قلبه من السكينة، وإذا كان في هذه المدينة مالكنا فلا يفتى ومالك في المدينة.

وله خطبة نكاح

الحمد لله الذي أطلع في منازل الشهاب شمسًا نورية الضياء، وأيد جمال بهائه بشرف كماله فأصبح عالي السناء، وقرن بركته إن شاء الله تعالى باليمن والأمان، حتى قيل لخالصة عقد هذا العقد بأفصح لسان، لقد صمت عن نار الشقاوة فادخل جنة السعادة من باب الريان، نحمده على نعمه العظيمة التي أسبغها وأولاها، ونشكره على مننه الجسيمة التي بلغها وولاها، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هي أحق من همزة الاستفهام، بصدر الكلام، وأولى من الألف واللام، بإعلام التعريف وتعريف الأعلام، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله القائل لا رهبانية في الإسلام، الباذل نصيحته في تبيين الحلال والحرام، صلى الله عليه وعلى آله الكرام، وصحبه مصابيح الظلام، وأزواجه اللائي لسن كأحد من نساء الأنام، ما طلعت شمس وهطل غمام، وبعد؛ فإن أولى ما بادر إليه ذوو العقول، وحث عليه المنقول من الصحيح والصحيح من المنقول، ما كان لبقاء الذكر سببًا، ولتكثير الأمة مطلبًا، وهو سنة النكاح التي عظم الله بها المنة لما عظم بها النعمة، فقال جل من قائل: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾[الروم: ٢١] وخصوصًا مثل هذا العقد الذي اكتمل بسعد مبين، واشتمل على كرام كاتبين ، وأهدى خاص

الترك إلى خاص العرب، ونما سروره حتى أطرب الحي وأحيى الطرب، وحسن أن ينشد بألسن فصاحة وأفصح لسان.

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كان

عرفنا الله بركة هذا القران[1]، ولا أظمأ فروع أهله من السعادة فأصلهم ريان، فلقد أشرف وأشرق نور هذا العقد الكريم، وتواتر بمسنده ذكر الحديث عن القديم، وحسن أن يتلى بلسان التبرك أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم.

وكتب إجازة لصلاح الدين الصفدي [وقد سأله في ذلك][2]

أما بعد حمد الله جابر الكسير، والصلاة على نبيه محمد البشير النذير، وعلى آله الذين أعربت أفعالهم فسكن حب أسمائهم في مستكن الضمير، وعلى صحبه الذين وجب رفعهم على الابتداء وسلم جمعهم من التكسير، فإنني ألقي إليّ كتاب كريم، يشتمل بعد بسم الله الرحمن الرحيم، على نظم بهي فائق، ونثر شهي رائق، غرس لي أصوله بفضله خليل جليل، فامتد عليّ من فروعه ظل ظليل، قرأته فانتصبت له قائمًا على الحال، وتميزت به على غيري فطبت نفسًا بعد الاعتلال، وابتهلت بالدعاء لمهديه مخلصًا، ولكن أسأت الأدب إذ وازنت جواهر نظمه بالحصى، حيث قلت:

سلامٌ على نفسكَ الزاكيهْ وشكرًا لهمتكَ العاليهْ

أَزَهراً أمِ الزهرَ أهديتها لعبدٍ مدامعُهُ جاريَهْ

بلْ الأمنَ أرسلته محسناً أمنْتُ بهِ كيدَ أعدائيَهْ

كتابٌ يفوحُ شذا نشرِهِ فلي منْهُ رائحةٌ جائيَهْ

وسعدُ أعاديه عنْ مركزِ ال سعادةِ تلجي[3] إلى زاويَهْ

(١) في بعض النسخ: "القرآن" بألف المد، وهو خطأ؛ لأن الحديث هنا عن النكاح وهو القِران.

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة من بعض النسخ.

(٣) في نسخة: يلجى.

إذا حمــــل[2] الجــــديُ في نطحـــه ففـــأس[1] إلى رأســـه دانـــيَهْ
وقــــابلَني حـــــينَ قبَّلْـــــتُهُ مـــنَ الطـيـبِ مــا أرخــصَ الغالـيَهْ
وفكَّهــــني في جنــــي غرسِــــه ولا ســـيَّما بـيتُ مــا النافــيَهْ
مُقَـــرِّبُ إيـــضاحه عمــــدةٌ معانـــيه شــافيةٌ كافــيَهْ
تـــردُّدُ عـــيني بــــه لا سُــدى ولكـــنَّها تطلــبُ العافــيَهْ
فمُهديــه أفديــه مــنْ سـيِّدٍ أياديـــه رائقـــةٌ راقـــيَهْ
لعـــلَّ الخلـــيلَ بَـــداني بــه لـــيجعلَها كَلْمـــةً باقـــيَهْ
فـــيا جابـــراً دُمْ معـــاذاً وهـــا أنـــا عُمَـــرٌ وَهْـــيَ لي ســـاريَهْ
لأقلامِـــكَ الـــرفعُ تُــبنى[3] بهـــا علـــى الفـــتحِ أفعالُـــكَ الماضـــيَهْ
ولـــوْ لمْ يكـــنْ قـــدْ سَــبا نـــورُها كَمـــا حمـــلَ الحاســـدُ الغاشـــيَهْ
فـــإنْ أهلـــكَ الــناسَ جهـــلٌ بهـــمْ فأنـــتَ مـــنَ الفـــرقة الناجـــيَهْ
فكـــمْ بـــابِ قـــصرٍ تـــبوأته فأفهامُــــنا مـــــنهُ كالجابـــيَهْ
رَضِـــيَ بـــكَ عـــن دهـــرِه ســاخطٌ فـــلا زلـــتَ في عيـــشةٍ راضـــيَهْ
وإني لفــــي خجــــلٍ مــــنكَ إذْ أجبـــتُكَ في الـــوزنِ والقافـــيَهْ
فعفـــواً وصـــفحاً ولا تنـــتقدْ ويـــا بحـــرُ مالـــكَ والـــساقيَهْ
ليهـــنكَ أنَّـــكَ عـــينُ الـــزمانِ فلـــيتَ علـــى عيـــنِه الواقـــيَهْ

ولمـــا انتهـــيت إلى اســـتجازتك التي انتظمت في سلوك الحسن بحسن السلوك، واستعظمت فلولا حسن الظن لأوهمت تهكم المالك بالمملوك، أحجمت عن إجازة من شمر في العقل والنقل لمعرفة القديم والحديـــث، وتبحر في أغراب الإعراب حتى كأن النحاة إيـــاه نحوًا بمسألة سيرك السير الحثيث، وقلت ماذا أصف، وبأي عبارة أنتصف، في إجازة مـــن إذا كـــتب طـــرز بالليل رداء نهاره، وإذا نثر فالأنجم الزهر بعض نثاره، وإذا نظم

(١) في الديوان: ففاس، وكذلك في بعض النسخ.

(٢) في نسخة: عمل.

(٣) في نسخة: يبنى.

لم يقـــنع من الدر إلا بكباره، و لم يرض من المعاني إلا بدقيق من بين حجريه الثمينين بل أحجاره، إن أعرب فويه على سيبويه، وإن نحا فهو الخليل غير مكذوب عليه، يأتي بما يفتر عـــنه المـــبرد، ويشق له الكسائي كساءه ويجرد، ويقول الزجاجيّ أيها الشاب قد أخملت جواهـــرك قوارير صرحي الممرد، وينادي ابن أبي الحديد، يا ويلتى حتى الحديد سطا عليه المـــبرد، ويـــستخدم ملك النحاة في جنده، ويرفرف عليه ابن عصفور بجناحيه ويحلف أنه الخلـــيفة من بعده، بتعمق يرهف حروف الحروف، وينصف حتى لا يعدو ثعلب ولا أكبر منه على ابن خروف، ويصدق حتى لا يقال ضرب زيد عمرًا، ويعدل حتى لا يشتم خالد بكـــرًا، مـــع بساتين فنون أخر، تهزأ بنسمات السحر، عذبات أفنانها، وبقول حاسدها آه فتـــشبه ألفهـــا قدود نخلها وهاؤه ثمر رمانها، ثم فكرت في أن كتاب مولانا أمنني النوب، وخـــصني بالنوبة الخليلية من بين النوب، وكفاني مواثبة العكس والطرد، وأولاني مناسبة الغرس للورد، فترددت هل أفعل أو لا، ثم ظهر لي أن امتثال المرسوم أولى، وجسرني على ذلك مرسوم شيخ الأدب ورحلته، وركنه المعظم وقبلته، القاضي الفاضل جمال الدين بن نـــباتة، فسح الله مدته وأبقى حياته، الذي إن نثر جعل اللجين إبريزًا يحسن السبك، وإن نظـــم قـــال نظمه لقرينيه الحسن والقبول قفا نضحك من قفا نبك، لا جرم أنا من بحره نغتـــرف، وبالـــتقاط جواهره التي ألقاها على مفارق طرق البلاغة نعترف، فأطعت إذن أمـــرك، طالـــبًا صفحك وسترك، وقلت لعمري لقد بدأتني أعزك الله بما كنت به أحرى، وكلفتني شططًا فقلت ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا[1]، وها قد أجزتك مـــتطفلاً عليك، وإن كنت بك متوسلاً إليك، إن تروي عني ما تجوز لي روايته وإسماعه، ليصل بك فما اتصل بك أمن انقطاعه، من منقول ومعقول، وفروع وأصول، ونثر ونظم، وأدب وعلم، وشرح وتأليف، وبسط وتصنيف، وضبطه المشروط، بشرطه المضبوط، فأما مصنفاتي الشاهدة عليّ بقصور الباع، ومؤلفاتي المشيرة إليّ بقلة الإطلاع.

فمنها: في الفقه البهجة الوردية في نظم الحاوي وفوائد فقهية منظومة.

---

(١) هذا تضمين للآية من سورة الكهف.

ومنها: في النحو شرح الخلاصة الألفية في علم العربية لابن مالك.

ومنها: في الفرائض الوسائل المهذبة في المسائل الملقبة.

ومنها: في الشعريات والأدبيات أبكار الأفكار.

ومنها: في غير ذلك تتمة المختصر في أخبار البشر اختصار تاريخ صاحب حُماه مع التتمات في أثنائه والتذييل عليه إلى يومنا هذا.

ومنها: أرجوزة في علم الأحجار والجواهر.

ومنها: ضوء درة الأحلام في تعبير المنام.

ومنها: رسالة منطق الطير نثرًا ونظمًا فيها أدب صوفي وما لا يحضرني الآن ذكره، وكان الأولى بي ستره، أجز لك أيدك الله أن تروي عني الجميع بأفضالك، ورواية ما أدونه وأجمعه بعد ذلك، حسبما اقترحه خاطرك العزيز، واستوجبت به مدحي فأنا المادح وأن المجيز.

وله تعزية بوفاة شرف الدين البارزيّ[1]

وينهى أنه بلغه الهداد الطود الشامخ، وزوال الجبلّ الراسخ، الذي بكته السماء والأرض، وقابلت فيه المكروه بالندب وذلك فرض، فشرقت أجفان المملوك بالدموع، كما شرقت صدر القناة من الدم وأحرق قلبه بين الضلوع، فراق ومن فارقت غير مذمم، وساواه في حزنه الصادر والوارد، واجتمع الناس لمأتم المأتم[2] واحد، فالعلوم تبكيه، والمحاسن تعزي فيه، والأقلام تمشي على الرؤوس لفقده، والمصنفات تلبس حداد المداد من بعده، ولما صلى عليه يوم الجمعة صلاة الغائب بحلب، ارتفع الضجيج، واشتد

---

(١) هو هبة الله بن عبدالرحيم بن إبراهيم أبو القاسم، شرف الدين ابن البارزي الجهني الحموي: قاض، حافظ للحديث، من أكابر الفقهاء الشافعية، من أهل حماة، ولي قضاءها مدة طويلة بلا أجر، وعين مرات لقضاء مصر فاستعفى، وذهب بصره في كبره، ولما مات أغلقت حماة لمشهده، له بضعة وتسعون كتابًا، توفي سنة ٧٣٨هـ[انظر: الأعلام للزركلي- (٧٣/٨)، ونكت الهميان في نكت العميان للصفدي- (٦٨٩)، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني- (٤٠١/٤)].

(٢) في الأصل: لمأثم.

النشيج وغلب، فلا خاص إلا حزن قلبه، ولا عام إلا طار لبه، فإنه مصاب زلزل الأرض، وهدم الكرم المحض، وسلب الأبدان قواها، ومنع عيون الأعيان كراها، ولكن عزى الناس لفقده، كون مولانا الخليفة من بعده، فإنك خلف عظيم، لسلف كريم، وأنت أولى من قابل هذا القادح القادم بالرضى، وسلم إلى الله فيما قضى.

سَلِّمْ إلى اللهِ فكلُّ الذي ساءَكَ أو سرَّكَ مِنْ عندِهِ
إنَّ الذي الوحشةُ في دارِهِ تؤنسُهُ الرحمةُ في لحدِهِ

فإن الله تعالى يحيي ما كانت الحياة أصلح، ويميت إذا كان الموت أروح، وقد نظم المملوك مرثية أعجزه عن تحريرها اضطرام صدره، وحمله على تسطيرها انتهاب صبره، وهي:

برغمي أنَّ بيتكمُ يضامُ ويبعدُ عنكمُ القاضي الإمامُ
سراجٌ في العلومِ أضاءَ دهراً على الدنيا لغيبتهِ ظلامُ
تعطَّلت المكارمُ والمعالي وماتَ العلمُ وارتفعَ الطغامُ
عجبتُ لفكرتي سمحَتْ بنظمٍ أَيُسْعدني على شيخي نظامُ
وأرثيه رثاءً مستقيماً ويمكنني القوافي والكلامُ
ولَوْ أنصفتُهُ لقضيْتُ نحبي ففي عنقي لهُ نعمٌ جسامُ
حشا أذني بِدُرٍّ ساقطَتْهُ عيوني يومَ حُمَّ لهُ الحمامُ
لقد لَؤُمَ الحمامُ فإن رضينا بما يجني فنحنُ إذنْ لئامُ
أيا عامَنا لا كنتَ عاماً فمثلُكَ ما مضى في الدهرِ عامُ
أتفجعُنا بكتانيِّ مصرٍ كأن بهِ لساكنها اعتصامُ
وتفتكُ بابن حلَّةَ[1] في دمشقٍ ويعلوها لمصرعهِ القتامُ
وكانَ ابنُ المرحَّلِ حينَ يبكي لخوفِ اللهِ يبتسمُ الشآمُ
وحَبرُ حماةَ تجعلُهُ ختاماً أذابَ قلوبَنا هذا الختامُ
وكان خليفةً في كلِّ علمٍ وعينًا للخليفة لا تنامُ

(١) في نسخة جملة.

ولما قام ناعيه استطارتْ ... عقولُ الناسِ واضطربَ الأنامُ

ولو يبقى سَلَوْنا مَنْ سواهُ ... فإنَّ بموته ماتَ الكرامُ

أألهوَ بعدهمْ وأقرُّ عيناً ... حلالُ اللهوِ بعدهمُ حرامُ

فيا قاضي القضاة(١) دعاءَ صبٍّ ... برغمي أن يغيّرَكَ الرغامُ

ويا شرفَ الفتاوىْ والدعاوى ... على الدنيا لغيبَتِكَ السلامُ

ويا بنَ البارزيِّ إذا برزنا ... بثوبِ الحزنِ فيك فلا نُلامُ

سقى قبراً حلَلْتَ به غمامٌ ... منَ الأجفانِ إنْ بخلَ الغمامُ

إلى مَنْ ترحلُ الطلابُ يوماً ... وهل يُرجى لذي نقصٍ تمامُ

ومَنْ للمشكلاتِ وللفتاوى(٢) ... وفصلُ الأمرِ إنْ عَظُمَ الخصامُ

ألا يا بابَهُ لا زلتَ باباً ... لنشرِ العلمِ يغشاكَ الزحامُ

فإن ابنَ ابنًا لشيخِ(٣) العصرِ باقٍ(٤) ... يقلُّ به على الدهرِ الملامُ

أنجمَ الدينِ مثلُكَ مَنْ تسلَّى ... إذا قُدحت منَ النوبِ العظامُ

وفي بقياكَ عنْ ماضٍ عزاءٌ ... قيامُكَ بعدَهُ نِعْمَ القيامُ

إذا ولّى لبيتكمُ إمامٌ ... عديمُ المثلِ يخلفُه إمامُ

وفي خيرِ الأنامِ لكمْ عزاءٌ ... وليس لساكن الدنيا دوامُ

أنا تلميذُ بيتكمُ قديماً ... بكمْ فخري إذا افتخرَ الأنامُ

لكمْ مني الدعاءُ بكلِّ أرضٍ ... ونشرُ الذكرِ ما ناحَ الحمامُ

وإنْ كنتمْ بخيرٍ كنتُ فيه ... ويرضيني رضاكمْ والسلام

---

(١) في نسخة: القضا.

(٢) في نسخة: والفتاوى.

(٣) وفي نسخة ابنَ ابنِ شيخ.

(٤) ويروى هذا الشطر: فإن ابنًا لشيخ العصر باقٍ.

وله خطبة نكاح بعض بني النصيبيّ على بنت عمه

الحمـــد لله الـــذي أطلع في منازل الشرف شمسًا مصونة البهاء والضياء، وأبدع لـــشرف تاجـــه الـــبديع درةَ مكنونة في بحر الحبا والحياء، ومنحه عقد عقد زان به جيد الوجود، وجمع الشمس والقمر في سعود الطالع وطالع السعود، نحمده على تأكيد عطف القربى بالمصاهرة، ونشكره على هذه الحركة الجامعة إن شاء الله تعالى خير الدنيا والآخرة، ونـــشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجمع الشمل وتشمل الجمع، وتهدي أجمـــل منظر وأحسن حديث إلى البصر والسمع، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله المرسل بالشريعة المطهرة والسنة الطولى، التي من استمسك بها ظفر بسعادة الآخرة والأولى، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المحسنين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وبعد؛

فـــإن أولى ما بادر إليه أولوا الأحلام، وتنافس فيه كرام الأبناء وأبناء الكرام، ما كان لتكثير الأمة متضمنًا، ولفضـــيلة العاجل والآجل نافعًا نفعًا بينًا، وهـــي سنة النكاح الـــتي عظمت بها المنة، وأثني عليها لســـان الكتاب وأشارت إليه يد السنة، وخصـــوصًا بـــنات العم التي أرشـــدت قصة البتول عليها السلام إليها، وحســـن أن يتلى لها بطريق الأولى، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾؛ فإن بنات العم أجـــدى بالـــصحبة وأجدر، وأوفى بالمودة وأوفر، وأصبى إلى العهد وأصبر، ولاسيما من حـــازت كرم الأوائل والأواخر، وجمعت عناصر الكرم وكرم العناصر، وأصبحت سليلة الأعـــيان والأكابـــر، ومن إذا قال بعلها كان جدي قالت وجدي، وإن ذكر مبتدأ صالحًا قالـــت والخبر عندي، وإن عدت آباؤه الأعيـــان فهم آباؤها، وإذا طاب ثناؤه بســـلف فهـــو ثناؤها، ومن إذا حسن بالطرد والعكس الابتهاج، جاءت لأهلها تحت أهلة التاج، فللـــه هذا العقد الذي عدد قربى القرابتين، فلئـــن شابهت العقود بهجة الورد فإن هذا هو النـــصيبيـــي مـــن الجهتين، فلا غرو أن تقول له العوالي الغوالي أرخص طيبك أيها العقد طيبـــي، وتـــناديه بالمعالي لقد ســـررتني وكيف لا وأنت من الجهتين نصيبـــي، ولقد أشـــرف نور هذا القران السعيد وأشرق، وأعرب لســـان حال قلمه فكـــان أفصح من

لسان المقال وأنطق، وسطر كاتب التوفيق لما خار الله ووفق، بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أصدق.

وله رسالة إلى بعض بني ريان

وينهي وصول الحلوين من لفظه وبره، والصفوين من حسن افتقاده ومقابلة جبره، صحبة المجموع الذي حق له الرد إذ كل معيب مردود، ورق له العبد لمفارقة حرم مولانا الذي أصبح الذم مقصورًا عن ظله الممدود، فقبله المملوك لقرب عهده من يد كم لقسها من أياد، ومن نظر وجه الحياء فيه عاكف والنور منه باد، وماذا يقول المملوك في التفضل الذي يغوث ولا يعوق نائله، والإحسان الذي وصل الغمام المسيل فقطع المحل على السابلة، وماذا يصف في جمال سليمان زمانه، وكمال ابنه الذي ضمن له الدهر سعدًا فوفى بضمانه، حتى كأنه وابنه ألما بدار الكرم والكرامة، فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض فأقامه، وكأن مناديًا نادى في الأعيان، من صام عن الدنايا دخل الجنة من باب الريان، والله تعالى يكافئ إحسانهم ويديم ظلهم الظليل، ولا يخلي الوجود من كمال إبراهيم فهو نعم الخليل.

إني كما عهدتمُ	عهداً ووداً وطلبْ[1]
يا مَنْ همُ[3] في جلَّقٍ[4]	عيني عليكمْ[2] في حلبْ

فإنه ما فارق حلب إلا لبخته الذي أضحى ضعيفًا هابطًا، وحظه الذي إذا كتب الحظوظ بالظاء القائم كان يكتب ساقطًا، والمملوك منتظر الجواب الكريم، فمن حرم من كهفكم القرب لا يحرم من كتبكم الرقيم.

---

(١) ويروى هذا الشطر: أرجو بكم نيل الإرب.

(٢) في نسخة: أمكن منكم.

(٣) في نسخة: فأنتم في.

(٤) جلق: أي دمشق.

وله من جواب

وردَ الكـتابُ بـلِ العـتابُ بل الندى ... بـل غايـةُ الآمـالِ والآرابِ
يُـنْبي علـى[1] الودِّ الصدوقِ ويطلع ال ... كلـفَ المـشوقَ علـى لطيفِ عتابِ
يـا مَـنْ تـوهَّمَ أنـني نـاسٍ لَـهُ ... هـيهاتَ أنـسى سـيِّدَ الأصـحابِ
لا والـذي أعطـاكَ كـلَّ فـضيلة ... وحَـبَاكَ بالإحـسانِ والآدابِ
إني لَمـشتاقٌ إلـيكَ وعاتـبٌ ... دهـري لـبعدِكَ فَهْـوَ سَـوْطُ عذابِ
فاصـفحْ إذا قـصرْتُ واسـلمْ لي ودُمْ ... يـا أوحـدَ الفـضلاءِ والكـتَّابِ

وينهـى ورود المثال الشريف، بل الفضل المنيف، الذي رفع به إبراهيم من بيت المملـوك القواعد، وعظم المطلوب فيه ولكن ما قل المساعد، فتناوله بيد الاحتفال، وشبه شـكله المطبوع بالمعشوق ونقطه بالخال، فتمثل لي، بقول المتنبي، عواذل ذات الخال فيَّ حواسـد، ولمـا وقفـت على حسن خطه ولفظه، عوذته من العين بكلاءة الله وحفظه، وأيقـنت أن الدهر للناس ناقد، فتضاعف به ذنبي، وهملت به سرورًا عيني، فهي سبوح لها مـنها علـيها شواهد، ولكن راع المملوك في كتابه، ما ضمنه مولانا من عتابه، وأن فؤاد رعـته لـك حامد، وليـس جبرك وإحسانك بدعًا، فتـبارك من ألحق في المروءة بأصل مـنكم فرعًا، تشابه مولود كريم ووالد، وسبحان من خص هذا البيت بالإحسان إلى أهل هـذه الـدار، وأقـدرهم على أبكار أفكار تتحسر عليهن الأغيار، وهن لديكم ملقيات كواسـد، وجل من عم خلقه بنورك الذي تألق فأقرت، بهذا وما فيها لمجدك جاحد، وما يقـدر المملوك يصف شوقه المستولي على لبه، الساكن بسويداء قلبه، كما سكنت تحت الـرماد الأساود، والله المسـئول أن يديم جمال سليـمان الزمان فضلاً ولطفًا، ويبقى بها شـرف بهائـه وكمال إبراهيم الذي وفى، فإني محب لهم في قربه متباعد، ولا برح جنابهم القـبل، وطـود عز ننشـده، يا حبذا جبل الريان من جبل، فكلهـم مبارك ما تحـت اللثامين عابد، والسلام.

---

(١) في رواية: عن.

المقامة المعروفة بصفو الرحيق في وصف الحريق

حدث غيث بن سحاب عن ندى بن بحر، قال: بينما أنا ذات ليلة من سنة أربعين، وقد أويت من دمشق إلى ربوة ذات قرار ومعين[١]، وإذا بضجيج أهلها قد ملأ الآفاق، والنيران في أسافلها وأعاليها قد بلغت التخوم والطباق، فبادرت إلى الجامع الأمويّ لأمنه ويمنه، فوجدت العالم كأنهم قطعة لحم في صحنه، وقد أرسل علي أحاسن دمشق شواظ من نار ونحاس، وقربت النار من جامعها الخضر حتى كاد يحصل منه الياس[٢]، وثارت النار لأخذ الثار[٣] مسرعة في كلبها، وجاءت حمالة الحطب فتبت يدا أبي لهبها.

حمراءُ ساطعةُ الذوائبِ في الدجى ترمي بكلِّ شرارةٍ كطرافِ

فكم أحزاب زمر جاثية لغاشية ذلك الدخان، وكم صاحب دار إذا زلزلت عبس وتولى وقال وقد أتى الحريق على باك هيئة لم تكن فهل أتى على الإنسان.

فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك نفس المرء في العطب

ولما استولى الحريق من الدور على المجالس السامية، وترقى في الأسواق إلى الجنابات العالية، وصعد من المنارة الشرقية إلى المقر الأشرف، ووصل منها إلى المقام الكريم فنكر منه ما تعرف.

سَمَتْ نحوَهُ الأبصارُ حتى كأنَّهُ[٤] بناريْهِ من هِنَّا وثمَّ صوالي

وكيف لا وهي المنارة لهذا المعبد العظيم، والمقاسمة له في نحو الحسن فمنها الإعراب في النداء ومنه البناء في الترخيم، فتبادر إليها فتية قالوا: النار ولا العار، رزقهم الله الجنة فما أصبرهم على النار ، هذا وقد ذوي باللهب بنفسج الظلماء ، وشب نيلوفر

---

(١) فيه تضمين للآية الكريمة في سورة المؤمنون: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

(٢) أسقط همزة اليأس لمشاكلة الخضر لأجل التورية.

(٣) أسقط همزة الثأر لأجل السجع.

(٤) في نسخة: كأنها.

النار وقوى على الماء، فارتاع النائب بدمشق لهذه النائبة، ورأى قلوب الناس كأموالهم ذائبة، وتطير بذلك من تكدر دولته فكان كما تطير، وتصور هنالك من تغير صولته فسبحان من لا يتغير، وصادم النار فغلبها وكيف لا وتنكر هو البحر، وقابل كبد جمرها بالقطر وعنق لظاها بالنحر، وكاثرها بالماء حتى بلغ من وجهين القلل، وسد بهما ليلة دائر أمه جلل هذا الأمر الجلل، وأحكم بالماء والهدم إخمادها، واستأصل شأفتها بالردم وأبادها، وأصبح أهل دمشق حيارى، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، لا يكادون من الوجل يستثبتون اسمها، ولا يعرفون شكل حانوت ولا دار ولا رسمها.

فحقَّ لمثلي أن يقولَ لمثلها ... فديناكَ منْ ربعٍ وإن زدتنا كربَا
وكيفَ عرفنا رسمَ مَنْ لم يدعْ لنا ... فؤاداً لعرفانِ الرسومِ ولا لُبّا
كأنَّ نجومَ الليلِ خافتْ مغارَهُ ... فمدَّتْ عليها مِنْ عجاجتِهِ حجبا

فلو رأيت درج الساعات خالية من دقائق الأرصاد، ودكان الشهود تتلو إن ربك لبالمرصاد، والدهشة مدهوشًا عنها واللبادين كالعهن المنفوش فلا إليها ولا منها.

ذَكَرَتْ جواهرَها بحرٌّ ... النارِ بَرْدَ مغاصِها
أصحابُها كحمائمٍ ... ناحَتْ على أقفاصِها

والوراقين وقد انتظمت أوراقها في أغصان اللهب، وتطايرت الصحف كأنها فضة قد مسها ذهب، قال وما نفض الناس غبار هذا الفادح، حتى وقع بالمدرسة الأمينية حريق قادح، عيل عليه الصبر، وتمنوا قبله القبر.

ما كانَ أقربَ وقتاً كانَ بينهما ... كأنه الوقتُ بينَ الورْدِ والصدر[1]

وقلت لمن يبني وقد عدمت الاصطبار، وكنت أسمع أن دمشق جنة فإذا هي نار.

فأحفظَهُ هذا الكلامُ وغاظَهُ ... وأنشدني في صدِّهِ وازورارِهِ
دمشقُ كما كنتَ تَسَمَّعُ جنَّةٌ ... ألمْ تَرَها محفوفةً بالمكارِهِ

---

(١) في نسخة: الغَرَب.

فــيا لسوق الكفت ما كفت النار عنا لسانًا، ولا ثنت عنه سوابقها عنانًا، ونعوذ بـــالله من نار علك عليهم اللجم، وسبكت مهجته حتى أفصح التأسف له الألسن العجم، ووثــبت إلـــيه من بعيد، وقالت آتوني زبر الحديد، ويا لسوق الخيم كيف خيمت عليه، وتجلد لها والنار بين جنبيه، إنها عليه مؤصدة، في عمد ممددة، فلولا اللطف ما مد له طنب، ولا ســلم لعروضه وتد ولا سبب، ولكن تداركه من الماء والتراب برد وسلام، وشكت خــيامه الظمأ فقيل لها سقيت الغيث أيتها الخيام، ويا لسوق القسي كيف تبرأ منه قوس السحاب، وسويت من قسيه كل نون تسبح في ماء الذهب فآلت إلى الذهاب، ورمى بها مــن النيران، وقالت له النار قد دخلت في باب أن من الأنين وستدخل في باب كان، فقد قست على قسيك ناري، وطلبتها بأوتاري، وجعلت كل نون ألفًا، وقرأت لها في ملحمة ابــن عقــب من مصارع القرون ما كفى، هذا وقد أضاء الليل بالنار حتى صدق القائل، وقال الدجى يا صبح لونك حائل، فبينا الحنايا في المرقب من اللهب، وقلوب أصحابها في المعرة وأعينهم في حلب، وإذا بالنائب قد أقبل، وصبره مقلص ودمعه مسبل، وقال واأسفا لمدينة عمرتها، وواهفا لأوقات ثمرتها، كيف تصل النار إلى محاسنها، وتتمكن من أماكنها، فقــال لــه لسان القدر الصانع، هذه أول عقوبتك بإخراج الكلاب والضفادع، فالعجب أخبث سجية، وللكلاب كما قيل خطية، وقيل:

تنكَّـــرَ تنكـــزّ بدمـــشقَ تـــيهاً ... فقاســـوا مـــنهُ أنـــواعَ العـــذابِ
وقالـــوا للـــضفادع ألـــفُ بـــشرى ... بميتـــتهِ فقلـــتُ وللكـــلابِ

ثم إن الـــنائب بادر بأصحـــابه إلى إطفائهـــا ولكن كيف، وأحكم نسخها ولا عجـــب للنسخ بآية السيف، وجاءت[1] مماليكه الحســـان خلالها، وأصداغهم كالعقارب وشـــعورهم كالأفاعـــي، وتمـــت لهم الكرامة الأحمدية باقتحامها فســـلام الله على ابن الرفاعـــي، فأشفق الناس مـــن مس سقر[2]، وارحموا عزيز قوم ذل[3] وغنيّ قوم افتقـــر،

(١) في نسخة: وجاست.

(٢) تضمين للآية الكريمة من سورة القمر ﴿**ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ**﴾.

(٣) تضمين لحديث ضعيف: "ارحموا عزيز قوم ذل".

واختلجت الظنون في سبب هذا الأمر، وأعملت الفكر في مسعر هذا الجمر، بغيظ اهتم منه الصبح فتنفس الصعدا، وحنق انفلق له الفجر زفيرًا وكمدًا.

وله من رسالة

أرسلتها إليك، وجعلت طولها عرضًا بين يديك، والله تعالى يبقي حياتك التي فيها لأهل العلم النصيب الأوفى والحظ الأوفر، ويديم أياديك التي إذا دامت فما نقص الفضل ولا مات يحيى ولا نضب جعفر، وغير بدع أن يعضد أمين هذه الأمة عمره، والمرجو أن يجتني المملوك من غصن القلم بهذه الورقة ثمره.

لي إلى جاهك ميل ... وعن المال نفار
فقبول الجاه فخر ... وقبول المال عار

وله

سلامٌ كنشرِ الروضِ باكَرَهُ الحَيا ... وألطفُ مِنْ مرِّ النسيمِ وأطيبُ
على أريحيٍّ مذْ[2] سمعتُ بذكرهِ ... أُغالبُ فيهِ الشوقَ والشوقُ أَغلَبُ[1]
ألا مبلغاً قاضي القضاة تحيةً ... يُخصُّ بها فَهْوَ المحبُّ المحبَّبُ
عظيمُ الندى كهفُ الردى غائظُ العدى ... إمامُ الهدى نائي المدى متقرّبُ
فيا منصبَ الحكمِ العزيزَ ابتهلْ عسى ... تنالُ الذي ترجوهُ منهُ وتطلبُ
عسى عطفةٌ منهُ عليكَ وعودةٌ ... فقدْ طال من قاضي القضاةِ التغضُّبُ
بسيطُ الندى حاوي النهايةِ شاملٌ ... بإيضاحهِ معنى البيانِ مقرَّبُ
وإنَّ[3] لهُ في تركِهِ الحكمَ راحةً ... ولكنْ قلوبُ الناسِ واللهِ تَتْعَبُ
فمن ذا سواهُ في الورى لا تلمُّهُ ... على شَعَثٍ أيُّ الرجال المهذَّبُ

---

(١) فيه تضمين لمطلع قصيدة مشهورة للمتنبي.

(٢) في نسخة: قد بدلاً من مذ.

(٣) في نسخة: وأن.

وينهى وصول ابن الأخ الحسين مغمورًا بإحسانه المعهود، مبرورًا من لطفه وعطفه بشاهد ومشهود، مقصورًا بثنائه المعرب على مبنيّ ظله الممدود، مسرورًا بتعريف رسمه الذي علمه كما قيل غير مجدود، خطيبًا بمحاسنه التي هي كلمة إجماع، مشوقًا إلى ذاته التي تروق الأبصار وصفاته التي تطرب الأسماع، ولكنه مع ذلك ضعيف الحركة صحيح المودة، مثن على ما أسدى إليه من الرخاء في تلك الشدة، ثم إنه بلغ المملوك التحية التي عجز عن رد أحسن منها أو مثلها، وفهمه لطائف وألطافًا كان المملوك يتيمًا من قبلها، فواعجبًا لأمه كيف ما حملته فانتبذت به مكانًا شرقيًا، وكيف سمته الحسين وقد أصبح بانتسابه إلى جنابكم عليًا، والمملوك يقسم على مولانا بالذي وهبه هذه المكارم، فأحيى به الأكارم، أن يكف من غلواء هذا النهج الحسن الذي انتهى إليه الحسين، وأن يرفق من مجاراة البرامكة إلى الإحسان حذرًا من إصابة العين، فلقد ذكر للملوك مفصل جمل من إحسانكم صدق فيها وزكى، وأنشد هو وأمه بلسان السرور قفا نضحك والمملوك ينشد لخجله قفا نبك، فلا والله ما في زماننا من يجاريكم، ولا في بحار الندى من يباريكم، ويا خجل المملوك مما حكاه الحسين من الإحسان إليه، وما يضيع أجر المحسنين وإن حصل التقصير في المكافأة عليه، فالله المسئول أن يعطف قلب مولانا لمعاودة منصبه الشريف، ويحلي الشهباء منه بعد مرارة التنكير بآلة التعريف، ويعزها بالأحكام التي ما أهملت في بلد إلا خيف عليه أن ينكب، ولا عطل منها قطر إلا قطرت فيها الدموع بل سكبت وحق لها أن تسكب، ولعمري أن يومًا يرضى فيه خاطره الشريف، ويرقي إلى الفضل الأرتقيّ والشريف[1]، ذلك يوم مجموع له الناس على السرور بنيل الطلب، وجاعل قلوب الأعداء في المعرة وأعينهم في حلب، ومهما نسي المملوك فلا ينسى ابن الأخ ما شمله من صدقات المقر الأشرف، الأعرق الأعرف، المولى حقًّا، المتصدق صدقًا، حسام الدين، قامع الماردين بماردين، الذي زين الله بزينة الكواكب سماء مجده، وشد به عضد أخيه حين ورث المكارم من أبيه وجده، وسله في نصرة الحق فكان حسامًا للدين مسلولاً، وحسن سيرته الحميدة فحكم العدل بصحتها مسئولاً.

---

(١) في نسخة: التشريف.

إني إلى[1] طلعته شيِّقُ واللفظُ عنْ أوصافه ضيِّقُ
فَهْوَ مِنَ البيتِ الرفيعِ الذي ما قيلَ عنْ إحسانه صدِّقوا
هذا حسامٌ بيدِ اللهِ قدْ تاهَ على الغربِ به المشرقُ
قلوبُ كلِّ الناسِ في أسرهم قيَّدَها جودُهُم المطلَقُ
فإن أتى الدهر بفتقٍ يَقُلْ جدهمُ العالي أنا أرتقُ

فعلى المولى دام ظله، وعلى مولانا دام فضله، تحية أبد الدهر، وإلى لقائهما لهفة غدوها شهر ورواحها شهر، وعلى من تحوط عنايته من أهل العلم والدين، والمحبين فيه والمتوددين، سلام يرخص الغالية، ونفحة هي بالود حاضرة وبالثناء بادية.

وله من إجازة

أما بعد حمد الله الذي زاد أهل العلم شرفًا ورقيًّا، وجعلهم خلف السلف فحبذا سلفًا وخلفًا تقيًّا، والصلاة على نبيه محمد الذي جعل في حربه وسلمه الموت والحياة، وسجل لعترته المنيفة كتاب الطهارة وأنبع من أصابعه الشريفة باب المياه، وعلى آله الذين فتح لهم باب الولاء لإحياء الموات، وأغلق عنهم باب الرد بالعيب لما زكا معدنهم وطاب نباتهم فهذه زكاة المعدن والنبات، وعلى صحبه المعدودين من خيار المجلس، المقصودين للاستسقاء وصرف القبض عن المفلس، وعلى تابعيهم الذين عقلوا الوصايا فأدوا فرائض العبادات، وحسنت منهم السير فتره تعديلهم عن الجرح في الشهادات، صلاة تعقب الجنايات بالمسابقة إلى جنة وحرير، وتوجب القضاء بالعتق والعفو عن القصاص وحسن التدبير، فقد قرأ عليّ تقيّ الدين أبو بكر أمده الله بالرفعة والرقي، ونفع به الناس فما أحوجهم إلى التقي، من كتابي البهجة مواضع متفرقة، بتدبر حسن وعبارة مطلقة، وتفهم للدقائق، ووقوف على الأسرار والحقائق، وبحث عن غوامض ومهمات، وتنبه لفوائد وتتمات، آذن ذلك منه بذهن وقاد، وفكر صحيح منقاد، زاد البهجة بهجة، وكم أبدى من نسبت فكر تعتضد من الأم بإملاء الحجة، والله

(١) في نسخة: طرفي إلى.

يضاعف علو قدره، ويجمل نظراءه ببقائه فقد سبقهم أبو بكر بشيء وقر في صدره[1].

وله من رسالة

لله ذلـــك الـــوحل، بعد ذلك المحل، وكثرة البر، بعد أن مس الضر، فقد عمت الأمطـــار الأقطـــار، حـــتى أصبح هرى الحكار، على شفا جرف هار، ورمت المخازن مقاليدها لديكم، وقال لكم خزنتها سلام عليكم.

وله

وقفت على هذه المدحة الشاهدة لقائلها بفضل ولسن، فتقبلها ربها بقبول حسن.

وله من إجازة

أما بعد حمد الله الذي زاد الأذكياء المحصلين تاجًا، والصلاة على نبيه محمد الذي دخـــل الناس بدعوته الشريفة في دين الله أفواجًا، وعلى آله وصحبه أفضل من أقام في الله حربًا وأثار عجاجًا، فقد عرض عليّ الولد تاج الدين صدقة من الكتاب الفلاني دل ذلك علـــى حفظهـــا كلها، وأنه سيتعلق من أسباب التحصيل بأجلها، فقال لأقرانه كونوا من ذكائه على ثقة، وإذا تناجيتم في نجابة فقدموا بين يدي نجواكم صدقة.

وله

أمـــا بعد حمد الله مجيب السائل ومجيزه، والصلاة على نبيه محمد المؤيد من الكلم بأحسنه ومن الذكر بعزيزه، وعلى آله وصحبه المخصوصين من الفضل ببسيطه ومن النطق بوجيـــزه، فقـــد أشهدني الشيخ تاج الدين محمد لواضع خطه أعلاه، أدام الله علاه، على نفسه قدس الله سرها، وأطاب في طي الخلوات والجلوات نشرها، بجميع ما وضع به خطه أعـــلاه مـــن قراءة ابنه عليه القرآن العظيم جمعًا سلم من التكسير، وعلى قراءة الشاطبية والـــرائية علـــيه بحـــثًا كفـــل بالتيـــسير، ومن إجازته له أن يقرئ مـــن شاء كما قرئ

---

(١) واضح أن الإجازة بكتاب "بهجة الحاوي" وهو كتاب فقهي فلذا اشتملت على التورية بكثير من مسائل الفقه وأبوابه وكتبه.

علـــيه، فـــشهدت علـــيه طال بقاؤه وطاب لقاؤه بما نسب إليه، على أنه من اختبر ولده المذكور وحسن ذهنه، ظهر له من أهليته ما يستغنى به عن شهادة الأب لابنه، فإنه شاب يتوســـم مـــنه الصلاة والصلاح، ويرجى لحسن سمته النجاة والنجاح، ولعمري أن القراءة بالـــروايات تتوقف على حسن فهم وجودة طبع، فلولا أن هذا الشاب أسد لما قدر على السبع[1]، جعله الله لعين أبيه قرة، ومتعه بحياته فما أحق هذا التاج بهذه الدرة.

وله من رسالة وقد خلص له شخص ديوانه وبعثه إليه من دمشق بعد أن جلّده وأرسل له رسالة بذلك

وينهى ورود الكتابين اللذين سرا القلب والطرف، ووافيًا من تلقائه بأريج الشذا وذكى العرف، فأما كتاب مولانا فلان ذنب الأيام بوروده يغتفر، وأما كتاب المملوك فإنه كـــان يعـــيذه بالله من وعثاء السفر، والآن علم أن حظ مولانا وافر، فإنه خلص من جلد مقـــشعر عذب بين الضرس والحافر، وأقبل في حلة مفوفة، وبدل من نكرة بمعرفة، وأحمد غب الفرقة، وكان قلبه حران فكسب من دمشق الرقة، وشكر عاقبة الصبر، وقابل مولانا بـــه نسخته فحصل له بالمقابلة الجبر، وارتفع به عن الشيخ بهاء الدين الملام، وما هذه أول بركتكم يا آل فلان والسلام.

ســـألتُ كـــتابي إذْ أتـــى بعـــدَ برهة	فقـــالَ الفلانـــيُّونَ زادوا تـــوددي
رأَوْني مأخـــوذاً غـــريباً فأقـــبلوا	يقولـــون لا تَهلِـــكْ أســـىً وتجلَّـــدِ

وبالجملة فأكثر الله أنواء خيرك، وإن كنت قد قبلت من تفضلك ما لا أطيق قبوله من غيرك، ووجمت خجلاً، ثم قلت مرتجلاً:

وافى كـــتابُ العبـــدِ ضـــمنَ كتابِكمْ	فالقلـــبُ بـــينَ مـــسرتينِ يُـــوزَّعُ
فغـــدوْتُ أَحْـــسُدُ مِـــنْ كـــتابيَ أحرفًا	ظلَّـــتْ بحـــسنِكَ بـــرهةً تتمَـــتعُ
قـــد كـــنتُ أخـــشى أَنْ يُـــرَدَّ بعيـــبه	شـــرْعاً فعـــادَ بحلَّـــةٍ تـــتلمَّعُ
حمـــراءَ مِـــنْ حللِ الـــصِّبا فضفاضةً	ذهبـــيةً أوصـــافُها تـــنوَّع

---

(١) فيه تورية بالسبع مشاكلة للأسد، وهو يريد القراءات السبع.

لَـوْ لَمْ تجلـدْهُ وحقِّـكَ لم يطـقْ ... عـنكَ اصـطباراً فالـتجلُّدُ ينـفَعُ

أنـتَ الـذي أكـبرتني عَـنْ خلعـةٍ ... أدبـاً فـرحْتَ علـى كـتابي تخلـعُ

حجَّـتْ إلـيكَ بـناتُ أفكاري وَقَدْ ... رجعـتْ بفـضلكَ كالحمـائمِ تسجَعُ

فاسـحبْ ذيـولَ سـعادةٍ إنعامُهـا ... لا ينقـضي وسـحابُها لا يقلـعُ

وله من إجازة لابن العطار بعرض التنبيه

أمـا بعـد حمـد الله بمحامده كلها، والصلاة على نبيه محمد أشرف البرية رتبة وأجلها، وعلى آله وصحبه أحق الناس بكلمة التقوى وأهلها، فقد عرض عليّ ابن العطار أنبـته الله نباتًا حسنًا، وبلغه من فهم العلم المنى، عرضًا زاد هذا الطفل طولاً، وكفل له أن حـرص باليد الطولى، دل به على حفظ الكتاب كله، فأكبرت لصغر سنه مثل ذلك من مـثله، قـائلاً إنك من أطفال أرجو أن تكون لهم في العلوم رسوخًا، ثم لتبلغوا أشدكم ثم لـتكونوا شيوخًا[1]، سر الله بك أباك في السر والجهر، فهو سبحانه إذا شاء خرق العادة فيصلح بابن العطار ما أفسد الدهر.

وله من إجازة للكمال

أمـا بعد حمد الله الذي زاد نجباء الأبناء وأبناء النجباء كمالاً، والصلاة على نبيه محمد الذي شرف بكونه منهم فزادوا به تمييزًا وحسنوا به حالاً، وعلى آله وصحبه الذين صفاهم مؤكدات بالعطوف فلهذا سموا بدالاً[2].

منها: ولما عرض علي التحـفة زاد بها طولاً، ولما عـرض درة القارئ كاد يجعل الـدرة لتاج نباهته إكليلاً، ولما جاءت العقيلة الثالثة تقضـي بالحق تلوت وللآخرة خير لـك من الأولى، قرأ الكتب الثلاثة قراءة لم أسمع بها أو بمثلها، فدل بذلك على حفظه لها كلها.

---

(١) فيه تضمين للآية الكريمة ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى...﴾[الحج: ٥].

(٢) في نسخة: أبدالاً.

وله إلى صاحب له بحماة يهنئه بقدوم أخيه ناظر جيش حلب

وينهي أنه سطرها على سرور حقق الأمل، وأوجب شكر النعم بالقول وأنه الواجب بالقول والعمل، فإن حلب الآن حظيت بالزبدة، وبرئ الدهر إليها من العهدة، وأخذ في حديث الفرج بعد الشدة، وكانت في حرب الزمان فخلعت جوشنها على البشير، وقالت لحماة قد اجتمع العاشق والمعشوق فاخلعي مسرودتك فإن طرف أم الحسن قرير، وقدم في يوم نثرت السماء عليه ثلجها كالدراهم سرورًا، وأضاءت الآفاق به بياضًا ونورًا، فهنأت به نفسي وأخاه وأباه، وقلت في قدومه في يوم ثلج وإن لم أنشده إياه:

يـا قادمـاً والـثلجُ قـدْ عَـمَّ الفضا	قـدْ نـوَّرَ الظلمـاءَ مقـدمُكَ المُضي
سـافرتَ في يـومٍ عـبوسٍ أسـود	وقَـدِمْتَ في يـومٍ ضـحوكٍ أبـيضِ
فكأنَّمـا الـشهباءُ قـدْ حلفَـتْ بأنْ	تلقـاكَ في ثـوبٍ يـروقُ مُفَـضَّضِ
فاسـلمْ ودمْ في نعمـةٍ تأيـيدها	لا ينقـضي وبـناؤُها لم يـنقضِ

وله من إجازة اليمني

أما بعد حمد الله الذي زاد العلم بهجة، وأعقب كل أزمة في طلب الفضائل فرجة، والصلاة على نبيه محمد الذي جعله لعقد الكون واسطة وللوجود مهجة، وأيده بالمعجزات حتى حج القوم وأقام الحجة، وعلى آله وصحبه سفن النجاة ونجوم الهدى إذا أخطرت اللجة، وعلى من تبعه بإحسان وسلك نهجه، فقد قرأ عليّ الفقيه الفاضل محمد بن عمر بن عليّ اليمني شكر الله مسعاه، وصحبه بالسلام[1] في رجعاه، جميع كتابي المنظوم الموسوم ببهجة الحاوي في الفقه قراءة تصحيح وإتقان، واستكشاف وإحسان، فدل بذلك على همة شامخة، وعزمة باذخة، فإنه وفد إليّ من بلاد اليمن فحق وجوبه ووجب حقه، وقدم على نضو أسفار فصدق علمه وعلم صدقه.

---

(١) في نسخة: بالسلامة.

ومـــنها: والله تعالى يبلغه الأماني، وينفعه بحدائق ذات بهجة، وإن كانت كالثريا شامية إذا ما استقلت وهو إذا استقل يماني.

ومن تعزية بالملك الناصر

كتـــبت عن قلب يتقلب، ونار تشب وتتغلب، ودموع تباري السيل، وهلوع يجاري الخـــيل، وما ظنك بكسوف شمس النهار، والفلك الأعلى إذا انهار، فتم الحزن في هذا الفادح القادح قاصر، وكيف لا وقد فقد الملك قوته وناصره فما له من قوة ولا ناصر.

ومن إجازة للقاضي نور الدين الفيومي

أمـــا بعـــد حمد الله مانح أسباب الفضائل، وملهم الأواخر إحياء ذكر الأوائل، والـــصلاة علـــى نبـــيه محمد أفضل الخلق، وعلى آله وصحبه ذي الشرف الوقف والجود الطلـــق، فقـــد استجازني من حقي الاســـتجازة منه، والتمس الأخذ عني من الأولى بي الأخـــذ عـــنه، وهـــو مولانا بحر الفوائد، وكنز الزوائد، ســـحب العلوم، وقطب المنثور والمنظوم، أقضى القضاة أبو المحاسن يوسف الفيومي الخزرجي الشـــافعي أحسن الله إليه، وأدام نعمه عليه، كم أبدع في هذا المعنى نثرًا يخجل المنثور، وشعرًا يفوق الشعرى العبور، فذهـــبه مصري، وكوكبه دري، أدبًا ينقص عنده أبو تمام، ويغيب بحضوره بدر التمام، لا يقاس به امرؤ القيس، ولا ينصـــب عنده لمشاكلته اسم إن ولا خبر ليس، فبدرت مدحه ومـــدحت بـــدره، وشـــكرت مهديه وأهديت شكره، وتلوت وقد أنشأني هذا الإنشاء، ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾، ولكنه كلفني ما لا يطاق، وقلدني مننًا تثقل الأعناق، أتجيـــز ســـاقية بحرًا، أم يهدى أحد إلى بابل سحرًا، أم يباري شاميًّا مصريًّا، أم يســـاجل معدم مليًّا، ولله قولي:

وكـــانَ بمـــصرَ السحرُ قدْماً فأصبحتْ ... وأســـحارها أشـــعارُها تترقـــقُ
ويعجـــبني مـــنها تملُّـــقُ أهلِهـــا ... وقـــد زادَ حتّـــى ماؤُهـــا يـــتملّقُ

ثم لله قولي:

ديـــارُ مـــصرَ هـــي الدنـــيا وساكنُها ... هـــمُ الأنـــامُ فقابلْهـــا بتقبـــيلِ
يـــا مَـــنْ يباهـــي بـــبغدادَ ودجلـــتِها ... مـــصرُ مقدمـــةٌ والـــشرحُ للنـــيلِ

غير أني على كل حال، رأيت من حسن الأدب الامتثال، نعم أجزته دام سعده، وأذنت له كبت[1] ضده، أن يروي عني منظومتي الموسومة بالبهجة في الفقه والشرحين اللذين وضعتهما على الألفيتين في العربية ورسالتي الموسومة بمنطق الطير ومقدمتي في العربية، الموسومة بالتحفة الوردية وشرحها وأرجوزتي في الفرائض الموسومة بالوسائل المهذبة، في المسائل الملقبة، وجميع مالي روايته وإسماعه من منقول ومعقول[2]، وفروع وأصول، ونثر ونظم، وأدب وعلم، بشرطه لدى أهل ضبطه، حسبما تضمنه أمره الذي ضارع السيف الماضي حاله وتمييزه، واستحق به حسن مدحه ومدح حسنه فأنا مادحه وأنا مجيزه، متطفلاً عليه فيه، منشدًا تلو ذلك على البديه:

مولايَ يا ذا المنظرِ الزاهرِ ... والمنطقِ المنتظمِ الباهرِ
يا حاكماً شاهدُهُ عاملٌ ... على العُلى نفديكَ بالناظرِ
أبدعت نثراً قلتُ لَما بدا ... كم تركَ الأولُ للآخرِ
وقلتَ شعراً محكماً مثلُهُ ... في الدهر لم يخطرْ على خاطِرِ
فيا سريعَ النظمِ لا زلتَ في ... خيرٍ مديدٍ كاملٍ وافرِ
جَمَّلْتَ مصراً أنتَ مِنْ أهلِه ... وسُدْتَ في البادي وفي الحاضرِ
فأنتَ نورُ الدينِ عدلاً[4] ومَنْ ... يُسْمى[3] به غيرُكَ كالجائرِ
وإنما كلفتني خطةً ... تُوهي قوى المستأسدِ الخادِرِ
قلتَ أجزني وأنا قطرةٌ ... واحدةٌ من بحرِكَ الزاخرِ
يوسفُ أعرِضْ ما الذي تبتغي ... مِنْ عمرَ المعدولِ مِنْ عامِرِ
أمرتني ما أنتَ أولى به ... فشرِّف المأمورُ بالآمرِ

---

(١) في نسخة: كبت.

(٢) في الأصل: مقول، وهو خطأ.

(٣) في نسخة: سُمي.

(٤) في نسخة: حقًا بدلاً من عدلاً.

فإن أُخالفْ لم يلقَ بي وإنْ أطعتُ أخشى هزأةَ الناظرِ
وطاعتي أمركَ ألفيتُها أولى وإن شقَّتْ على خاطري
أجزتُ مولايَ كما جوّزوا صرفَ سوى المصروفِ للشاعرِ
ضرورةً إذ لست أهلاً لما ظننتَ يا طائلُ بالقاصرِ
إجازةً لو أنني منصف سألتُها من فضلِكَ[1] الغامرِ
مثلُكَ لا يُجهلُ مقدارُهُ ولا سجايا بيتكِ الطاهرِ
حكمتَ في الشهباءِ فرعاً عن الـ شرعِ وعن طَشْتَمرَ الناصري
فما رأينا منكَ إلاّ الذي يَسرُّ في الباطنِ والظاهرِ
حكْمٌ عفيفٌ نَزِهٌ محسنٌ بَرٌّ مقيلٌ عثرةَ العاثرِ
مسدَّد الأحكامِ حتى غدا حكمُكَ مثلَ المثلِ السائر
فاللهُ لا يجعلُهُ آخرَ الـ عهدِ لنا من وجهكَ الناضرِ
ودمتَ في عزٍّ وفي رفعةٍ يا قدوةَ الناظمِ والناثرِ

وله تهنئة بالملك المنصور أبي بكر وتعزية بأبيه الناصر

ما أساءَ الدهرُ حتى أَحْسَنا رقَّ فاستدركَ حزناً بِهَنَا
بينما البأساءُ عمَّتْ من هنا فإذا النعماءُ عمت منْ هنا
فبحقّ أن يسمَّى محزناً وبصدق أنْ يُسمَّى مُحسنا
فلئن أوحشنا بدرُ السما فلقد أنسنا شمسَ السنا
علماً أبدلَهُ منْ علمٍ ظاهر الإعراب مرفوعِ البنا
فجزى الله بخيرٍ مَنْ نأى ووقى مِنْ كلِّ خيرٍ مَنْ دَنا

أجل والله لقد أساء الدهر وأحسن، وأهزل وأسمن، وأحزن وسر، وعق وبر، إذ أصبح الملك وباعه يفقد الملك الناصر قاصر، وقد ضعفت أركانه ومات سلطانه فما له من قوة ولا ناصر، لكنه أصبح ولله الحمد وقد ملأ القصور بالمنصور سرورًا، وأطاعه الدهر وأهله فلا يسر في القتل إنه كان منصورًا.

---

(١) في نسخة: لفظك.

وله من إجازة

بعــد[1] حمد الله الذي وهب شهاب الدين أحمد المناقب، والصلاة على نبيه محمد أول طــارق لباب الجنة وما أدراكَ ما الطارق النجم الثاقب، فقد قرأ إلى آخره رزقني الله وإيــاه في الدارين مقعدًا يسر القلب والطرف، وألهم عمر وأحمد العدل ووزن الفعل لئلا يستحقا عن بابه الصرف.

وله من إجازة

عــرض علــيّ فلان المقصورة الدريدية من حفظه، وأداها بفصيح لفظه، عرضًا أصــبحت بــه المقصورة ممدودة الظل، وأصبحت من النقص في حرم ومن الثناء في حل، وكيف لا وهو من الأولى أجروا ينابيع الندى، وردت فصاحتهم من زعم أن امرء القيس جرى إلى مدى، فلو حضرت عرضه إياها وقد شفى من كان على شفا، قلت سنا أومض أو بــرق خفــا، أو جواد شكرت عزمته، أو سيف استعلت به همته، فلو فاخر بها السبع الطوال لصدها، واستأنف السبع وسبعًا بعدها، وأن بياض حفظه تجلى في سواد سطورها فجلاها من الحسن في وشاح، فكان كالليل البهيم حل في أرجائه ضوء صباح، فازدهيت بحــيره ومقابلــته وحق لها أن تزدهي، وقطع سردها بحد لسانه فانتهت عن الممانعة وكل شيء بلغ الحد انتهى.

وله في الزلزلة الحادثة في منتصف شعبان سنة ٧٤٤ وقد عاودت بعد سنة كاملة

نعوذ بالله من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها، ونستعينه في طلب الإقامة بها وحــسن الــرحلة عــنها، ثم نــستعيذ بالله ونستعين، من سم هذه السنة فهي أم أربعة وأربعين[2]، ذات زلزال بث في بلاد الشام رجله وخيله، وجزم برفع الأرض لما جر ذيله، لا عاد من زلزال، زاغ به العقل وزال، قنت الناس لأجله في الصلوات، وسكنوا من خوفه الصحارى والفلوات.

---

(١) في نسخة: أما بعد.

(٢) فيه تورية حيث إن المعنى القريب "العقرب" والمراد السنة.

إنِ الدهـــرُ خـــانَ امـــرأً بهـــونٍ أذاه يهـــنْ
فكـــم زخـــرفٍ قـــد ســـبا إذا زُلـــزت لم يكـــنْ

جـــاوز ســـتين يومًا، ووعظ بقوم قومًا، فإن قيل كيف صبر الجدار على إمساك شهرين متتابعين وما اجتث من أصله، قلت هي كفارة عليه فإنه في نهار رمضان وقع على أهله.

نعـــوذُ بالـــرحمنِ مِـــنْ مـــثلها زلـــزلةٌ أســـهرتِ الأعيـــنا
قـــدْ واثـــبتْ بـــالهجمِ مَـــنْ لا عصى وعاقـــبتْ بالـــرجمِ مَـــنْ لا زنى
حكـــمُ عزيـــزٍ قـــادرٍ قاهـــرٍ في كـــلِّ حـــالٍ لَمْ يـــزلْ محـــسنا

عايـــنا لها أهوالاً تقشعر منها الحجارة وتتفرق، وأن منها لما يشقق، وأن منها لما يهبط من خشـــية الله ويفرق، فكـــم دِخل الفاعل والصـــانع دارًا صخرها يابس وذهبها غـــض، فـــوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض، وكم سماء قائمة ســـقط فلن يبرح الأرض، وبـــناء قـــصر في الطول إلى يوم العرض، وكم ليلة سهرناها سهر ليالي الهجر، ودعونا الله تعالى أنها سلام هي حتى مطلع الفـــجر، فنسأل الله أجرًا بلا بلاء ونعوذ بالله من بلاء بلا أجـــر، وما حال من منى بالعكـــس والطرد، وامتد في كانون عن الكنّ فقصره البرد، أنا نـــبذنا بالعراء الخوف زلزال طما، لا ما علينا منه في الصحرا سوى مطر السما، والحكيم يقـــول هـــذا بخار ريح احتبس، والمنجم يقول هو من حركة كوكب اقتبس، وأما الفقيه فينشد فيه:

إني بفعـــــــل الله أولُ مـــــــؤمنٍ وبمـــا قـــضاه الـــنجمُ أولُ كافـــرِ
كـــذبَ[1] الحكـــيمُ فمـــا لَـــهُ منْ قوةٍ وذوو الـــنجومِ فمـــا لهـــم مـــن ناصر

فالعلمـــاء أحدق وأحذق، والشريعة الشريفة أقصد وأصدق، ولو رأيت حلب، وقـــد أشرفت على سوء المنقلب، ووضح لجامعها فرؤى في أماكن، وتعلمت منارته باب الإمالـــة وتحريك الساكن، فلولا بركة النداء فيها لرخمت، ولكن الله سلم جمعها فسلمت،

(١) في نسخة: كبت.

انتفع بأسها[١] بشرف التذكير، وسلم جمعها الصحيح من التكسير، غير أن الدموع جرت علـى عقـبة بـني المنذر كماء السماء، وبرزت المضمرات من الخدور لحركات البناء، وتعانقت حيطانها تعانق وداع، وفكت الرقاب واختلعت الأضلاع، وما أدراك ما العقبة، فك رقبة، وما يدعى بعاجز، من ضمن قول الراجز:

زلـــزلةٌ قـــدْ وقعـــتْ في العقـــبهْ　　ترضـــى مـــن اللحـــمِ بعظمِ الرقبهْ[٢]

فخـــرج النائب بحلب لهذه النائبة، ماشيًا متضرعًا من نتيجة هذه الكلية السالبة، وهو يأسى ويأسف، وعلى رأسه المصحف.

أقـــسمتُ لـــو شـــاهدتَهُ　　يخـــتالُ تحـــتَ المـــصحفِ

لحـــسبتَ[٣] صـــورةَ يوســـفٍ　　تمـــشي بـــسورةِ يوســـفِ

ولو رأيت القلاع والحصون، وقد أزالت الزلازل منها كل مصون.

طـــارتْ لقلـــعِ القـــلاعِ زلـــزلةٌ　　مـــا خـــشيتْ رامـــياً ولا صـــائدْ

إذا درى الحـــصنُ مَـــنْ رمـــاهُ بهـــا　　خـــرَّ لـــهُ في أساســـهِ ســـاجدْ

إنْ هـــربوا أُدركـــوا وإن وقفـــوا　　خـــشوا ذهـــابَ الطـــريفِ والـــتالدْ

فالأمـــــــرُ للهِ رُبَّ مجـــــــتهدٍ　　مـــا خـــابَ إلاّ لأنّـــهُ جاهـــدْ

رمت الناس بعلة السدر والدوار، وجاورت دورًا مرفوعة فخفضتها على الجوار، ولو رأيت منبج منبت كل سريّ، ومهب النسيم السحريّ، وهي من شدة الطمس، كأن لم تغن بالأمس، قد كسف الردم بها كل بدر وشمس.

---

(١) في نسخة: أسقطت الهمزة.

(٢) ضمن بيت الراجز:

أُمُّ الحُلَيسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ　　تَرضَى مِنَ اللَحْمِ بَعَظْمِ الرَقَبَهْ.

وأراد الراجز قلة أكلها، وأراد المصنف هنا أنها مهلكة حيث تأخذ بالرّقاب، ومن ثم فقد جمع إلى التضمين تلك الكناية البديعة

(٣) في نسخة: لرأيت.

ولـــيس وفـــاتهم بالـــردم نَقْـــصاً لقـــدرهمُ ففـــي الـــشهداء صـــاروا
ومـــا في ســـطوةِ الخـــلاّقِ عـــيبٌ ولا في ذلّـــةِ المخلـــوقِ عـــارُ

فـــوا أســـفاه على منبج من مدينة جليلة، أصبحت دمنة[1] وكانت الألسن عن وصفها كليلة[1]، غشيها فتر وظلمة، وركبتها ريح سوداء مدلهمة.

هلكـــوا هـــمُ وديـــارُهم في لحظـــةٍ فكـــأنهم كانـــوا علـــى مـــيعادِ
نبـــشوا[2] وأوجُهُهـــم تضيءُ من الثرى مـــثلَ الـــسيوفِ مـــنَ الأغمـــادِ

وقد حكى أن منارتها صارت تقذف نحو السماء حجارتها.

ســـكرتْ بخمـــرِ زلازلٍ رقـــصتْ لها رقـــصَ القلـــوصِ بـــراكبٍ مستعجلِ
ســـقياً لـــسقياها فدمعـــي قاطـــرٌ لمـــصابِ منزلِهـــا وأهـــلِ المـــنزلِ

ولمـــا سمعـــوا مهول ذلك الصوت، خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فما حمتهم هيبة هيبت ولا أقطار القاطر، ولا منعتهم قناطر الملوك إذ صرعتهم ملوك القناطر.

كـــمْ حـــائطٍ فـــوقَ الكواعبِ طائحٍ مـــاذا أقـــولُ لـــهُ ولكـــنْ حـــائطُ

فلا جرم عظم وهنٍ لها ولا وهن عظمي، وختمت ذلك ببيتين من نظمي:

منـــبجٌ أهلـــها حَكَـــوا دودَ قـــزٍّ عـــندهم تُجعـــلُ البـــيوتُ القـــبورا
ربِّ نعِّمهـــمُ فقـــدْ ألفـــوا مِـــنْ شـــجرِ الـــتوتِ جـــنَّةً وحريـــرا

وله من رسالة إلى صاحب له تولى نظر المال بحماة

يقـــبِّلُ الأرضَ مـــشوقاً قـــائلاً ومـــستكنُّ الحـــبِّ مـــنْهُ ظاهـــرُ
يـــا جـــيرةً حمـــى حمـــاةَ اســـتوطنوا طـــرفي إلـــيكم حـــيثُ كنـــتمْ ناظـــرُ
أعجَـــزُ عـــنْ وصـــفِ ضـــميري لكُم إذْ لَمْ يُجَـــزْ أَنَّ توصـــفَ الـــضمائرُ

وينهـــى أنه كان يقول لقلعة حماة هنيئًا مريئًا، قد جعل ربك تحتك سريًا، والآن هنيـــئًا للسريّ الفاخر، بمجاورة بحرك الزاخـــر ، ولعمري لقد حق لابن مقاتل توشـــيع

---

(١) فيه مشاكلة وتورية بكليلة ودمنة وليس هو المراد.

(٢) في نسخة: يبسوا.

التوشيح، وأن يقتدي بالملائكة حتى يسمع له زجل بالتسبيح، ولما عزز أمنك بثالث وهما من هما، أنشدت مضمنًا عني وعنهما:

قَدْ حمى[2] المولى حماةَ بفضلهِ   فدمشقُ تحسدُها على تمكينها
بسمَتْ فأعجبني تبسُّم ثغرِها   فلثمتُ فاها آخذاً بقرونِها[1]

فحميت حماة من إعانة الصب وإصابة العين، وتم سرور أم الحسن بالحسين.

وله من إجازة

فقد قرأ عليّ فلان ذو الذهن الوقاد، والفكر المنقاد، الهاجر في تحصيل العلم لأوطانه النازح في طلب الحديث عن أهله وإخوانه، جميع كتابي المنظوم في الفتاوى، الموسوم ببهجة الحاوي، وجميع أرجوزتي الموسومة بالبهجة الوردية، في علم العربية، وبحث عليّ من الكتابين مواضع كثيرة، وتنبه لمعان عزيزة غزيرة، فبلغ [من][3] ريا البهجة وشذا شرحها سؤلاً، وزاد البهجة بهجة فتلوت وللآخرة خير لك من الأولى، وما أحق من وقف لتحصيل العلم وهو نضو سفر، أن يكتب من النفر العاملين بقوله سبحانه فلولا نفر، مع ما سمع مني من منثور طيب الشذا، ومنظوم يعدله المنصف من جنس بئس إلى فصل حبذا.

منها: مبشرًا له بارتفاعه على قرنائه، متفرسًا فيه التقدم على نظرائه، وكيف لا وقد رحل في طلب العلوم إلى الآفاق، وانتهى إلى علامة الزمان على الإطلاق، وانتظم في سلك العصابة التقوية، وكتب من أنصار الكتيبة الأنصارية، التي أصبحت للعلوم بحرًا خضمًا، وللطالبين والراغبين مشرعة عظمى، متع الله المسلمين ببقاء أبي بقائهما، وخرق العادة في حياة رافع لوائهما، ولا غرو أن تتضاعف لمن قارن السحاب والبدر الأنواء

---

(١) ضمن بيته شطر البيت المشهور:

فَلَثَمتُ فاها آخِذاً بِقُرونِها   شُربَ النَزيفِ بِبَردِ ماءَ الحَشرَجِ

وقبله:

قالَت وَعَيشِ أَخي وَذِمَةِ والدي   لأُنَبِّهَنَّ الحَيَّ إن لَم تَخرُجِ

(٢) في نسخة: جمل، وما أثبتناه أولى وفيه جناس بديع بين حمى وحماة.

(٣) ما بين المعكوفتين زيادة من بعض النسخ.

والأنــوار، وأن يــرفع جار المرفوع فقد خفض جار المخفوض وإن كان كبير أناس على الجوار.

وله من مكاتبة عنه وعن أخيه يوسف

وإذا عــنى مــولانا الصاحب بالأخ رفقًا وإحسانًا، تلونا هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمــير أهلــنا ونحفظ أخانا، فالله يعلينا بعلوك، ويبلغنا مرجونا ببلوغ مرجوك، حتى تقول أولادك عنا، ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا[1] منا، ونقر بك عينًا، ونقرأ أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا.

وكتب إليه قاضي شهاب الدين بن فضل الله كتابًا من الشتويات وله قصيدة مطلعها

هــلا أعــارت دمــشقًا أختها حلب ... عيــنًا فتــرحم أو قلــبًا فيكتــئب

فأجابه

وافى الكــتابُ الــذي تعــنو لهُ الكتبُ ... مــن الــشهابِ الذي تسمو بهِ الشهبُ
مــنْ عندِ أسجع مَنْ يُسمى وأسمح مَنْ ... أعطــى وأبلــغ مَــنْ أَمْلُوا وَمَنْ كتبوا
فلــو فرشــتُ ســروراً وجــنيٌّ لــه ... لم أقــضِ مِــنْ حقّهِ بعضَ الذي يجبُ
ألفاظُــــهُ الغـــــرُّ فاروقــــيةٌ دررٌ ... يُنفــى بهــا السمُّ أو يُشفى بها الكَلَبُ
فوائــقٌ مــن قــوافٍ حيــثما ذُكرت ... يطــربْ بهــا الحــيُّ أو يحيا بها الطربُ
يــا باعثَ الثلجِ والسحبِ التي عُهدت ... مِــنْ ثغــرِهِ ونــدى كفــيْهِ يُحــتلَبُ
بيضُ الثلوجِ اكتستْ من وصفِكُمْ ذهباً ... كأنهــا فــضةٌ قَــدْ مــسَّها ذهــبُ
مِــنْ ســعدِ جلّــقَ أن النائــباتِ بهــا ... بــيضٌ وفي غيرهــا مــا ابيضَّتِ النُّوَبُ
لا مــا لحمــرةِ ســيلٍ في طــرابُلُسٍ ... هــذا البــياضُ وهــذا المنظرُ العجبُ
لــو ادعــى أنــهُ يحكــيهِ قلــتُ لــهُ ... لقــدْ حكــيتَ ولكــنْ فاتَكَ الشنبُ

---

(١) في بعض النسخ: أخينا، والمذكور أولى للتضمين بآية يوسف.

زرقُ الأعادي وبيضُ السحبِ واجدةٌ[٣] … علـى دمـشق فلا كانوا ولا السحبُ
ناهـيكَ مِـنْ دِيَـمٍ في طَيِّها زَغَبٌ[٤] … وزمجـرات رعـود ضـمَّها رَهَـبُ
قَـدْ ثُجَّـتِ المـاءُ ثجًّا فَهْوَ منسكب … ورُجَّـتِ الأرضُ رجًّـا فَهْيَ تَضطربُ
الفـرقُ بـين دمـشقَ والجـنانِ لـنا … أَنْ لا لُغـوبَ بجـنات ولا نَـصَبُ
يـا برقُ قلْ لي ويا سطرَ السحابِ ترى … الـسيف أصـدقُ أنـباءً أمِ الكتبُ[١]
فالـسحبُ والـبرقُ يـتلوها كغاشية … مـنَ الـدخانِ علـى آثارهـا لهـبُ
أو كالعـشارِ الـتي غـنَّتْ رواعـدُها … مـثلَ الحـداة الـتي أصواتُها[٢] ذهبُ
مـولايَ إنَّـا لفـرطِ الحـبِّ فيكَ إذا … أمـر عَـناكَ كأنَّـا فـيكَ نصطحبُ
فكـلُّ مـا في دمـشقَ حلَّ مِنْ جللٍ … فـشطرُ ذلـكَ قاسـتْ أختَها حلبُ
إنَّ المـصائبَ بالأقـدارِ كائـنةٌ … لكـنْ علـى حسبِ الأقدارِ تُحتسبُ
عجـبتُ مـني ومـنْ غيري تشوقنا[٧] … إلى ازديـاد حـياة كلُّهـا تعـبُ
وإنْ دُهمـنا بـسيلٍ أو بـنوعِ أذى … كالـثلجِ والـنارِ[٥] حِرْنا ما هو السببُ
أقـسمتُ بـاللهِ لـولا حلْـمُ خالقنا … لكـانَ مِـنْ عشْرِ ما نأتي به العطَبُ[٦]
ودهـرُنا أيُّ دِهـرٍ في تقلُّـبه … قَـدْ هـانَ فـيه التقى والعلمُ والأدبُ
لي أُسـوةٌ بانحطـاطِ الشمسِ عَنْ زحلٍ … فـإنْ عـلاني مَـنْ دوني فـلا عجبُ
وإنْ يكـنْ كـسدَ الـورديُّ في حلب … فالمـندلُ الـرطبُ في أوطانـه حَطَبُ
مـا شبْتُ وحدِي عذارُ الماءِ شابَ إلى … أنْ صـارَ ثلجـاً كذا الأحوالُ تنقلبُ

---

(١) تضمين لمطلع القصيدة المشهورة لأبي تمام.

(٢) في نسخة: أسواطها.

(٣) في نسخة: واحدة، وهذا خطأ.

(٤) في نسخة: رغب.

(٥) في نسخة: كالنار والثلج قلنا.

(٦) أي لولا رحمة الله لأهلكنا ببعض ذنوبنا، والعطب هو الهلاك.

(٧) في نسخة: تشوفنا.

يـــا واصـــفَ السيلِ وصفاً هالَ سامعَهُ فالقلـــبُ والخـــوفُ مِنْ أوصافه يجبُ[1]

كـــم شـــادَ منكمْ قوى الدنيا أخٌ فأخٌ وســـادَ فـيكم إلى العلـــيا أبٌ فَـــأبُ

فيعـــبرونَ مـــدى الكـــتَّابِ إنْ كتـــبوا وينـــشرون فـــتى[2] الخطَّابِ أنْ خطبوا

إنْ ســـوبقوا سَـــبَقوا أو حَدَّثوا صدقوا أو سُـــولموا رفقـــوا أو حوربـــوا غلبوا

كـــتابةُ الـــسرِّ بـــل ســـرُّ الكتابةِ مِنْ فـــنونكمْ وعلـــومٌ راضَـــها الطلَـــبُ

لكـــمْ يـــراعٌ بفـــضلِ اللهِ ما افتخرتْ إلا أقـــرَّ لهـــا الخطِّـــيُّ والقـــضُبُ

في الـــذوقِ تحلو وفي الأسماعِ تعذب إذْ في الـــسبْقِ تمْلُـــحُ حسناً هكذا القصبُ

مظلـــومةُ القـــدِّ في تـــشبيهها[4] غصنًا مظلـــومةُ الـــريقِ إذ[3] قلنا هي الضَرَبُ

يقبل الأرض التي تقبيلها شرف، ويدعو بدوام أيام مولانا دعاء من اعترف بفضله ومـــن بحر فضائله اغترف، وينهى ورود المثال الشريف الذي يحكي رداء نهار طرز بليل، وتبسم عن معان مبتكرة في وصف ثلج وبرد وسيل، أعرب فيه فأغرب، وأرقص سامعيه وأطـــرب، ثلج أصبحت به جبال دمشق مغلفة والخواطر معلقة، والأغصان المتناة مقشعرة مـــن باردته ليكون الثلج بالمثلثة، توارت الشمس من وقاحته بفاختي قمصها، وودت من برده لو جرت النار إلى قرصها، وقالت له الأرض كشف عن حمرة وجنتي وخضرة عذار مرجـــي، قال كأنك لائطة، قالت وإلا عذارك الثلجي، ابتسم لبكاء أهلها عن شنب ثغر للـــرفش لا للرشـــف، وستر رقعة الأرض في دستة القائم حتى النفس ولو أنها الفيل تموت بالمقاطعة شوقًا إلى الكشف.

أثلـــوجُ ضـــاعفْتِ الهمـــومَ وطالمـــا كلفـــتِني مـــا ضـــرني تكلـــيفُهُ

إبـــلُ الـــسحائبِ هِـــيَّجٌ في جـــوِّها وغمامُهـــا[5] كالقـــوسِ[6] طـــارَ نديفُهُ

---

(١) في نسخة: سحب.

(٢) في نسخة: وينشدون قنى.

(٣) في نسخة: إن.

(٤) في نسخة: تشبيهه.

(٥) في نسخة: لغامها.

(٦) في نسخة: كالبرس.

قــل تجلــد الأرض علــى جليده ظهرًا وبطنًا، فقال لها أتبردين وقد طرح قوس السحاب على جبتك قطنًا.

ذرَّ كافــــورَ ثلجِـــهِ الجـــوُّ في الأر ضِ فأضـــحى مــــزاجُها كافــــورا
وتـــلاه ويْـــلاه حـــبٌّ غمـــامٍ فحــــسبناهُ لؤلـــؤاً منــــثورا

كم زمجرت الرعود على الناس كأنها تطلبهم بثأر قتيل وما قتلوه، وقعقعت عليهم لج[1] صواهلها حتى تلوا أتى أمر الله فلا تستعجلوه.

إنَّ الـــسحائبَ قَـــدْ طَغَـــيْنَ بجلّـــقٍ وبثـــشنَ ثلجـــاً لا ســـلمْنَ ســـحائبا
وبـــسمْنَ عـــنْ بـــرد خـــشيتُ أذيبُهُ مِـــنْ حـــرِّ أنفاســـي فكـــنتُ الذائـــبا
لـــو أن بـــستاناً بجلّـــقَ ناطـــق حـــساً لكـــانَ يقـــولُ قـــولاً صـــائبا
أظمـــتنيَ الدنـــيا فلمـــا جئـــتُها مستـــسقياً مطـــرَتْ علـــيَّ مـــصائبا
ســـحبٌ بـــوارقُ أو ثلـــوجٌ خلـــتُها زنجـــاً تبـــسَّم أو قـــذالاً شـــائبا

أيقـــنوا بـــالهلاك من غلبة الماء للماء غلبة، فتاب إلى الله الفاعل والمفعول معه لما استوى الماء والخشبة، وقامت في تذكر الصيف سوق سوقهم، ورجت الأرض بقوم فخر عليهم السقف من فوقهم، وتضور الجامع الأمويّ من ترصيص الثلج على ترصيصه، وزاد علـــيه حتى كاد يقصـــص عظام فصوصه، فأصبحت العروس تتجلى بشربوش من فضة، وبـــل جناح النســـر بالندى فعجز عن الطيران والنهضة، ونادى جيرون الجيرة من غائلة ثلوج تلوح، فقيل لا تخـــش من باب تزيد الســـيل فإن باب الزيادة مفتوح، وجمد الريق في اللهـــوات لثلج وبرد تسطح وتسنم، وسجد الكافر للشمس من شدة برده واشتاق إلى جهنم.

ســـحائبُ البَـــرَدِ المـــرْفَضِّ صـــائلةٌ علـــى جـــنانِ دمـــشقَ صـــولةَ الأسد
كَـــمْ كسَّرتْ أصلَ تفاحٍ وكم حَطَمَتْ ورداً وعـــضت علـــى العنَّاب بالبرد[2]

(١) في نسخة: لجم.

(٢) في نسخة: بالزرد، والمذكور أولى رعاية لتضمين البيت المشهور.

هـــذا ولـــولا تسعر بأس مولانا لما ذاب، وحاشا مولانا واسطة عقدها من أذى وعذاب، وما قدر بياض الثلج عند بياض حسبك ووجهك وثغرك، وما حال جبال البرد وأنهار جبال السيل عند جبال حملك وزاخر بحرك، فالله يمتع الفضائل من مولانا بكل معنى غـــير معاد ولا مسروق، وينفعنا ببركة جده عمر وقد فعل وما أحق من سم بالذنوب أن ينتفع بالفاروق.

رسالة النبا عن الوبا

الله لي عدة، عند كل شدة، حسبي الله وحده، أليس الله بكافٍ عبده، اللهم صلّ علـــى سيدنا محمد وسلم، ونجنا بجاهه من طعنات الطاعون وسلم، طاعون روع وأمات، وابـــتدأ خبره من الظلمات، يا له من زائر، من خمس عشرة سنة دائر، ما صين عنه الصين ولا منع منه حصن حصين، سل هنديًا في الهند، واستند على السند، وقبض بكفيه وشبك علـــى بـــلاد أزبـــك، وكم قصم من ظهر، فيما وراء النهر، ثم ارتفع ونجم، وهجم على العجـــم، وأوسع الخطى، إلى أرض الخطا، وقرم القرم، ورمى الروم بجمر مضطرم، وجر الجرائر إلى قبرص والجزائر، ثم قهر خلقًا بالقاهرة، وتنبهت عينه لمصر فإذا هم بالساهرة[1]، وســـكن حركة الإسكندرية، فعمل شغل القز الحريرية، وأخذ من دار الطراز طراز الدار، وصنع بصناعها ما جرت به الأقدار.

اســـــــــكندريةُ ذا الـــــــوبا	سَـــبُعٌ يمـــــدُّ إلـــــيكِ ضـــــبعَهْ
صـــــــبراً لقـــــــسمتهِ الـــــتي	تـــركتْ مـــنَ الـــسبعينَ ســـبعَهْ

ثم تـــيمم الصعيد الطيب، وأبرق على برقة منه صيب، ثم غزا غزة، وهز عسقلان هـــزة، وعـــكّ إلى عكـــا، واستشهد بالقدس وزكى، فلحق من الهاربين الأقصى بقلب الـــصخرة، ولـــولا فـــتح باب الرحمة لقامت القايمة في كره، كما طوى المراحل، ونزل بالـــساحل، فـــصاد صيدا، وبغت بيروت كيدًا، ثم سدد الرشق، إلى دمشق، فتربع وتميد، وفـــتك كـــل يـــوم بألـــف أو أزيد، فأقلّ الكثرة ، وقتل خلقًا ببترة ، فالله تعالى يجري

---

(١) فيه تضمين لآية سورة النازعات.

دمشق على سنتها، ويطفي لفحات ناره عن نفحات جنتها.

أصلحَ اللهُ دمشقاً وحماها عَنْ مسبَّهْ
نفسُها خسَّتْ إلى أنْ تقتلَ الناسَ بحبَّهْ

ثم مز المزة، وبرز إلى برزة، وركب تركيب مزج بعلبك، وأنشد في قارة قفا نبك، وغسل الغسولة، وبلغ من كسوف شمس شمسين سوله، وطرح على الجبة برشه، وأزبد على الزبداني نعشه، ورمى حمص بجلل، وصرفها مع علمه أن فيها ثلاث علل، ثم طلق اللكنة في حماة، فبردت أطراف عاصيها من حماه.

يا أيها الطاعونُ إنَّ حماةَ مِنْ خيرِ البلادِ ومِنْ أعزٍّ حصونِها
لا كنتَ حينَ شَمَمْتَها فسمَمْتَها ولثمْتَ فاها آخذاً بقرونِها

ثم دخل معرة النعمان، فقال لها أنت مني في أمان، حماة تكفي في تعذيبك، فلا حاجة لي بك.

رأى المعرةَ عيناً زانَها[1] حَوَرٌ لكنَّ حاجبَها بالجوْرِ مقرونُ
ماذا الذي يصنعُ الطاعونُ في بلدٍ في كلِّ يومٍ لهُ بالظلمِ طاعونُ

ثم سرى إلى سرمين والفوعة، وشنع على السنة والشيعة، وسنّ للسنة أسنته شرعًا، وشيع في بلاد الشيعة مصرعًا، ثم أنطى أنطاك بعض نصيب، ورحل عنها حياء من نسيانه ذكرى حبيب، ثم قال لشيرز والحارم لا تخافا مني، فأنتما من قبل ومن بعد في غنى عني، فالأمكنة الردية تصح في الأزمنة الوبية، وأخذ من أهل الباب، أهل الألباب، وباشر تل باشر، وذلل ذلول وقصد الوهاد والتلاع، وقع خلقًا من القلاع، ثم طلب حلب، ولكنه ما غلب، فهو ولله الحمد أخف وطأة، ولم أقل كزرع أخرج شطأه.

إنَّ الوبا قدْ غلبا وقدْ بدا في حلبا
قالوا له على الورى كافٌ ورا قلت وبا

(١) في نسخة: زالها، وهو خطأ.

ومــــن الأقدار، أنه يتتبع الدار، فمتى بصق واحد منهم دمًا، تحقق كلهم عدمًا، ثم يسكن الباقين الأجداث، بعد ليلتين أو ثلاث.

ســــألتُ بــــارئَ النــــسمْ	في دفــــعِ طاعــــونٍ صَــــدَمْ
فَمَــــنْ أحــــسَّ بلــــعَ دمٍ	فقــــدْ أحــــسَّ بالعــــدمْ

اللهم إنه فاعل بأمرك فارفع عنا الفاعل، وحاصل من عند من شئت فاصرف عنا الحاصل، فمن لدفع هذا الهول، غيرك يا ذا الحول.

اللهُ أكــــبرُ مِــــنْ وبــــاءٍ قــــدْ ســــبا	ويــــصولُ في العقــــلاءِ كالمجــــنونِ
ســــنَّتْ أســــنتُهُ لكــــلِّ مديــــنةٍ	فعجــــبتُ للمكــــروهِ في المــــسنونِ

كــــم دخل إلى مكان، فحلف لا يخرج إلا بالسكان، ففتش عليهم بسراج، وهذا الذي جلب لأهل حلب الانزعاج، استرسل ثعبانه وانساب، وسمي طاعون الأنساب، وهو ســــادس طاعون وقع في الإسلام، وعندي أنه الموت الذي أنذر به نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام.

حلــــبٌ واللهُ يكفــــي	شــــرَّها أرضُ مــــشقهْ
أصــــبحتْ حــــيَّةَ ســــوءٍ	تقــــتلُ الــــناسَ بــــزقَهْ

فلــــو رأيت الأعيان بحلــــب وهم يطالعون من كتب الطب الغوامض، ويكثرون في علاجه من أكل النواشف والحوامض، قد تنغــــص عيشهم الهني، بملاطخة مسلم الطينة الطــــين الأرمــــني، وقد لاطف كل منهم مزاجه وعــــدل، وبخروا بيوتهم بالعنبر والكافور والــــسعد والصندل، وتختموا بالياقوت، وجعلوا البصــــل والخل والصحنا من جملة الأدم والقــــوت، وأقلوا من الأمراق والفاكهة، وقربوا إليــــهم الأترج وما شابهه، ولو شاهدت كثــــرة الــــنعوش وحملة الموتى، وسمعت بكل قطر من حلــــب نحيبًا وصوتًا، لوليت منهم فــــرارًا، ولأبــــيت فيهم قرارًا، فلقد كثرت فيها أرزاق الجنائزية فلا رزقوا، وعاشوا بهذا الموســــم وعرفوا من الحمل فلا عاشوا ولا عرقوا، فهم يلهون ويلعبون، ويتقاعدون على الزبون.

اسودَّت الشهباء في عينيَّ مِنْ رمَمٍ وغشِ
كادت[1] بنو نعشٍ بها أنْ يلحقوا ببناتِ نعشِ

فنستغفر الله من هوى النفوس فهذا بعض عقابه، ونعوذ برضاه من سخطه وبمعافاته من عذابه.

قالوا فسادُ الهواءِ يُردي فقلتُ يردي هوى الفسادِ
كم سيئاتٍ وكم خطايا نادى عليكم بها المنادي

ومما أغضب الإسلام، وأوجب الآلام، أن أهل سيس الملاعين، مسرورون لبلائنا بالطواعين، حتى كأنهم منه في أمان، أو عليه أن لا يقربهم ضمان، أو كأنهم إذا ظفروا، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا.

سكانٌ سيسَ يسرُّهمْ ما ساءَنا وكذا العوائدُ مِنْ عدوٍّ الدينِ
الله ينقلُهُ إليهمْ عاجلاً ليمزِّقَ الطاعونَ[2] بالطاعونِ

هذا وهو للمسلمين شهادة وأجر، وعلى الكافرين رجز وزجر، إذا صبر المسلم على مصيبته فالصبر عبادة، وقد ثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم أن المطعون شهيد فهذا الثبوت حكم بالشهادة، وهذه الخفية، تعجب الحنفية، فإن قال قائل هو يعدي ويبيد، قل بل الله يبدئ ويعيد، فإن جادل الكاذب في دعوى العدوى وتأول، قلت قد قال الصادق عليه السلام فمن أعدى الأول، ولو سلمنا فتكه بأهل الدار، فهو بإرادة الفاعل المختار، كان وكان.

أعوذ بالله ربي، من شر طاعون النسب، باروده المستعلي، قد طار في الأقطار، فتاش دهاشاته، ساعي لصارخ مارثا، ولا فدى بذخيرة، دولابه الطيار، يدخل إلى الدار ويحلف، ما يخرج إلا بأهلها، معي كتاب القاضي، بكل من في الدار، ومن فوائده تقصير الآمال، وتحسين الأعمال، واليقظة من العقلة، والتزود للرحلة.

---

(١) في نسخة: كادوا.

(٢) هكذا في الديوان بالرفع.

فهـــــذا يوصّـــــي بـــــأولاده وهــــذا يــــودّعُ جيرانَــــــهُ
وهـــــذا يهيّـــــئ أشــــغالَهُ وهــــذا يُجهّـــــزُ أكفانَــــــهُ
وهـــــذا يـــــصالحُ أعــــداءَهُ وهــــذا يلاطـــف إخــــوانَهُ
وهـــــذا يوسّـــــعُ إنفاقَــــــهُ وهــــذا يخالـــلُ مَــــنْ خانَــــهُ
وهـــــذا يحـــــبِّسُ أملاكَــــهُ وهــــذا يحـــــرِّرُ غِلْمانَــــهُ
وهـــــذا يُغيّـــــرُ أخلاقَــــهُ وهــــذا يعيّـــــر ميـــــزانَهُ
ألا إنَّ هـــذا الـــوبا قَـــدْ سَـــبا وَقَـــدْ كـــانَ يرســلُ طـــوفانَهُ
فـــلا عاصـــمَ الـــيومَ مـــن أمـــره ســـوى رحمـــةِ اللهِ ســـبحانَهُ

ومـــا منعـــنا الفرار منه إلا التمسك بالحديث، فهلم بنا نستغيث إلى الله تعالى في رفعه فهو خير مغيث، اللهـــم إنا ندعوك بأفضل ما دعاك به الداعون، أن ترفع عنا الوباء والطاعـــون، لا نلتجئ في رفعهما إلا إليـــك، ولا نعول في العافية منهما إلا عليك، نعوذ بـــك يـــا رب الفلق من الضرب بهذه العصا، ونسألك رحمتك فهي أوسع من ذنوبنا ولو كانـــت عـــدد الرمل والحصى، ونتشفع إليك، بأكرم الشفعاء لدي، محمد نبي الرحمة، أن تكـــشف عنا هذه الغمة، وأن تجيرنا من الوبال والتنكيل، وأن تعصمنا فأنت حسبنا ونعم الوكيل.

وله جواب

وينهـــي بعـــد دعائه المبني على الفتح، وثنائه المنصوب على المدح، وشوقه الذي ارتفع فاعله، وتوقه الذي لا يكف ولا يلغي عامله[1].

شـــوقٌ وتَـــوْقٌ إلى مـــنْ فـــيضُ نائلِهِ في مـــنزلي وفـــؤادي في مـــنازِلِه

وورود المشرف بفتح الراء وكسرها، لا بل الصدقة التي جعلت القلوب بأسرها في أســـرها، فقابله المملوك بالتقبيل والإعظام، وغاظ السبابة وسر المسبحة بطريقة الوسطى المترهة عن الإبهام، وشبهه بالجوهر الفرد، وقويت به شوكة الورد.

(١) المصنف كثيرًا ما ورّى بمصطلحات النحو ومسائله لغلبتها عليه وسعة علمه به.

وأذكـــــرني لـــــيالِيَ ماضـــــيَاتْ بكـــم تـــزري علـــى ضـــوء الصباحِ
وملحـــــةُ فـــــضلِكُمْ بعـــــد اختـــــتامٍ تقـــولُ أقـــولُ مـــنْ بعـــدِ افتـــتاحِ

وكـــان المملوك يخشى لتقصيره من معاتبة، فأعفاه منها وجبر ما قابله وأذن له في المكاتبة.

كاتبْـــتَني وأذنـــتَ لي بكـــتابةٍ مـــني إلـــيكَ لقـــدْ فُتـــنت فُـــتونا
يـــا مالكـــي بجمـــيلِهِ مـــنْ ذا رأى عَـــبْداً ســـوايَ مكاتـــباً مأذونـــا

علـــى أن المملوك شهد الله ما يترك مكاتباته نسيانًا لبره، وإنما ذلك إزاحة لتكلفه وإراحـــة لـــسره، ثم لله هـــذه الـــبلاغة التي تشهد بعبث الوليد، وتنسى بل تنشى مديح عبدالحمـــيد، وتؤثـــر ابـــن الأثير، وتقول للنصير الحمامي لا تتكثر فما أنت نعم النصير، وتتصالف عن مجالسة الجزار، ويقول حسنها عن الوراق، إن لسان السراج نار.

بـــسجعات قـــصار فهْـــيَ تحكـــي لـــــيالي وصـــــلِنا بالـــــرقمتينِ
فـــإن يَـــرَها ابـــنُ مُقْلَـــة قـــال عنها فـــداؤُكِ مقلـــتايَ أبي وعـــيني

وبلغ المملوك خبر مبتدأ الدرس الذي نبع وفاق، وبلغ ذكره إلى الآفاق، بفصاحة لها عند قس أيادي، فلله شافعية مطاع وبويطية مشرع وربيعه مرادي، وتفسير يتبسم ابن عـــباس لحسن أنواعه، ويلقى مقاتل السلاح لإيداع إبداعه، ويقول جار الله جار ملقيه لحسن شكله وضبطه، وينادي ابن المنير هذا نسيج وحده ويضرب بالدف على مشطه.

لـــو أنَّ الـــشافعيَّ رآك نـــادى نـــصرتَ طـــريقتي ونـــشرْتَ علمـــي
نهـــضتَ بحجـــةِ الإمـــلاءِ عـــني فـــداكَ أبي كمـــا أحيـــيت أمـــي

وسمـــع بمـــا أنعم به من خلع المدح التي رقم لها من بهجة العلم الطراز، ونما نبأها فعـــذيب بارقهـــا ينبع حتى لعلع حجاز، ولو حضرهم المملوك خلع عليهم العذار وثوب الـــشباب، وخرج من قشوره وما قدرها عند هذا اللباب، ثم بلغه توليته مشيخة الشيوخ الـــتي خطب إليها مسئولاً، وتلا له لسان حالها وللآخرة خير لك من الأولى، فيهنئكم ما

أوتيتموه من التدريس رسوًا ورسوخًا، ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخًا، لا جرم أن قلوب الصوفية توسمت منه الشفقات فجذبته إليها، وعلمت منه الصدقات فهم من العاملين عليها، وناهيك بمنزلة كان جنيدها لا خبر[1] له والملوك طفيلية على هذا الجنيد، وابن أدهمها مقيد بزهد أبيه فلم ينصرف عنه وأنى ينصرف وأدهم القيد، فالخوانك على خوانك[2] بعد الاغتباط في اغتباط، ويا بشرى رباط تحله فكأنه المشار إليه في حديث فذلكم الرباط فذلكم الرباط.

تصوفتَ لما أن تصونْتَ سيرةً ... فذو الفاءِ بل ذو النونِ أنت تقدما
ولو حضرَ الملوكُ سجّادةٌ لكمْ ... قدِ افْتُرِشَتْ صلى عليها وسلّما

ومن بركة هذه الطريقة التي هي ثامنة سبع طرائق، أن من سلكها رجي له الزهد في الدنيا وقطع العلائق، فكم منكر صار فيها بالإيثار معروفًا، وكم مالك حظي بجوهرها فأصبح عن دينار مصروفًا، وكم متوكل فيها على الله رزقه كما رزق الطير، وعوضه بلطفه الخفي الخفي عن أخي الشر بابن أبي الخير، زاده الله من فيض غمره البار وبره الغامر، ومنّ على المملوك بلقائه قبل أن يعدل عمر عن عامر، وصان هذا القلم السعيد عن مباريه، ودامت الواقية الباقية من باري عينه على عين باريه، وقد جهز المملوك ورقات تتضمن النبا، عن الوبا، وما هي من جيد قوله، وكيف يجيد من الطاعون يتخطف الناس من حوله، حمى الله مولانا ومحبيه من الوباء وإلمام الآلام، وصرع هذا الطائر الجارح الذي قد حضن بيضة الإسلام، بمنه وكرمه.

وله جواب

وينهى وصول الصقرين، فسر العبد بهذين الحرين، اللذين تحن الجوارح إليهما من وجهين، ويعز على ابن المعتز أن يذكر لهما في تشبيهاته شبيهين، فوقع الصقران من المملوك بموقع يفوق النسر، وتأمل نحوهما فإذا هما منصوبان لبناء ما ارتفع وانخفض من الصيد على الكسر، مقلهما حمر كسيوفه ، وأجنحتهما مسبلة كغمائم بره على رعاياه

---

(١) في نسخة: خبز، وهو خطأ.

(٢) في نسخة: خوانك.

وضيوفه، ومخالبهما كالمناجل لحصاد أعمار أعدائه وأعمار الطير، ومناقيرهما كالأهلة المبشرة له ولأوليائه بكل خير، فلسان حال كل منهما يقول لمرسليه تفرقوا فبكسبي أجمعكم أجمعكم، ويخطف لهم الخطفة ويعود بسرعة فبينما يتطيرون بغيبته تلوا طائركم معكم، فما أحسن ما يرجع كل واحد منهما من أفقه، وقد التزم طائره في عنقه، كم ذللا من الطير من حرون، وكم أهلكا في الوحش من قرون، فما أحق هذا الجبر بمقابلة[1] الثناء عليه، وإن يمد المملوك لهاتين اليدين يديه، ومن كرامات مولانا أنه أصبح جابرًا[1] بكاسرين[1]، فمرحبًا برسوله الذي إن قدم رسول بأيمن طائر فقد قدم هو بأيمن طائرين، والسلام.

وقال في القاضي الرباحي المالكي

أما بعد حمد الله الذي لا يحمد على المكاره سواه، والصلاة على نبيه محمد الذي خاف مقام ربه وعصم من اتباع هواه، وعلى آله وصحبه الذين بذل كل منهم في صون الأمة قواه، وسلمت صدورهم من فساد النيات وإنما لكل امرئ ما نواه، فإن نصيحة أولي الأمر تلزم، والتنبيه على مصالح العباد قبل حلول الفساد أحزم، والمتكلم لله تعالى مأجور، والظالم ممقوت مهجور، وتحسين الكلام لدفع الضرر عن الإسلام عبادة، والنشر والنظم للذب عن أهل الإسلام من باب الحسنى وزيادة، وجرحة الحاكم الأعراض بالإعراض صعبة، إذ نص الحديث النبوي أن حرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة، ومخرق خرقته مذموم، ولحم العلماء مسموم، وهذه رسالة أخلصت فيها النية، وقصدت بها النصيحة للرعاة والرعية، أودعتها من جوهر فكري كل ثمين، وناديت بها على هزيل ظلم أبناء جنسي مناداة اللحم السمين، لكن جنبتها فحش القول إذ لست من أهله، وخلدتها في ديوان الدهر شاهدة على المسيء بفعله، ورجت بها الثواب، وتحريت فيها الصدق والصواب، نصرة للمظلوم، وغيرة على حملة العلوم، وسميتها

(١) المقابلة والجبر والكسر من مصطلحات علم الجبر والرياضيات وكثيرًا ما عقد المصنف التورية بها دلالة على علمه بتلك العلوم.

الحرقة للخرقة فقلت: اعلموا يا ولاة الأمر، ويا ذوي الكرم الغمر، أبقاكم الله بمصر للأمة، ووفقكم لدفع الأصر وبراءة الذمة، إن حلب قد نزعت للزبدة، ووقعت من ولاية التاجر الرباحي في خسر وشدة، قاض سلب الهجوع، وسكب الدموع، وأخاف السرب، وكدر الشرب، بجراءته التي طمت وطمت، وعاميته التي غمت وعمت، وفتنته التي بلغت الفراقد، وأسهرت ألف راقد، ووقاحته التي أدهشت الألباب، وأخافت النطف في الأصلاب، فكم لطخ من زاهد، وكم أسقط من شاهد، وكم رعب بريًا، وكم قرب جريًا، وكم سعى في تكفير سليم، وكم عاقب بعذاب أليم، وكم قلب ذائب، بنائبة توسط بها عند النائب، حرض النائب على من قيل أنه حضر الخمر، وحمله على أن قرعه بالمقارع حتى قضي الأمر، فامتنعت الأمراء عن الشفاعة، وظنوا هم والنائب أن هذا امتثال لأمر الشرع وطاعة.

يا حاملَ النائبِ في حكمِهِ أنْ يقتلَ النفسَ التي حُرِّمَتْ
غشتَهُ واللهِ في دينِهِ بُشْراكَ بالنارِ التي أُضْرِمَتْ

أسقط في يوم مشهود، تسعة من أعيان الشهود، فوالله لو كان في غنم رباح، ما سمح بهذه العدة الذباح، وهذا مقت وأيّ مقت، ما سمعنا بمثله في وقت، أتسلم أرباب البيوت، إلى هذا الرجل البهوت، فلولا نفر من كل فرقة، من ذم هذا الجري على تخريق الخرقة.

سحقًا لقاضٍ مالكي سطا بتسعةٍ أكبر مَنْ فينا
وإنْ أعرناهُ لها سكتةً ألحقَ بالتسعةِ تسعينا

سبب إسقاطه لهؤلاء النفر، أنه افتخر عندهم أول قدومه من السفر، بأن قرابغا أعطاه، ثلاثة عشر ألفًا ووكله أن يشتري له بها ما يرضاه، فلما مات قرابغا عاش الوكيل، فندم على إقراره فبدرهم بالإسقاط والتنكيل، فهيهات هيهات، فها المحو عين الإثبات، لقد أكد الحال، وأشرب القلوب أنه أكل المال، أسقط التسعة قهرًا، ونادى عليه جهرًا، وشاور على تطويفهم في الأسواق والجامع، لولا أن منعه من ذلك مانع، هذا من غير إحضار لهم ولا إعذار، ولا تقديم دعوى ولا إنذار، ولا ظلم متظلم ، ولا

كلمة متكلم، إلا سطوة وعتوا، واستكبارًا في الأرض وعلوًا، وخوفًا على الدرهم والدينار، بل مكر الليل والنهار[1]، ولما ظهر بهذه الداهية، التي تنثلم منها فاس وتبعد دانية، وتنفر من قبحها تونس، ويحتجب منها حياء ابن الحاجب ويستوحش منها ابن يونس، عقد مجلس بدار العدل لكشف الظلامة، وطي هذا الجور المنشور بغير علامة، فقلنا له سمّ لنا من شهد على الشهود فأبى أن يسمي، وقال قضى الله عليه قضيت عليهم بمذهبي وحكمت عليه بعلمي، فقلنا له يا نائمًا عن السرى، الجرح لا يقبل إلا مفسرًا، وإن كان لك أن تجرحهم، فما لك أن تذبحهم، يا قليل الفهم، من يساعدك على هذا الوهم، هذا محرم لا يبيحه مبيح، ومحاسن دين الإسلام تأبى هذا القبيح، قال: إن لم تركنوا إليّ، فاستفتوا المالكية عليّ، فأخرنا اللوم، وطالعنا كتب القوم، فوجدنا في مشاهير كتبهم محققًا، أن القاضي لا يقضي بعلمه مطلقًا، وأنه إذا شهد عنده من علم عليه جرحه، رفع الأمر إلى من هو فوقه وأبدى له شرحه، فكابر وأول[2]، واعتمد على الفجور وعول، وزاد في المدافعة، وخوف بالشر والمرافعة، وأطلق لسانه في الأعيان ولم يقيد، وقلب رأسًا لم يكن رأس سيد، ولما بلغ المالكية بدمشق هذه الواقعة المستعظمة، أصغروا قدره عليها وقالوا: كبرت كلمة، واستحلوا سبه وشتمه، واستقلوا عقله وعلمه، وكتبوا إليه يا مغلوب، لقد بغضت مذهب مالك إلى القلوب، وقطعت المذاهب الأربعة عالما بالخطا، وزالت بهجته عند الناس وانكشف الغطا، ثم من المفتين من لامه وعنف، ومنهم من علق عليه وصنف، ثم سئلت بدمشق اليهود والنصارى هل يجوز في دينهم هذا التحجيل، أو يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، فأقسموا بالله جهد أيمانهم، وأن ذلك لم يكن في دين من أديانهم، وناهيك بخلل، استقبحه كل الملل، فقبح الله من أصبح بسهام الأغراض إلى مصون الأعراض من الرامين آمين.

---

(١) تضمين للآية الكريمة ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ [سبأ: ٣٣].

(٢) في نسخة: تأول.

أبــــرأُ إلى الــــرحمنِ مِـــن هـــتانه ... وفجـــــوره وعـــتوِّه المتــــــزايدِ
مَـــنْ ذا يجيـــزُ قـــضاء قـــاضٍ جاهلٍ ... بـــالعلم في هـــذا الـــزمانِ الفاســـدِ

ولله قول أبينا الشافعي في أمه، لولا قضاة السوء لأجزت للقاضي أن يقضي بعلمه.

قلـــــنا لـــــه دع أمـــــوراً ... مـــــستهجنات لمـــــثلكْ
فقـــــال أقـــــضي بعلمـــــي ... قلـــــنا ستقـــــضي بجهلـــــكْ

ثم أنه فسق مفتيًا في الدين، وفضح خطيبًا على رؤوس المسلمين، ومن بغضه لهذا الخطـيب، أمر من لطخ منبره بضد الطيب، الله أكبر، آذى حتى الخطيب والمنبر، لقد بالغ في الختل، والفتنة أشد من القتل.

مَـن انتهـى طيـشُهُ في المخزيات إلى ... هـذا المقـامِ علـيهِ لعـنةُ الـباري
ولـستُ عـن مالـكٍ أرضـى بنائبةٍ ... عـن خـازنِ العلمِ أو عن خازن النارِ

هذا جزاء المنسلك، في آراء عبدالملك، ومن اليوم دليله، فالخراب مقيله.

امـــتلأتْ مـــن ذهـــب أكياسُـــهُ ... وقلـــبُهُ ممتلـــئٌ مِـــنْ دَغَـــلْ
مـــا هـــو إلاّ حـــيةٌ بـــزقُها ... بالـــسمِّ هـــذا المغـــربيُّ الـــزَغَل[1]

لقـد أوقـع الـناس من الفتنة في بحر عجاج، فدعوا عليه وعلى عبدالملك ولولا عـبدالملك لما استطال هذا الحجاج، قاض يقول القول ثم ينكره، ويذم الشخص في المجلس ويشكره، يحب إثبات الردة والكفر، كحبه الدنانير الصفر.

حـــاكمٌ يـــصدرُ مـــنهُ ... خلـــفَ كـــلِّ الـــناسِ حَفْـــرُ
يـــتمنى كُفْـــرَ شـــخصٍ ... والرضـــى بالكفـــرِ كفـــرُ

مـا أولى أحكامـه بالانتقاض، وما أحقه بقول السحرة لفرعون فاقض ما أنت قاض، ولولا العافية، لتوهمت أن ما هاهنا نافية.

ولَـوْ ولَّـوا قلـيلَ الفقـهِ فـيهِ ... مـداراةٌ وديـنٌ مـا جـزعْنا
وكـان يهـونُ مـا نلقـى ولكـنْ ... تعالَـوا فانظـروا مـع مَـنْ وقعـنا

---

(١) في نسخة: الزعل.

ثم إنه على عامية نفسه وجهلها، يتنقص بالعلوم وأهلها.

اللهَ اللّــــهَ لا تــــبقوهُ في حلــــب يــا أهــلَ مــصرَ وفيــنا راقــبوا اللّهَ
دأبــاً يـــذمُّ فـــنونَ العلـــم محتقــراً بهــا ومَــنْ جَهِـلَ الأشـياءَ عاداهــا

لقد عذب العذبة، وصدق الكذبة، يستخف الأثقال، ويحكم يعلم ليقال.

رأى نفـــسَهُ أُخِّـــرَتْ في العلـــومِ فـــرامَ الــــتقدَّمَ بالجـــبروتِ
عـــديمُ الهـــباتِ عظـــيمُ الهـــناتِ قلـــيلُ الثـــباتِ كـــثيرُ الثـــبوت

ستر الله المدينة من هؤلاء الأدوان، ونزه عنه مذهب مالك برحمة منه ورضوان.

قـــاضٍ عــــن الــــناسِ غـــيرُ راضٍ مـــباهتٌ خـــالطٌ مغـــالطْ
يكـــذبُ عــــن مالـــكٍ كـــثيراً ويـــسقطُ العـــدلَ وهـــو ســـاقطْ

عامـــل أوســـاط الناس معاملة الأطراف، وأشرف أذاه على الوزراء والأشراف، أتلف الأموال والمكاتيب، بما اعتمده في حق الشهود من الأكاذيب، فكم صاحب مكتوب يبكي على حاله، كأنما أوتي كتابه بشماله.

تَلِفَـــتْ مكاتـــيبُ الأنـــامِ بفعلـــه وأبـــانَ عـــن طـــيشٍ وكثـــرةِ مَخْرَقهْ
فرمـــى الأكابـــرَ والأصـــاغرَ كاذبـــاً بالكفـــر أو بالفـــسقِ أو بالـــزندقهْ

هلا قرأ هذا القاضي الجديد، ولا يضار كاتب ولا شهيد.

لقـــد آذى الـــشهودَ بغـــير حَـــقٍّ فـــأيّ الـــناس مـــا رحـــمَ الـــشهودا
أيرضـــى المـــسلمونَ لهـــمْ بهـــذا وقـــدْ ســـرَّ النـــصارى والـــيهودا

ولقد بلغنا وهو من العبر، أن جيراننا أهل سيس سرهم هذا الخبر.

صـــــاحِبُ ســـــيسٍ ســـــرَّهُ فعـــــالُ قـــــاضٍ أرعـــــنا
فأحـــــزنَ اللهُ الـــــذي أفـــــرحَ فيـــــنا الأرمـــــنا

كم حكم على رب الدين وصار الطالب مطلوب، وهذا الفقه مقلوب، على أن في مـــذهب الإمام الشافعي الزاهي، أن مسألة الغيبة ليست من النواهي، وهي قوام العامة والجيش، ولكن لا ذوق لمن غاب عليه الطيش.

فمـــــا رأى وثـــيقةً إلاّ وقـــال باطلـــــهْ
وذا دلـــيلٌ أنَّـــهُ لـــيس(١) لـــهُ معاملَـــهْ

ففي عزله عنا أجر غير ممنون، وأيّ حاجة بالعقلاء إلى مجنون.

لا واخـــذَ الـــرحمنُ مـــصراً ولا أزالَ عـــنها حـــسنَ ديـــباجهْ
ولّـــوا عليـــنا قاضـــياً ثالـــثاً مـــا كـــانَ للـــناسِ بـــهِ حاجَـــهْ

هـــذا مالكي متغصب، قد أسكره الدهر بمنصب، فلا يفرق بين الأرض والسما، ولا يعـــرف عمـــوم الخاصـــة من خصوص العما، حركاته وسكناته مكتوبة عليكم، ولا ندري أنشكوكم إلى الدهر أم نشكو الدهر إليكم، من قاض سمين الأموال، مهزول النوال.

كـــثيرُ الجـــنونِ مـــسيءُ الظـــنونِ عـــدوُّ الفـــنونِ لظـــى محـــرِقُ
فيـــصبغُ أصـــبغَ مِـــنْ بَهْـــتِه وأشـــهبُ في عيـــنهِ أبلـــقُ

لا يحمد أحمد ولا الشافعي، ولا يرفع منار الرافعي، قراد لا يلفظ إلا دم الأوراك، وجـــراد لا يسقط إلا على أموال الأتراك، إذا وقع عنده عالم فقد وقع بين مخالب الأسود، وأنياب الأفاعي السود.

أدركـــوا العلـــمَ وصُـــونوا أهلَـــهُ مِـــنْ جهـــولٍ حـــادَ عـــنْ تبجـــيلِهِ
إنمـــا يعـــرفُ قـــدرَ العلـــمِ مَـــنْ ســـهِرَتْ عيـــناهُ في تحـــصيلِهِ

فقابلوا هذا الفاعل بفعله، واستعيذوا بالله يا أهل مصر من ولاية مثله، وارموه من كنانة مصر بسهم قل ما أخطأ، وعاجلوا إيضاحه بالإبهام ترضي الفرقتان المسبحة والسبابة بسيرتكم الوسطى.

المالكـــيُّ طـــائشٌ ذو قـــوهْ لـــهُ علـــى أهـــلِ العلـــومِ ســـورَهْ
دارَ علـــى بـــابِ الجـــراحِ الـــدوره ومـــا قـــرأ في بـــاب ســـترِ العـــورَهْ

مغـــربي الأخلاق، مذموم على الإطلاق، عار على الدين، عدة للمعتدين، يسيء الصنائع، ذخيرة سوء في الودائع.

---

(١) في نسخة: ليست.

وقاضـــيًا ماضـــيًا في الـــشر مجتنـــيًا[1] للخـــير مـــن سـيئات الدهـــرِ محسوبا
يـــرى إباحــــةَ أعـــــراضٍ محـــرَّمةٍ مـــتى نـــرى شـــكلَهُ المكـــروهَ مندوبا

غايـــة علمـــه إطالة الســـكوت، وقول الحاضرين له دائم الثبوت، سكناته غير متناهـــية، وإذا تكلم ففي داهية، الويل له إن لم يتب، يجهـــل حتى أســـماء الكتب، كان وكـــان، أذاه شـــامل وشره كامل، ومنهاجه عسر، لو كان حاوي الخصـــائص، ما قال بالتنديب، ما هو العزيز النهاية، وله بداية مدونة، من يحتقر بالمهـــذب، من أين له تهذيب، مقدام ظلوم، جاهل بجميع العلوم، لا يعرف في الفـــقه الطلاق من التطليق، ولا في النحو الإلغاء من التعليق، ولا في التفسير أسباب الترول، ولا في القرآن حجج وإن كان مكرهم لتـــزول، ولا في اللغة القدح من الكأس، ولا في الأصلين -كذا- الجوهر الفرد والجليّ من القـــياس، ولا في المنطق الشكل المنتج من العقـــيم، ولا في الحديث الصحيح من السقيم، ولا في العـــروض تفاعيل الدوائر، ولا في القوافي المتـــدارك من المتواتر، ولا في التصريف المـــثال من الأجوف، ولا من الطب أيّ الأمراض أخوف، وهـــو مع الجهل، وكونه غير أهل، يؤذي بنجوم العلوم الطالعة والغاربة، ويعامل الناس بأخـــلاق المغاربة، ويتطاول على كـــل طائل، بمنصب هو الظل الزائل، حتى كأنه قدم على جنـــس الإنس، أو قدم برأس البرنس.

ومالكـــــيٌّ جاهـــــلٍ باخـــــلٍ لا بـــــاركَ الـــرحمنُ في عمـــــرِهِ
جفنـــــتُهُ أضـــيقُ مِـــنْ جفـــنهِ وقـــدْرُه أصـــغر مـــنِ قـــدْرِهِ

جهـــل كثـــيف، وعقل سخيف، قد أغضب الجم الغفير، واجترأ على الإسقاط والتكفير.

يـــا أهـــلَ مـــصرَ وقـــاكمُ اللهُ الأذى وليـــتمُ طـــرفاً علـــى الأوســـاط
صـــعبٌ علـــى الحـــرِ الخضوعُ لناقصٍ وتحكُّـــمُ الأســـقاط في الأســـقاطِ[2]

---

(١) في نسخة: مجتنبًا.

(٢) في نسخة: الأسفاط.

فهــلا قضـى الله حــب المالكـية   وليتم على المسلمين ذا نفـس زكـية
والله لـــو أن حَمامـــاتكم وقعـــتْ   علـــى الـــرجالِ لمـــا ولّيـــتمُ هـــذا
ضـــاري الطـــباعِ سرورُ الناسِ يُحزِنُهُ   ولا انـــــشراحٌ لـــــهُ إلاّ إذا آذى

يضرب إذا حكم ويلكم، ويفتخر بأب له وأم، ويرعد يضطرب، ويبعد ويقترب، حـتى كأنه قتل عنتر، أو فتح قلعة تستر، يتأوه على الشرع من بعده، ويزيد على الشريعة المطهـرة زيادات من عنده، الويل له من هذه الأعمال، كيف يحتاج دين الله إلى إكمال، لقد وقع في عار، لا تغسله الأنهار، كان وكان.

قل للذي ما تأدب، مع العلوم وأهلها، يصبر لحط البرايا، عليه والنقرات، عاصي يـزيد الشريعة، ندعوه ثورًا نصبغه، بالنيل والنهر الأسود، ولو حكى ابن فرات، لما رأى خلو مجلسه، وقلة مؤنسه، وانقطاع الأعيان عن داره، وإهمال الكافة له لصغر مقداره، قال لـه رأيه الفاسد، إلى متى وأنت مهجور كاسد، فازدجر وانتهر، وقبح حتى تشتهر، فأذى ونـاوى، وجـرح ومـا داوى، فطفر الناس عليه بهذه الطفرة، وما زادهم عنه إلا نفرة، وكشفوا حلته، وعرفوا علته.

حـالُ الـنحاةِ علـى العمـومِ تميَّزَتْ   عـندي لأن القـومَ أهـلُ خـصوصِ
مـن أجـلِ قـاضٍ قـد رَمَوْهُ بعلةٍ[1]   ودَعَـوْهُ بالمـستثقَلِ المـنقوصِ

إذا جلـس خلت غولة جالسه، وإذا تكلم متطيلسًا قلت جاء البرد والطيالسة، لا قراءة له ولا قرى، فليت العيون اكتحلت منه بأميال السرى، يحب من القرآن ألا في الفتنة سقطوا، ومن الحديث أباهي بكم الأمم حتى السقط، ومن الفقه مسألة سقوط يد السارق بآفة، ومن النحو سقوط التنوين بأل الإضافة، ومن الشعر:

ومـا للمـرء خـير في حـياة   إذا مـا عـدّ مـن سـقط المتاع
يحـبُّ مـن كـلِّ علـمِ   الـسينَ والقـافَ والطـا
حاشـا الرسـالةَ مـنهُ   مـا خلْقُـهُ بالمـوطّا

---

(١) في نسخة: لعلة.

يتــنفس على الناس الصعداء، ويؤذي الأشقياء والسعداء، لقى بعض الناس منه ما لقى، وهو عازم على ما بقى.

لقــد أصـبح الــباقونَ مــنه على شفا | مــتى استُنْــشِدوا الــشعرَ القديمَ يقولوا
يهــونُ عليــنا أن تــصابَ جــسومُنا | وتَــسْلَمُ أعــراضٌ لــنا وعقــولُ

فالله يسلم منه أعراضنا العريضة، ويعجل قسمة تركته فقد عالت الفريضة.

ابــنُ الرباحــيِّ علــى جهلــهِ | وجــورِه في حلــبٍ يحكــمُ
إن لم يكــنْ في حلــبٍ مــسلمٌ | فمــصرُ مــا كــان بهــا مــسلمُ

المنصب الجديد، لا يسده إلا الرجل السديد، لقد آذى مذهب مالك، من توسط لهذا العرة بذلك.

مَــنْ كــانَ في علمــه دخــيلا | فللــــــولاياتِ لا يلــــــيقُ
لا ســـيَّما منـــصبٌ جديـــدٌ | فكفــــؤُهُ عــــالمٌ عتــــيقُ

ومــاذا أقــول فيمن حمله جهله، على أن قال في ابن العديم وابن السفاح ما هو أهلــه، وهمــا من هما، أحسن الله إليهما ورضي عنهما، ولولا حظ نفسه، وظلمه حسه، لاكتــسب مــن رئاستهما، واقتدى بعفتهما عن الأموال والأعراض وحسن سياستهما، ولكنه أعمى البصر والبصيرة، سيئ الظن خبيث السريرة، يؤذي الناس ويقول لا تؤذوني، وينادي مال قرابغا في يده بالله خذوني.

بــاللهِ يــا أولــياءَ مــصر | خــذوهُ مــن عــندِنا بــسترِ
مــتى رأيــتُمْ وهــلْ سمعــتم | بــأن قاضــي القــضاةِ خَمْــري[1]

يقــضي عمره في الأسواق والأسفار، ومرافقه أنِّي حبُّه من التجار، ما أقدره على الــسفير، ومــا أسهل عليه التفسيق والتكفير، فلا قوة لنا بجهريته ولا حول، لا يحب الله الجهر بالسوء من القول.

---

(١) في نسخة: جمري.

يـــا قومَـــنا إنَّ الفـــسادَ قـــدْ غلَـــبْ وخافـــت الأعـــيانُ ســـوءَ المـــنقلبْ
ومَـــنْ نـــشأَ[1] بـــين الحمير[2] والجلبْ كـــيفَ يكـــونُ قاضـــياً علـــى حلبْ

كم دعي إلى بابلة فما ارتاح إلى الباب، ونراه حران لعدم الرقة فإذا قيل له فلان قد كفر طاب، وهو في الغيبة جسر الحديد وبالبخل مغري، ولنفسه النفاخ ومغابته الحلقة وشـــره سرمدًا، فلا عاش هذا الأقرع العاري الكام المريب سفيرًا عن بالس فإن طوّل هذا القرصينة المقام في حلب فيا ضيعة الشرفا.

هـــــو في العلـــــم آخـــــرُ وهْـــــو في الظُّلـــــم ســـــابقُ
وهْـــــو للـــــضيفِ حـــــارمُ وهْـــــوَ للعـــــرضِ دابـــــقُ

أيـــولى على الناس، من كان يخضع للخفير والمكاس، وبعد تلك الخساسة، يرشح للرئاســـة، لا جرم أنه قد كثر تلبيسه، وطال تعبيسه، فكأنما يتفكر في غامض، أو يتلمظ بخل حامض.

بُعـــــداً لقـــــاضٍ تاجـــــرٍ إثباتُـــــــنا في سَـــــــلْبِهِ
شـــــجَّ الخفـــــيرَ بـــــارقٌ في عيـــــــنه وقلـــــــبهِ

يحـــبس علـــى الردة بمجرد الدعوى، ويقوي شوكته على أهل التقوى، قد ذلل الفقهاء والأخيار، وجرأ عليهم السفهاء والأغيار.

يحـــــبسُ في الـــــردةِ مَـــــنْ شـــــاءَ بغـــــير شـــــاهدِ
لا كـــانَ مـــن قـــاضٍ حكـــى الـــ فُقّـــاع خـــدّ[3] بـــاردِ

أراح الله مـــن تعرضـــه، وصان عراض الأعراض عن تعرضه، قد شق تحريه على الأكابر، وشوق تعديه إلى المقابر.

---

(١) في نسخة: أسقطت الهمزة.

(٢) في نسخة: الجمير.

(٣) في نسخة: حد.

في حلب قاضٍ على مالك ... قد افترى ما فيه توفيقُ
ومَنْ تَلَكَّا معهُ قال قمْ ... قدْ قيلَ لي إنكَ زنديقُ

بقصد بذلك أهل الدين، والقراء المجودين، نسي جلوسه في السوق، وأصبح يبث الفسوق، نقل من الذراع والمقص، إلى هذا المنصب الأخص، والله لقد هزلت، فسحقًا للدنانير وما فعلت.

قاضٍ من السّوقِ أتى ... معتادُ بيعِ الأكسيهْ
ذا للوصايا ما يعي ... كيفَ يعي في الأقضيهْ[1]

بعد الامتهان في الرحاب، يقال بسم الله رئيس الأصحاب، وما مرد جنه، وأفسد بهذه الكلمة ذهنه، إلا نقيب هو له طبق، فتعسًا لجارح ببلبله الدبق، فوالله لولا كراهة السخافة، لأتيت هاهنا بأفانين من حديث خرافة، ثم أنه مع تلك الأباطيل، يدعي العفة عن البراطيل، نيته تناول الحطام، وتعفف عن أعراض الأنا.

طَرَفٌ قَدَّمَهُ ... دَهرُه إذ سَكِرا
إن صحا الدهرُ لهُ ... ستری ما سترا

أو ما علم هذا المشلول اليد المفتوق اللسان، إن العرض أنفس من المال عند الإنسان.

التاجر الخيّاطُ قاضٍ عندنا ... ولديهِ يَثْبتُ ردةً وفسوقُ
ومنَ العجائبِ أن يخيط قلوبَنا ... بجمارِهِ ولسانُه مفتوقُ

كيف عادت حلب تسكن، وفيها هذا الألثغ الألكن.

يا ساكني مصرَ ما عَهِدْنا ... منكم سوى رحمة وأُلْفَهْ
فكيفَ ولّيتُم علينا ... مَنْ لا تصحُّ الصلاةُ خلفَهْ

رواؤه شين، ومنطقه شين، إذا سبح الرب، ما تدري أسبح أم سب.

الألثغُ الطاغي تولّى القضا ... عدمْتُ هذا الألثغَ الطاغي
إن سبَّحَ الربَّ حكى سبَّهُ ... فقال سبحانكَ يا باغ

---

(١) في نسخة: للأقضية.

لا يفـــرق بـــين المذكـــر والمؤنث إلا بالفرج، ولا يعرف العربية إلا باللجام والسرج.

قلـــيلُ الفقـــهِ لَحـــانٌ لـــهُ في حكمـــهِ خَـــبْطُ
قبـــيحُ الـــشكل محـــتدٌّ فـــلا شـــكلٌ ولا ضـــبطُ

لو عقل لاكتفى ببلغته، وصان المنصب عن عار لثغته.

وألـــشغٍ يتجـــرّا ويـــصبغُ العـــرضَ صـــبغا
إنْ قـــيلَ هـــلْ أنـــتَ بـــرا يقـــلْ نعـــمْ أنـــا بغّـــا

من ألم بشكله تألم، لاسيما إذا تكلم، ولايته هتكه، وعزله كالحج إلى مكة.

أضـحى يـصولُ علـى الفصاحِ بلثغة مـــنهوكة مهـــتوكة تُـــسْتَعْظَمُ
عجـباً لهـمْ كـيفَ ارتـضَوْهُ لمثلـنا حَكَمـــاً أمـــا سمعـــوهُ إذ يـــتكلّمْ

ســكر بخمر الولاية، إن في ذلك لآية، فصل الله اتصاله عنا، وجعل بارز ضميره مستكنًا.

ولّيْـــتمُ جـــاهلاً جـــريئاً[2] ألـــشغَ بالمـــسلمينَ ضـــارِ[1]
مقلقـــلاً مـــن بـــني ربـــاحٍ نحـــنُ بـــهِ مـــن بـــني خـــساري

قولـــوا لـــه عني يا شر الحزبين، كم من حي قاض في البين، وكم تقدم في الناس طـرف، وكـــم جـــاء مثلـــك ثم انصرف، هذا وقد أعلمتك، أنني لو رضيت الولاية تقدمتك.

قولـــوا لـــه عنّـــي ولا تجـــزعوا مـــنْ شـــرِّهِ يـــا ســـاخرَ العـــينِ
لـــو كـــنتُ أرضـــى مـــا تقلدتَـــهُ جلـــسْتُ مـــن فـــوقكَ باثـــنين

كم جراح بلا اجتراح، لقد جئت بغريب في الصحاح.

---

(١) في نسخة: ضاري.

(٢) في نسخة: جريا.

جرحتَ الأبرياءَ فأنتَ قاضٍ   على الأعراضِ بالأغراضِ ضارٍ[1]

ألمْ تعلمْ بأنَّ اللّهَ عَدْلٌ   ويعلمُ ما جرحتمْ بالنَّهارِ

ثم إن من أعظم ذنوبه، وأكبر عيوبه، أن هذا القرد الظالم، حوله من المغاربة غير سالم، وهم في السر يتوقعون قيام الحرب، ويطمعون أن مصر سيملكها أهل الغرب.

يا أهلَ مصرَ هكذا وليتمُ   حلباً لجلفٍ مالكيٍّ المذهبِ

من دأبِهِ سراً هنا أصحابه   ويقول قد ظهرتْ جيوشُ المغربِ

لا تكونوا فيه من الممترين، فقد غلب على قلبه حب بني مزين.

لقد بُلينا بمالكيٍّ   يقدحُ في التركِ كلَّ حينِ

يضلُّ في السرِّ وهُو يدعو   لصاحبِ المغربِ المرينِي

أخبرني بذلك من لا يذكر، وحلف أني إن سميته أنكر، فاعزلوا عن أعمالكم هذا القرد، وإن غضب فغضب الأسير على القد، فإنه يميل على الزيدية، ويتذكر الدولة العبيدية.

قال الرباحيُّ سراً   مصراً إليها إليها

كنّا بمصرَ وإنّا   لعاملونَ عليها

لا عاش ولا بقي، ولقي من الخيبة ما يتقي، فهذه الدولة مطاعة، إلى قيام الساعة، على رغم قاض إذا حكم جار، ولو على الجار، وإن غضب أو صال، فرق الأوصال، عامي طرف، لا شرف له ذكر ولا ذكر له شرف، يوقع العظيمة ويعظم الوقيعة، ويشارع الخليفة ويخالف الشريعة، يدع الإيثار ويؤثر الدعة، ويختار المرابع المذهبة على المذاهب الأربعة، وإن تعصب لمالك، فخلط نفسه في ذلك.

لقد وليتمُ رجلاً   بخفْضِ الناسِ يرتفعُ

ففرَّقَ بيننا سَفَهاً   وعندَ اللهِ نجتمعُ

---

(١) في نسخة: ضاري.

ومـــن أغـــرب مـــا يحكي الحاكي، أنه جمع العلماء في يوم باكي، فظنوا جمعهم لوليمة، فإذا هو جمع بسخيمة، فأخرج لهم سوطًا مجدولاً، يشبه سيفًا مسلولاً، وشاورهم علـــى إعداده لعقوبة من وقع، فنهوه عن ذلك وأمروه بالرفق فامتنع، فعادوا من عنده إلى الأوطان، مستعيذين بالله من الشيطان.

سـوطٌ يقـلُّ السـيفُ عـندَ عـيانه   وأراهُ بعـضَ حـوادِثِ الأيـامِ
يَـنوي بـه للمسلمينَ عقـوبةً   وكـذا تكـونُ مـوائدُ الحكّـامِ

فمـا قولكم في طباع، تشبه ضراوة السباع، لا ترضيه الدماء، فلؤلؤ عنده سماء، لؤلـؤ عارض الكتاب، وهذا عارض حملة الكتاب، لؤلؤ قام لبيت المال بما انتهب، وهذا قعـد بالـدراهم وذهب بالذهب، فالحذار الحذار من فعله، والبدار البدار إلى عزله، فكم رعـب وآذى، والقاضي يعزل بدون هذا، ثم يعزل بمجرد الظنة، فأخرجوا من حلب هذا النار تدخلوا الجنة، ولقد غاظني عاميّ يتلو بسببه والعامة عمى، أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما، فإن شئتم يا نظام الدولة أن يقوم وزن هذه البلاد، فكونوا في عروض عزله أسبابًا تدعو لكم الأوتاد.

مديـدُ الـزحافِ سـريعُ الخـلافِ   بـسيطُ الخـرافِ خفـيفُ طـويلُ
علـى جهلـه بـضروب العـروضِ   لكـلٍّ قبـيحٍ فعـولٌ فعـولُ

فاقـصد البحر ظلمة المديد خبنًا وتبرأ[1]، وأديروا عليه الدوائر بالفاصلة الكبرى، فقـد عـاد لباس حلب مخشوشنا، واتخذت نهرها سيفًا وجبلها جوشنا، فذبوا عن صهوة الشهباء، ولبوا فيها دعوة الألباء، قبل أن يطوى الجبل، ويعقر الجمل.

مـنْ قـبلِ أنْ تمـسوا ونـصفٌ منهمُ   في الفاسـقينَ ونـصفهمْ كفّـارُ
حاشـاهمُ مِـنْ ذا وذا لكـنَّ مَـنْ   عـدمَ الديانـةَ قـالَ مـا يختـارُ

خـذوه فاعتلوه، فإنا نخاف أن يقتلوه، واحسموا مادة مادة هذا المبير، ألا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، دو بيت.

---

(١) في نسخة: أسقطت الهمزة.

كم أسقطَ شاهداً وعدلا ضابط[1] فالعالمُ كلّهم عليه ساخطْ
من كثرةِ ما يسقطُ خافتْ حلب أن يكتبَ ظباءَ حظّها بالساقط

فاعتماده اعتماد من عدم الحياء وسيعدم الحياة، وذم محتده ويده فلا لأصله كتاب الطهارة ولا لكفه باب المياه، فاقدحوا في عرضه وإن كان لا يقدح في رماد، وافصلوه عنا فقد ألبس والفضل في النحو عماد، وألغوا فعله المتعدي بفعلكم اللازم وسكنوا حركاته العارضة بدخول الجوازم، وأسقطوا هذه الفضلة من البين، وأنصبوه على التحذير لا على الإغراء فشتان بين النصبين، وعاملوا هذه اللحنة في النحو من المنع في التصريف، ونكروا معرفته بترع الولاية فالولاية آلة التعريف، وأخفضوا هذا العلم المنصوب على الذم، وأبنوا يده على الرفع وقلمه على الكسر وماله على الضم، وأدخلوا أفعاله الناقصة والمقاربة في باب كان وكاد، واحذفوه فما هو عمدة ولا أحد ركني الإسناد، واصرفوه عنا فما له على معرفته ووزن فعله دليل، وركبوه من حلب تركيب سيبويه فهي مدينة الخليل، تمت.

وله خطبة الكلام على مائة غلام

أما بعد حمد الله حق حمده، والصلاة على نبيه محمد واسطة عقده، وعلى آله وصحبه وأهل وده، فإني التقطت من بنات فكري النبذة التي أكثر معانيها مبتكر، وغالب اقتباسها وتضمينها لم تتقدمني به الفكر، ولعمري ما أنصفني من أساء بي الظن، أو قال عني كيف رضي مع درجة العلم والفتوى بهذا الفن، فالصحابة كانوا ينظمون وينثرون، ونعوذ بالله من قوم لا يشعرون، وما كل من تمالك هالك، ولله قولي في ذلك، وبالجملة فهذا وأشباهه من نظم الصبا، ومما قلته في أول العمر تأدبًا لا تكسبًا، ثم إن العلم الشريف قطع بيني وبين هذا الفن العلاقة، وسد عني هذا الباب بحسب الطاقة، وبالله القوة والحول، ومن هنا شرعت في القول.

---

(١) في نسخة: عدلا ضابطًا.

وقال يمدح النبي ﷺ مضمنًا إعجاز قصيدة أبي العلاء وبعض صدورها ولقد فاقت بشرف ممدوحها أصلها وكان عليه السلام أحق بها وأهلها

أدرْ أحاديثَ سلعٍ والحمى أدرِ ... والْهَجْ بذكرِ اللّوى أو بانِه العطرِ

واذكرْ هبوبَ نسيمِ المنحنى سحراً ... لما تمرُّ على الأزهارِ والغُدْرِ

وقلْ عنِ الجزعِ واذكرني لساكنه ... لعلَّ بالجزعِ أعواناً على السهرِ

وصفْ جنانَ[1] قبا واختمْ بطيبةَ ما ... سامرْتني فَهْوَ عندي أطيبُ السمرِ

منازلٌ كُسيتْ[2] بالمصطفى شرفاً ... بأفضلِ الخلقِ مِنْ بدوٍ ومِنْ حضرِ

إذا تبسَّمَ ليلاً قُلْ لمبسمه ... يا ساهرَ البرقِ أيقظْ راقدَ السمُرِ

ويا سحائبُ أغني عنك نائلُهُ ... فاسقي المواطرَ حياً من بني مضرِ

ما شأنُ أعدائِه والعلمُ إذْ سفَهٌ ... حملُ الحُلي بمَنْ أعيا عن النظرِ

رقى وجبريلُ في المعراجِ خادمُهُ ... وقائلٌ بلسان الحالِ للمضري

ما سرتُ إلا وطيفٌ منك يصحبني ... سُرى أمامي وتأويباً على أثري

لو حطَّ رحلي فوقَ النجمِ رافعُهُ ... ألفيتُ ثمَّ خيالاً منكَ منتظري

تشرَّفَ الركنُ إذْ قبَّلْتَ أسودَهُ ... وزيدَ فيه سوادُ القلبِ والبصرِ

عذبْتَ ورداً فلمْ تهجرْ على خصرٍ ... والعذبُ يُهجر للإفراطِ في الخصرِ

يا بعثةً لم تزلْ فينا مجددَّةً ... هلا ونحن على عشرٍ من العشرِ

الإنسُ والجنُّ يا أبهى الورى أتيا ... يستجديانكَ حسنَ الدلِّ والحورِ

لمْ تألُ نصحاً نفوساً كذَّبتْ وعتَتْ ... لكنْ سمحْتَ بما ينكرن منْ دررِ

يا شاملاً خيرُه الدنيا وساكنَها ... لا شيءَ عن حليةٍ حسناءَ منكَ عُري

وما تركتَ بذاتِ الضالِ عاطلةً ... من الظباءِ ولا عارٍ من البقرِ

إنَّ الغزالةَ لمّا أن شفعتَ نجتْ ... وفزتَ بالشكرِ في الآرامِ والعفُرِ

---

(١) في نسخة: قباب.

(٢) في نسخة: كسبت.

وربَّ ساحبِ وشيٍ مِنْ جآذرِها ... وكان يرفلُ في ثوبٍ مِنَ الوبرِ

حسَّنْتَ نظمَ كلامٍ قدْ مُدحْتَ به ... ومنزلاً بِكَ معموراً مِنَ الخفرِ

فالحسنُ[2] يظهرُ في شيئينِ رونقُهُ ... بيتٍ مِنَ الشعْرِ أو بيتٍ من الشَّعَرِ

ضمنْتُ مدحَ رسولِ اللهِ مبتهجاً ... والطيرُ تَعجبُ مني كيفَ لَمْ أطرِ

ومقلتايَ لشوقي نحوَ حجرتِه ... مثلَ القناتينِ مِنْ أَيْنٍ وَمِنْ ضُمُرِ

ولي ذنوبٌ متى أذكرْ سوالفَها ... كأنني فوقَ روقِ الظبي مِنْ حذرِ

ومطمعي أنها لا تشرْكَ[3] بشركِها ... فإنَّ ذلك ذنبٌ غيرُ مغتفرِ

إنَّ الكريمَ ليمحو كلَّ سيئةٍ ... معَ الصفاءِ ويخفيها معَ الكدرِ

ولي فؤادٌ متى تفخرْ سوى مُضرٍ ... فؤادُ وجناءَ مثلُ الطائرُ الحذرِ

واللهِ لو أنَّ أهلَ الأرضِ قاطبةً ... مثل الفُصيصيِّ[1] كانَ المجدُ في مضرِ

يا نفسُ لا تيئسي[6] فوزَ المعادِ فلي ... مَنْ تعلمينَ سيرضيني عنِ القدرِ

القاتلُ المحلَ إذْ تبدو السماءُ لنا ... كأنها مِنْ نجيعِ الجَدْبِ في أُزُرِ

وقاسمُ الجودِ في عالٍ ومنخفضٍ ... كقسمةِ[4] الغيثِ بينَ النجمِ[5] والشجرِ

وأينَ شعري من الهادي الذي نزلتْ ... في وصفِهِ معجزاتُ الآيِ والسورِ

وَمَنْ رأى[7] وَهْوَ ذو لبٍّ يصدِّقُهُ ... كالسيفِ دلَّ على التأثيرِ بالأُثُرِ

فلا يغرَّنْكَ بشْرٌ مِنْ سواهُ بدا ... ولو أنارَ فكمْ نَورٍ بلا ثمرِ

يا سيداً زُجرَتْ نارُ الخليلِ به ... إذْ تعرفُ العربُ زجر الشاءِ والعكرِ

---

(١) في نسخة: الغصيصي.

(٢) في نسخة: والحسن.

(٣) في نسخة: شرك.

(٤) في نسخة: كشيمة.

(٥) في نسخة: النبت.

(٦) في نسخة: تسأمي.

(٧) في نسخة: من راءه.

جاءَتْ إليكَ كنوزُ الأرضِ يتبعُها ... ألافُها وألوفُ السلامِ والبِدَرِ

فما ازدهتكَ ولا غرَّتْكَ زينتُها ... وعشتَ عيشَ حثيثَ السيرِ مقتصرِ

ولا ازدهتْ آلكَ الغرَّ الكرامَ ولا ... نالتْ مطالبُها مِنْ صحبِكَ الصُّبُرِ

جمالَ ذي الأرضِ كانوا في الحياةِ وهم ... بعدَ المماتِ جمالُ الكتبِ والسِّيَرِ

وأنتَ في القبرِ حيٌّ ما عراكَ بلى ... والبدرُ[1] في الوهنِ مثلُ البدرِ في السحرِ

يا راضعاً في بني سعدٍ وهم عربٌ ... لا يحضرونَ وفقْدُ العزِّ في الحَضَرِ

إذا همى القطْرُ شبَّتها عبيدهمُ ... عندَ التفاخرِ بينَ العربِ كالغررِ

يا مَنْ بنو زهرةٍ أخوالُهُ وهمْ ... عندَ التفاخرِ بينَ العربِ كالغررِ[2]

مَنْ لي بتقبيلِ أرضٍ دستَها بدلاً ... للثم خدٌّ ولا تقبيل ذي أُشُرِ

لو لم أجلَّكَ يا مولاي قلتُ فتى ... مقابلُ الخلق بينَ الشمسِ والقمرِ

كم أخبرَ المصطفى المختارُ مِنْ رجلٍ ... عنِ السماءِ بما يلقى مِنَ[3] الغيرِ

لا ما علا مثلُهُ ظهرَ البراقِ علا ... فينهبُ الجري نَهْبَ الحاذق[4] المكرِ

فأينَ منهُ جيادٌ كانَ عوَّدها ... بنو الفُصيصِ[5] لقاءَ الطعنِ بالثُّغَرِ

بتولةٌ ولدت سبطيه فاشتبها ... أمامها لاشتباهِ البيضِ بالغُدُرِ[6]

لله قولي لعبد الله والده ... قولاً أتى وفق[7] علياه على قدرِ

أعاذَ مجدَكَ عبدَ اللهِ خالقُهُ ... مِنْ أعينِ الشهبِ لا مِنْ أعينِ البشرِ

---

(١) في نسخة: "والغدر.

(٢) هكذا بالأصل.

(٣) في نسخة: عن.

(٤) في نسخة: الحادر.

(٥) في نسخة: الغصيص.

(٦) في نسخة: بالعذر.

(٧) في نسخة: قص.

فـالعينُ يـسلم[٣] منها ما رأت فَنَبَتْ[٤] عـنهُ وتلحـق مـا تهـوى من الصورِ
فأنـتَ ثـاني الذبـيحينِ العلى خطبتْ فحـزها وهْـي بـينَ الـناب والظفـرِ
ومـا سـواكم بكفءٍ في الأنامِ[٥] لكمْ والـليثُ أفـتكُ أفعـالاً مـنَ النمـرِ
سـابقتَ قوماً إلى الأضيافِ إذا[٦] وقفوا كـوقفةِ العَيْـرِ بـينَ الـورد والصدَرِ
يـا ناهـباً خلـعَ العلـيا وحائطهـا بالـسمهريةِ دونَ الوخـزِ بالإبـرِ
كـم لابنكَ المصطفى من موقفٍ نكصوا[٧] عـنهُ ويلغـي الرحالَ السرْدُ[١] منْ خَوَرِ
إنَّـا لنُجـري دمـوعاً في محبـته فكـمْ جُمـانٍ مـعَ الحـصباءِ منتثـرِ
قـلْ للملقّـبِ بالأمـيِّ مـشتهراً بـذاكَ في الـصحفِ الأولى والزبـرِ[٢]
دعِ الـيراعَ لقـومٍ يفخـرون بـهِ وبالطـوالِ الـردينيات فافتخـرِ
فهـنَّ أقلامُـكَ الـلاتي إذا كتـبتْ مجـداً أتـتْ بمـدادٍ مـنْ دمٍ هَـدَرِ
كـمْ مـنْ مـشوقٍ[٩] إلى لقياكَ أدمعُهُ مـثلُ التكـسرِ[٨] في جـارٍ بمـنحدرِ
الآلُ والـصحبُ لا ضـرَّاءَ[١١] بيـنهمُ مـثل الـضراغمِ والفرسـانِ والجُزُرِ[١٠]
ريـاضُ مـدحِكَ تأكـيدُ الـنعوتِ لها وأن تخـالَفْنَ أبـدالٌ مـنَ الزهـرِ

---

(١) في نسخة: الشرد.

(٢) في نسخة: وفي الززبر.

(٣) في نسخة: تسلم.

(٤) في نسخة: فتنت.

(٥) في نسخة: في العلاء.

(٦) في نسخة: إذ.

(٧) في نسخة: نكسوا.

(٨) في نسخة: التكثر.

(٩) في نسخة: مرشوق.

(١٠) في نسخة: الحذر.

(١١) في نسخة: والأعداء.

يُمناكَ فيها جحيمٌ للعدى ولمن والاكَ ينبعُ ماءٌ كافي الزمر
ما كنتُ أحسبُ كفاً قبلَ كفٍّ رسولِ اللهِ يُطوى على نارٍ ولا نهرِ
قفْ بالصراطِ وإلا كيفَ يمكننا مَشْيٌ على اللجح أو سَعْيٌ على السُّعُرِ
فأنتَ أولهم خلقاً وآخرهم بثاً فذا السبقُ ليسَ السبقُ بالحُضُرِ[1]
يا ويحَ مَنْ عاندوا أو كذَّبوا سفهاً ولم يروكَ بفكرٍ صادقِ الخبرِ
إنْ أُصغروا ما رأوا في النجمِ إذْ نزلت فالذنبُ للطرفِ لا للنجمِ في الصغرِ
للرسلِ مِنْ قَبْلُ أصحابٌ تفوقُ وما فيهمْ كمثلِ أبي بكرٍ ولا عمرِ
تيمناً بكَ حتى قيلَ إن سدرتْ إبلي فمرآكَ يشفيها من السدرِ
يا من يُوَفِّيه[6] حرُّ الشمسِ أين غدا غيمٌ حمى الشمسَ لم يُمطر[2] ولم يسرِ[3]
إني مدحتُكَ قصداً للشفاعة لا بنات أعوجَ بالأحجال[4] والغُرَرِ
يا معطياً كلما أعطى يزيدُ غنى والغمْرُ[5] يُغنيه طولُ الغرف بالغُمَرِ
يا مَنْ لذي العرشِ أهدى تارةً مائةً مِنْ كلِّ وجناءَ مثل النون في السطرِ
له[8] تواضَعَ جبريلُ على ثقةٍ لمَّا تواضعَ أقوامٌ على غَرَرِ
كبرتَ بينهم قدراً وأنت فتى هذا اتفاقُ فتاءِ السنِّ والكبرِ
زهدتَ في زينةِ الدنيا لآخرةٍ والليلُ إن طالَ غالَ اليومَ بالقصرِ
هزمتَ بالتربِ كفاراً فأعينُهُمْ تكادُ تعدمُ فيه خفةَ الشررِ
إنْ قَطَّعَ الشوقُ قلباً أنتَ ساكنُهُ فالغمدُ يبليهِ صونُ[7] الصارمِ الذكرِ

---

(١) في نسخة: بالحصر.
(٢) في نسخة: تمطر.
(٣) في نسخة: تسر.
(٤) في نسخة: والأحجال.
(٥) في نسخة: العمر.
(٦) في نسخة: يوقيه.
(٧) في نسخة: يبكيه صول.
(٨) في نسخة: لقد.

يا خاتمَ الأنبيا قدْ كانَ مفتقراً إلى قدومكَ أهلُ النفعِ والضررِ
كمْ راقبتْ أممٌ منكَ القدومَ كما يراقبونَ إيابَ العيدِ منْ سفرِ
سلْ تُعْطَ واشفعْ تشفعْ ما تُرِدْهُ يكنْ لوْ شئتَ لانتقلَ الأضحى إلى صفرِ
ثكلتَ آخرَ أعمارٍ تضيع سدى فما تزيد على أيامنا الأُخَرِ
فكن شفيعي وذخري في المعادِ إذا أقبلْتُ من حفرتي إقبالَ مفتقرِ
ولا تكلني إلى قولٍ ولا عملٍ ولا إلى وزنِ أعمالي فلستُ بري
مولايَ جسمي ضعيفٌ عن لهيبِ لظى فاعطفْ على جبرتي يا جبرَ مُنْكَسري
وأرتجي بكَ من ذي العرشِ عافيةً في الآلِ والحالِ والعلياءِ والعمرِ
عليكَ منْ صلواتِ اللهِ أفضلها ما لاحَ بدرٌ وناحَ الورقُ في الشجرِ[1]

وقال رحمه الله

ما للزمانِ عنِ المروءَةِ عارٍ ما عندَهُ[2] في منكرٍ من عارِ
أشكو إلى اللّهِ الزمانَ فدأبُهُ عزُّ العبيدِ وذلَّةُ الأحرارِ
لا غرْوَ إنْ حدتْ[3] بنوهُ مناقبي كلٌّ على مَجْرى أبيهِ جارِ
وا رحمتا للحاسدين فنارُهُمْ قَدْ سعِّرَتْ بُعْداً لها منْ نارِ
وإذا جرى ذِكري تكادُ قلوبُهمْ تنشقُّ أو تغتالني بشرارِ
كرهوا عطاءَ اللهِ لي يا ويْحَهم لشقائهم كرهوا صنيعَ الباري
ويزيدُهُم ناراً وقودُ قريحتي وبلوغُ أخباري إلى الأقطارِ
يا سعدُ ساعدني على هجرانِهم في اللّهِ هجرُ مجانبٍ متوارِ
واحذرْ بني الدنيا وكنْ في غفلةٍ عنهمْ وجانبْ كلَّ كلبٍ ضارِ
واحفظْ لصاحبِكَ القديمِ مكانَهُ لا تتركِ الودَّ القديمَ لطارِ

---

(١) في نسخة: السحر.

(٢) سقطت ما في بعض النسخ.

(٣) في نسخة: حسدت.

وإذا أساءَ وفيكَ حملٌ فاحتملْ ... إنَّ احتمالكَ أعظمُ الأنصارِ

سارعْ إلى الفعلِ[1] الجميلِ وقلّدِ الـ ... أعناقَ حسناً فالزمانُ عوارِ

واجعلْ إلى الأُخرى بدارِكَ بالتُّقى ... تغنمْ فما الدنيا بدارِ بِدارِ

واعملْ لتلكَ الدارِ ما هي أهلُهُ ... عملَ المداري أهلَ هذي الدارِ

واقصدْ فعالَ المكرماتِ تبرعاً ... فالمكرماتُ حميدةُ الآثارِ

لا تأسفنَّ لما مضى واحرصْ على ... إصلاحِ ما أبقيتَ باستكثارِ

فالجاهلونَ[2] بنو كلابٍ عندَهُمْ ... واليومَ أهلُ الفضلِ آلُ يسارِ

جاورْ إذا جاورْتَ بحراً أوْ فتى ... فالجارُ يشرفُ قدرُهُ بالجارِ

كنْ عالماً في الناسِ أو متعلّماً ... أو سامعاً فالعلمُ ثوبُ فخارِ

منْ كلِّ فنٍّ خذْ ولا تجهلْ به ... فالحرُّ مطّلعٌ على الأسرارِ

وإذا فهمتَ الفقهَ عشتَ مصدَّراً ... في العالمينَ معظَّمَ المقدارِ

وعليكَ بالإعرابِ فافهمْ سرَّهُ ... فالسرُّ في التقديرِ والإضمارِ

قِيَمُ الورى ما يحسنونَ وزينُهُمْ ... ملَحُ الفنونِ ورقةُ الأشعارِ

واعملْ[3] بما علَّمْتَ فالعلماءُ إنْ ... لم يعملوا شجرٌ بلا إثمارِ

والعلمُ مهما صادفَ التقوى يكنْ ... كالريحِ إذْ مرَّتْ على الأزهارِ

يا قارئَ القرآنِ إنْ لمْ تتَّبعْ ... ما جاء فيه فأينَ فضلُ القاري

وسبيلُ منْ لم يعلموا أنْ يحسنوا ... ظنّاً بأهلِ العلمِ دونَ نفارِ

قدْ يشفعُ العلمُ الشريفُ لأهله ... ويُحِلُّ مبغِضَهُمْ بدارِ بوارِ

هلْ يستوي العلماءُ والجهّالُ في ... فضلٍ أم الظلماءُ كالأنوارِ

---

(١) في نسخة: فعل.

(٢) في نسخة: فالمعسرون.

(٣) في نسخة: فاعمل.

احرصْ على إخمالِ(١) ذكرِكَ في غنى ... وتملَّلْ بالأورادِ والأذكارِ
ما العيشُ إلاّ في الخمولِ معَ الغنى ... وفي الاشتهارِ نهايةُ الأخطارِ
واقنعْ فما كنزُ القناعةِ نافداً ... وكفى بها عزّاً لغيرِ ممارِ
واسألْ إلَهكَ عصمةً وحمايةً ... فالسيئاتُ قواصفُ الأعمارِ
وإن ابتليتَ بزلةٍ وخطيئةٍ ... فاندمْ وبادرْها بالاستغفارِ
إياكَ منْ عسفِ الأنامِ وظلمِهمْ ... واحذرْ منَ الدعواتِ في الأسحارِ
وتجنَّبْ السلطانَ غيرَ مقاطعٍ(٢) ... وإذا سطا فحذارِ ثمَّ حذارِ
أطلِ افتكارَكَ في العواقبِ واجتنبْ ... أشياءَ محوجةً إلى الإعذارِ
ودعِ الورى وسلِ الذي أعطاهمُ ... لا تطلبِ المعروفَ منْ إنكارِ
جمدَ الندى لبرودةِ(٣) الكُبَرا وما ... جمدَ الندى لبرودةِ الأشعارِ
لمْ يبقَ خلٌّ للشدائدِ يُرتجَى ... في نشرِ إحسانٍ وطيٍّ عوارِ
منْ أينَ يوجدُ صاحبٌ متحسنٌ(٤) ... للخيرِ أو زارٍ على الأوزارِ
احذرْ(٥) عدوَّكَ والمعاندَ مرَّةً ... واحذرْ صديقَ الصدقِ سبعَ مرارِ
فالأصدقاءُ لهم بسرِّكَ خبرةٌ ... ولهم به سببٌ إلى الإضرارِ
واصبرْ على الأعداءِ(٦) صبرَ مدبِّرٍ ... قدْ أظهرَ الإقبالَ في الإدبارِ
كمْ نالَ بالتدبيرِ مَنْ هو صابرٌ ... ما لمْ ينلْهُ بعسكرٍ جرارِ
الدينُ شينُ الدينِ قالَ نبينا ... فتوقَّهُ واصبرْ على الإقتارِ
دارِ العدى منْ أهلِ دينكَ جاهداً ... ما فازَ بالعلياءِ غيرُ مُدارِ

---

(١) في نسخة: إجمال.

(٢) هذا البيت غير موجود في بعض النسخ.

(٣) ويروى: لجموده.

(٤) في نسخة: مستحسن.

(٥) في نسخة: اعذر.

(٦) ويروى: الحساد.

أما النصارى واليهودُ فخصَّهُمْ ... بالمقتِ في الإعلانِ والإسرارِ
أفيضمرونَ لمسلمٍ حباً وقدْ ... شرقوا ببغضِ محمدِ المختارِ[1]
وإذا رأيتَ الضيمَ مشتداً فلا ... تلبثْ وحاولْ غيرُ تلكَ الدارِ[2]
أيقيمُ حيثُ يضامُ إلاّ جاهلٌ ... قدْ عادلَ الأشرارَ بالأخيارِ
لا تودعِ السرَّ النساءَ فما النسا ... أهلٌ[3] لما يُودَعْنَ مِنْ أسرارِ
كيدُ النساءِ ومكرُهُنَّ مروِّعٌ ... لا كانَ كلُّ مكايدٍ مكّارِ
إنْ كنَّ خلاّتِ الشبيبةِ والغنى ... صرْنَ العدى في الشيبِ والإعسارِ
أقللْ زيارةَ مَنْ تحبُّ لقاءَهُ ... إنَّ الملالَ نتيجةُ الإكثارِ
لا تكثرنْ ضحكاً فكمْ مِنْ ضاحكٍ ... أكفانُهُ في قبضةِ القصّارِ
كم حاسدٍ كم كائدٍ كم ماردٍ ... كم واجدٍ كم جاحدٍ كم زارِ
لولا بناتي متُّ مِنْ شوقٍ إلى ... موتٍ أُراحُ بهِ منَ الأشرارِ[4]
يا ربُّ أشكو منْ بناتي كثرةً ... وأبو البناتِ يخافُ ثوبَ العارِ
واللهُ يرزقني بهنَّ وإنما ... أرجو لهنَّ السترَ مِنْ ستّارِ
يا ربُّ إنَّ بقاءَ بنتٍ فردةٍ ... كافٍ كذاكَ اخترْتَ للمختارِ
يا ربُّ فارزقهنَّ قربَ جوارِ مَنْ ... شتّانَ بينَ جوارِهِ وجِواري[5]
أترى أُسرُّ بدفنِ بنتٍ قائلاً ... اللهُ جارُكِ إنّ دمعيَ جارِ
فبناتُ نعشٍ أنجمٌ وكمالُها ... بالنعشِ فاطلبْ مثلَهُ لجواري[6]

(١) هذان البيت غير موجودين في بعض النسخ.

(٢) في بعض النسخ يتصدر البيت بـ"فإذا" بدلاً من "وإذا".

(٣) ويروى: "أهلاً".

(٤) ويروى: "من شوقي" بدلاً من "من شوقٍ".

(٥) ويروى صدر البيت: فرزقن عن قرب جميل جوار من.

(٦) في نسخة يتصدر البيت بـ"لبنات" بدلاً من "فبنات".

أقسمتُ ما دفنوا البناتِ تلاعباً ... دفنوا البناتِ كراهةَ الأصهارِ

يا لائمي في تركِ أوطاني لقدْ ... بالغْتَ في الإعذارِ والإنذارِ

أصلي ترابٌ والأنام بأسرِهمْ ... لي أقربونَ فكلُّ أرض داري[1]

أأطيلُ في أرضٍ مقامي لاهياً ... وقرارُ داري غيرُ دارِ قراري

مَنْ كانَ للجيرانِ يوماً مسخطاً ... فإننا لما يرضاهُ جاري جارِ

أَمِنَتْنِيَ الجاراتُ تجربةً فما ... يسبلْنَ دونَ لقايَ منْ أستارِ[2]

عجبي لشاربِ خمرةٍ ما خامرتْ ... لبَّ امرئٍ إلاّ عثرتُهُ بعثارِ

أنفَتْ منَ العصَّارِ وهْو يذلُّها ... دوساً فقدْ ثارتْ لأخذِ الثارِ

يا ربَّ أمردَ كالغزالِ لطرفِهِ ... حكمُ المنيةِ في البريةِ جارِ

تألِيفُ طرَّتِهِ ونورُ جبينِهِ ... تأليفُ ماءِ خدودِه والنارِ

ومعذَّرٍ كالمسكِ نبتُ عذارِهِ ... والخالُ فهْوَ زيادةُ العطّارِ

وبديعةٍ إنْ لَمْ تكنْ شمسَ الضحى ... فالوجهُ منها طابعُ الأقمارِ

أعرضْتُ إعراضَ التعفّفِ عنهمُ ... وقطعتُ وصلَهمُ وقرَّ قراري

ما ذاكَ جهلاً بالجمالِ وإنما ... ليسَ الخنا منْ شيمةِ الأحرارِ

إنْ أبقَ أوْ أهلَكْ فقدْ نلتُ المنى ... وبلغتُ سؤْلي قاضياً أوطاري

وحويتُ منْ علمٍ ومنْ أدبٍ ومن ... جاهٍ ومن مالٍ ومنْ مقدارِ

ورأيتُ بالأيامِ كلَّ عجيبةٍ ... وسئمت من صفوٍ ومن أكدارِ

وعلمتُ أن الناسَ بالأقدارِ قدْ ... أُعطوا و لم يُعطَوا على الأقدارِ

فموفَّقُ الحركاتِ لا يرجو ولا ... يخشى سوى ذي العزَّةِ القهارِ

واللّهِ لو رجعَ الكرامُ ودهرُهُمْ ... عرضاً[3] وعادتْ دولةُ الأخيارِ

(١) ويروى: "والأنام" بدلاً من "فالأنام"، و"وكل" بدلاً من "فكل".

(٢) ويروى: "فلا" بدلاً من "فما".

(٣) في رواية: شرعًا.

لأنفتُ مِنْ مدحي لهم متكسِّباً ... فالكسبُ بالأمداحِ ثوبُ صَغارِ[1]

أأُعدُّ مِنْ قُصّادهم طلباً لما ... يفنى وتبقى وصمةُ الأخبارِ

أينَ الكرامُ وأينَ أهلُ مدائحي ... غيرُ النبيِّ الطاهرِ المختارِ[2]

وقال رحمه الله

أثَّرَ الحزنُ بقلبي أثراً ... يومَ غيبتُ الثريَّا في الثرى

إنْ تألَّمْتُ فقلبي موجعٌ ... أوْ تصبَّرْتُ فمثلي صَبَرا

دُرَّةٌ يا طالما حجَّبْتُها ... وبرغمي نبذوها بالعَرا

رحَلَتْ راضيةً مَرْضِيَّةً ... عن أبيها نِعْمَ ذخرٌ ذخرا

عنَّفَ العاذلُ في حزني ومَنْ ... حقّه تمهيد عذري لو درى

قال هذي عورةٌ قد سُترتْ ... قلت لا بل ذاكَ بعضي قُبِرا

فلذة الكبْدِ التي[3] لَما نأتْ ... نثْرتُ منظومَ دمعي دررا

كنتُ أبكي من تشكِّيها فمذْ ... بَعُدَتْ صارَ بكائي أكثرا

فجرى مِنْ دمعِ عيني ما كفى ... وكفى مِنْ رَوْعِ بيني ما جرى

أبلغَ اللهُ تعالى روحَها ... من سلامي نشْرَ مسْكٍ أذفرا

وجزاها اللهُ عنْ آلامها ... مِنْ قرى جنتهِ خيرَ قرى

وقال

فستقٌ ساءَ الأعادي ... ويسرُّ الأصدقاءَ

فيذكِّيهمْ ذكاةً ... ويُذَكِّينا ذكاءَ

---

(١) ويروى هذا البيت:

لأنفت من غشيانهم وسؤالهم ... فرط السؤال نقيصة الأقدار.

(٢) ويروى: "وآله الأطهار" بدلاً من "الطاهر المختار".

(٣) في نسخة: "من كبدي" بدلاً من "الكبد التي".

وقال

أيـا حاجـبَ السلطانِ زانَكَ حاجبٌ　　وأغـنـاكَ في الهـيجاءِ عَنْ قوسِ حاجبِ
ويـا صـدغَهُ الملـويُّ إنَّ لحاظَـهُ　　سـيوفٌ حـدادٌ يـا لـؤيُّ بنَ غالبِ

وقال في رفيق له في السفر اسمه فتح الدين

بفـتحِ الـدينِ شُـرِّفنا　　رفـيقٌ وافـرُ الفـضلِ
أيخـشى القفـلُ مـنْ لـصٍّ　　ألـيسَ الفـتحُ في القفـلِ

وقال

إنْ قلـت قـدُّكِ غـصنٌ　　قالـتْ لـه الغـصنُ سـاجدْ
أو قلـتُ ريقُـكِ ثلـجٌ　　قالـتْ تـشبِّهُ بـاردْ

وقال

لي بالمعـرةِ شمـسٌ　　رضـاهُ عـينُ مـرادي
فـلا تذمُّـوه إني　　أدرى بـشمسِ بـلادي

وقال

بي مِـنْ جفـاهُ وعطفِـهِ　　أصـلٌ لخـوفي والـرجا
قمـرُ الدجـى بذؤابـةٍ　　مـا غـيرُهُ قمـرُ الدجـى

وقال

يـا سـائلي تـصبُّراً　　عـنْ لـثمِ فـيهِ لا تـسلْ
مـا تـستحي تُـبدلُني　　بالـصبرِ عـنْ ذاك العـسلْ

وقال

شـبهتُ ريـقَ حبـيبي　　بخمـرةٍ في الـتذاذِ
وذاكَ رجـمٌ بغـيبٍ　　إذْ لـم أذقْ ذا ولا ذي

وقال

قـــالَ لي معـــشوقُ قلـــبي ... أيهـــا الـــصبُّ النحـــيلُ
ليَ شـــعرٌ قـــدْ حكـــاني ... بـــتجافٍ مـــستطيلُ

وقال

بعـــثتَ قطائفـــاً روَّى ... حـــشاها قطـــرُها الغامـــرْ
فـــسكرُها أبـــو ذرٍّ ... ومرســـلُ صـــحنِها جابـــرْ

وقال

ومليـــحٍ إذا الـــنحاةُ رأوْهُ ... فـــضَّلوهُ علـــى بديـــعِ الـــزمانِ
برضـــابٍ عـــن المـــبرِّد يـــروي ... ونهـــودٍ تـــروي عـــن الـــرماني

وقال

لَّمـــا بَـــدَتْ غـــيداءُ في حلَّـــةٍ ... ســـوداءَ مـــثلَ الشمسِ تحت السحابْ
هـــزَّ الـــصبا الـــسالفَ في خـــدِّها ... فَـــرَوَّحَ الـــنارَ بـــريشِ الغـــرابْ

وقال

ســـوداءُ قالـــتْ لبيـــضاءِ الأدمِ إذا ... فاخـــرْتِ فالمتـــنبي بينـــنا حكـــمُ
فالخـــيلُ واللـــيلُ حقـــاً عاشـــقي وأنا ... وأنـــتِ والعاشـــقُ القـــرطاسُ والقلـــمُ

وقال

كـــرهْتُ وضـــوءاً مِـــنْ قناةٍ تساقُ مِنْ ... دمـــاءِ الـــرَّعايا أو بِـــسخرةِ مُـــسْلِمِ
ســـيشرقُ في يـــومِ الحـــسابِ ندامـــةٌ ... كمـــا شـــرقَتْ صـــدرُ القناةِ منَ الدمِ

وقال

وفي[2] أغـــيدٌ مـــن حسنِهِ البدرُ خائفٌ ... علـــى نفـــسِهِ والـــنجمُ في الغربِ مائلُ
سأســـفحُ دمعـــي في هوى المجد منشداً ... ألا في ســـبيلِ المجـــدِ مـــا أنـــا فاعلُ[1]
فلـــو رامَ قَـــسٌّ وصـــفَ باقـــلِ خدِّهِ ... لعيَّـــرَ قـــساً بالفهاهـــةِ باقـــلُ

---

(١) هذا البيت غير موجود في بعض النسخ.

(٢) في نسخة: وبي.

وقال

لعيـــــنه الـــــزرقاء في ... قلـــبي ســـهمٌ مطلـــقُ
واعجـــــبا أحـــــبُّهُ ... وَهْـــوَ العـــدوُّ الأزرقُ

وقال

في الـــصومِ رامـــت وصـــالي ... فقلـــتُ صـــعبٌ علاجُـــهْ
قالـــــتْ فخـــــدِّي وردٌ ... قلـــتُ الـــصيامُ ســـياجُهُ

وقال

إذا أوعدْتَـــــنا شــــــراً ... يلـــوكُكَ(١) طفلُـــنا لـــوكَهْ
فـــلا تعـــبثْ بـــوردي ... فـــإن الـــورد ذو شـــوكَهْ

وقال

لمجـــنونِكُمْ عـــارضٌ أخـــضرُ ... دليلـــي علـــى حـــبِّه نـــاهِضُ(٢)
وقالـــوا أسُـــلَّ بـــه(٣) عـــارضٌ ... فقلـــتُ وبي ذلـــكَ العـــارضُ

وقال

لِحْمِـــي عـــسا عـــنْ منـــصبٍ ... أصـــبحتَ تعرضُـــهُ علـــيْ
وســـوايَ غـــضٌّ فاشْـــوِهِ ... فالـــشيخُ لمْ يـــصلحْ لـــشيْ

وقال

إنَّ القـــــناديلَ بكـــــمْ ... زادتْ علـــــوّاً وارتقـــــا
فَحُـــقَّ أنْ يُتْلَـــى لهـــا ... لتـــــركَبُنَّ طـــــبقا

---

(١) ويروى: نلوكك.

(٢) ويروى: "حسنه" بدلاً من "حبه".

(٣) ويروى: فيه.

وقال

تبسَّمتْ لي وقالتْ جرِّبْ وصالي سُوَيْعَهْ
فقلتْ كيفَ فقالتْ سُتَيْتَةٌ بسُبَيْعَهْ

وقال

يقول أرمدُ عينٍ حلوُ الجنى والتجنِّي
إنْ كَلَّ سيفُ جفوني فذا[1] عذاري مسنِّي

وقال

منظرِهِ الزاهي العجبْ كأنما النرجسُ في
تحملُ طاساً مِنْ ذَهَبْ أناملٌ منْ فضةٍ

وقال

دخلتُ يوماً دارَهُ فقالَ لي شخصٌ جثا
ذَكِّرْهُ لي فقلتْ مَنْ يذكِّر المؤنثا

وقال

وبي بدويَّةٌ فتكتْ بأفئدةٍ وأكبادِ
بدتْ كالبدْرِ في حَضَرٍ فقالوا الفضلُ للبادي

وقال

عانقتُهُ حتى ارتوتْ خدَّاهُ منْ عينيَّ دَمْعَا
روضُ المحاسنِ خدُّهُ مِنْ حقِّهِ يُسقى ويُرعى

وقال

وسامريٌّ مليحٍ يفوقُ غزلانَ رامَهْ
يطوي اصطباري بشَعْرٍ منشورِ[2] تحتَ العلامَهْ

---

(١) في نسخة: فهما.

(٢) في رواية: منسوب.

وقال

قــدْ شــينَ مَــنْ بالــشينِ[1] مــنطقُهُ ... في عــــينِ راءٍ ذالــــهِ كــــافي
لا تجعلــــوا بالــــشينِ نطقَكُــــمُ ... فــــسبَّكمْ بالــــزينِ والقــــافِ

وقال

معــــــرةُ الــــــنعمانِ عــــــيني إذا ... ذكــــرتُها[2] تُفــــرِطُ في سَــــيْلها
كــــم زهــــرةٍ تــــضحكُ في كمِّهــــا ... ونــــــسمةٍ تعثُــــــرُ في ذيلــــــها

وقال

يــــا شمــــسُ أشــــعلتُ شمعــــاً ... علــــيكَ عــــشرَ أصــــابعْ
رغمــــاً لِمَــــنْ قــــالْ قبلــــي ... الــــشمعُ في الــــشمسِ ضــــائعْ

وقال

أقــبِّلُ أطــرافَ الــسهامِ إخالُهــا ... نــبالَ لحــاظٍ[3] قدْ أُصيبَ بها صدري
وأعتــنقُ الهــنديَّ والــرمحَ في الوغى ... لأنَّهمــا مــن جملــةِ البــيضِ والسمرِ

وقال

إمــامٌ في الــركوعِ حكــى هــلالاً ... ولكــنْ في اعــتدالِ كالقــضيبِ
وقــالَ تلــوتُ قلــتُ البدرَ[4] حسناً ... وقــالَ خــتمتُ قلــتُ علــى القلوبِ

وقال

يــــا عاطــــفَ الــــصَّدْغِ عُجْــــباً ... مــــن فــــوقِ خــــدٍّ أنــــيقِ
رفقــــاً فقــــد هــــامَ قلــــبي ... بالمــــــــنحنى والعقــــــــيقِ

---

(١) في نسخة: بالسين.

(٢) في نسخة: فكرتها.

(٣) ويروى: سهام.

(٤) في نسخة: الشمس.

وقال

أغـــيَدُ ســـكرانُ[1] نـــورُ شـــرق وهُـــوَ لأهـــلِ الـــشمالِ قـــبلَهْ
لمـــا شمـــتُ المـــدامَ مـــنهُ حددتـــــهُ أربعـــــينَ قُـــبْلَهْ

وقال

ذابَ مـــــنْ ثغـــرِكَ قلـــــبي يالَـــــهُ قلــــباً وثغــــراً
عُكِـــسَ الأمـــرُ لعكـــسي بَـــــــرَدٌ ذَوَّبَ جمـــــراً

وقال

قـــدُّهُ جـــار اعـــتدالاً فَلَـــــهُ فَـــتْكٌ ونُـــسْكُ
ســلبَ الأغـــصانَ ليـــناً فَهْـــيَ بـــالأوراقِ تـــشكو

وقال [رحمه الله][2]

إذا مـــا هجـــاني نـــاقصٌ لا أُجيـــبُهُ فإنِّـــيَ إنْ جاوبـــتُهُ فلـــيَ الـــذَّنْبُ
أُنـــزِّهُ نفـــسي عـــن مـــساواةِ ســـفْلَة ومـــنْ ذا يعضُّ الكلبَ إنْ عضَّهُ الكلبُ

وقال

مـــدارسٌ مـــا تولّـــى أمـــرَها أحـــدٌ إلاّ عـــتا ونـــضى فـــيها بواتـــرَهُ
وجامـــعٌ لا يُـــرى للمـــستحقِّ علـــى ســـواه فـــضلاً وأعمـــى اللهُ ناظـــرَهْ

وقال

كـــيفَ أنـــسى جمـــيلَ شعرِ حبيبـــي وهْـــوَ كـــانَ الـــشفيعَ فيَّ لديـــهِ
شَـــعَر الـــشعرُ أنـــه رامَ قتلـــي فرمـــى نفـــسَهُ علـــى قدمـــيهِ

وقال

يـــــشفَعُ فيَّ شَـــــعرُهُ فمـــــالَ عـــــن قـــــبولهِ
فهْـــــوَ علـــــى أقدامِـــــهِ مُمـــــــدَّدٌ بطـــــــولهِ

---

(١) ويروى صدر البيت: سكران في فيهس.

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة من بعض النسخ.

وقال

عجـبْتُ في رمـضانَ مـنْ مغنِّـية ... بديعـةِ الحـسنِ إلاّ أنهـا ابـتدعَتْ

جـاءتْ تـسحِّرنا لـيلاً فقلـتُ لها ... كيفَ السحورُ وهذي الشمسُ قدْ طلعتْ

وقال

فـلا تـكُ في الدنـيا مضافاً وكنْ بها ... مـضافاً إلـيهِ إنْ قـدرتَ علـيه

فكـلُّ مـضافٍ للعـواملِ عرضـةٌ ... وقـد خُـصَّ بالخفضِ[1] المضافُ إليه

وقال

أيهـا الـباخلُ فـيما قـد مَلَـكْ ... أنـتَ للمـالِ ولـيسَ المـالُ لـكْ

فاحتـرسْ مـن حـيَّةِ المـالِ فـلا ... بـدَّ أنْ تقـتلها أو تقـتُلكْ

وقال

يـا أفـضلَ مرسـلٍ كـريمٍ ... مـا ألطـفَ هـذه الـشمائلْ

مَـنْ سمـعْ[2] لفظَهـا تـراهُ ... كالغـصنِ مـعَ النـسيمِ مائـلْ

وقال

سـلَّمْتُ أنَّـكَ ترتـشي ... قـدِّمْ بعلـمٍ أو نـسبْ[3]

فكـأنَّني بالفـضَّةِ انـ ... فَـضَّتْ وقـد ذهـبَ الـذهبْ

وقال

حَمَـامكمْ في كـلِّ أوصـافه ... كـوجه شـخصٍ غـيرِ مذكـورِ

شـديدُ بـردٍ وسـخٌ مـوحشٌ ... قلـيلُ مـاءٍ فاقـدُ الـنورِ

وقال

لفـلانِ الـدين بَغْـلٌ ... فـاضَ مـنهُ الـسريحُ فيـضاً

قـالَ مـركوبيَ نحـسٌ ... قلـتُ والـراكبُ أيـضاً

---

(١) يروى: بالفعل.

(٢) في نسخة: تسمع.

(٣) يروى: أدب.

وقال

قد سمعنا من شيخِ جبرينَ جزءاً ... نبويّاً يُعدُّ في الألطافِ
هو جزءٌ نرجو به فوزَ كلٍّ ... نتلقّاهُ صافياً منْ[1] صافِ

وقال

بي من الخرْسِ شادنٌ ... ليتَ شانيهِ لمْ يكنْ
فهْوَ كالبدرِ في السما ... لا لسانٌ ولا أُذُنْ

وقال

فؤادي إلى آلِ النصيبيِّ مائلٌ ... وودّي لهم في مَحْضري ومغيبِ
فبيني وبينَ القومِ نوعُ تجانسٍ ... إذا طاب أصلُ الوردِ فهو نصيبي

وقال

ردَّ كتابي عليَّ مغتنماً ... مدحي وبابُ[2] الهجاءِ مسدودُ
فيه عيوبٌ قد اعترفْتُ بها ... فارددْهُ إنَّ المعيبَ مردودُ

وقال

أغْضَبْتَني وغصبْتَ ديواني الذي ... أنفقْتُ فيه شبيبتي وزماني
لو كنتَ يوماً بالمودَّةِ عاملاً ... ما كنتَ تُغْضِبُ صاحبَ الديوانِ

وقال

أنا لولا خشيةُ اللّهِ ... لأَنْفقْتُ نضاري
في عتيقٍ منْ مدامٍ ... وجديدٍ من عِذارِ

وقال

للمقدسيِّ بقلبي ... حبٌّ جليُّ الدليلِ
فمنْ يكنْ ذا خليلٍ ... فالمقدسيُّ خليلي

---

(١) يروى: عن.

(٢) يروى: فباب.

وقال

أنكـــرَ حبّـــي مدمَعـــي ... وقـــالَ هـــذا مِـــنْ هـــوى
فقلـــت لا بـــلْ مـــنْ فـــتى ... أصـــابَ عـــيني بـــنوى

وقال

أرشـــف مـــبرَّدَ ريقِـــهِ ... مِـــنْ ثعلـــب إنْ صـــدَّ أَنكـــى[1]
يعطـــيكَ مِـــنْ طـــرفِ اللســا ... نِ حـــلاوةً ويـــروغُ عـــنكا

وقال

يـــا شـــيخُ خـــلِّ التـــصابي ... فالـــزهدُ بالـــشيخِ ألـــيقْ
ولا تَحُـــــــثَّ كميـــــتاً ... فـــإنَّ فـــودك أبلـــقْ

وقال

أفـــدي امـــرأ كـــانَ علـــى بعـــده ... أكـــبرَ أنـــصاري وأعـــواني
فحـــينَ وافى حلـــباً زائـــراً ... أَعْدَتْـــهُ أعدائـــي فعـــاداني

وقال رحمه الله تعالى

تذكـــرتُ بالـــبرقِ إذْ يلمـــعُ ... مـــنازلَ كانـــتْ بكـــمْ تجمـــعُ
فـــيا زمـــنَ الوصـــلِ هَـــلْ عائـــدٌ[2] ... فـــتخمد مـــا حـــوتِ الأضـــلعُ
وكـــيف يعـــودُ لأهـــلِ الهـــوى ... ســـرورٌ ومـــستَبْعَدٌ أن يعـــوا
هجـــرتُ الـــنقا بعـــدَكم والـــصفا ... لأني بكـــأسِ الـــبكا أجـــرعُ
أبـــثك بَيْـــناً ودمعـــاً جـــرى ... فهـــذا حجـــازٌ وذا ينـــبعُ
كـــأنَّ ســـهامٌ لقَـــوسِ الـــنوى ... فرامـــي الفـــراقِ بـــنا مولـــعُ
وفي الـــنازعاتِ لـــنا أنفـــسٌ ... وفي المرســـلاتِ لـــنا أدمـــعُ
أحـــبُّ الدمـــى وســـوادَ اللمـــى ... وربُّ الـــسما خـــوفُهُ يـــردعُ

---

(١) يروى أزكى.

(٢) في نسخة: عودة.

فَمِنْ جهةِ الطبعِ لي مطمحٌ ... ومِنْ جهةِ الشرعِ لا مطمعُ
وما أجهلُ الحسنَ لكنْ أرى ... بأنَّ التراهةَ لي أرفعُ
ولولا التقى كنتُ أبغي الشقا ... ويجتمعُ اللهوُ لي أجمعُ
صحبتُ الملا وطمعتُ العلى[٢] ... وجربْتُ ما ضرَّ أو ينفعُ
فَلَمْ أرَ أرذلَ مِنْ طامعٍ ... ألا قاتلَ اللهُ مَنْ يطمعُ
ولم أرَ أرفعَ من قانعٍ ... فللّهِ كلُّ فتى يقنعُ
وما ذقتُ في عمريَ قهوةً[٣] ... ولم يُجْلَ[١] لي كأسُها المترعُ
وما[٤] أصلحتْ قينةٌ عودَها ... وغنَّتْ بهِ وأنا أسمعُ
ولو رمْتُ في وصلِها جهلةً ... لما كانَ للسرِّ مستودَعُ
ولا هزَّ لي أمردٌ عطفه[٥] ... يُشبَّه بالبدرِ إذْ يطلعُ
فَمَنْ كانَ بالمردِ مستمتعاً ... فذاكَ به كان يستمتعُ
ومن يطعِ اللهوَ عصرَ الصبا ... فذلكَ بالشيبِ لا يرجعُ
أنا الكاسدُ النافقُ الشاردات ... تسيرُ وأنوارُها تسطعُ
جمعتُ إلى العلمِ نظماً لهُ ... غصونٌ حمائمُها تسجعُ
حمى اللهُ شعريَ عن ذلةٍ ... فلا يستكينُ ولا يخضعُ
وإن اكتسابَ الغنى بالمديحِ ... مهينٌ له مؤلمٌ موجعُ
وخلَّفَنا والدي سبعةً ... من الولْدِ مربعُهُمْ ممرعُ
رأى الدهرُ سبعَ شموس لنا ... فعانَدَنا فإذا أربعُ
وكانَ توجعُهُمْ مُوجعي ... ولكنْ فرقَتَهمْ أوجعُ

(١) في نسخة: يحل.

(٢) في نسخة: وطعمت الولا.

(٣) القهوة: الخمر.

(٤) في نسخة: ولا.

(٥) في نسخة: عطفه أمرد.

هـــوَ الدهـــرُ يلحـــنُ في أهلـــه ... فـيخفضُ مَـــنْ حقـــهُ يـــرفعُ
أَلَـمْ تَـرَهُ ضـدَّ أهـلِ التقـى ... وَمَـنْ ضـدَّهُ الدهـرُ مـا يـصنعُ
مـساكينُ أهـلُ الـنقا أُخرسوا ... وَمَـنْ ألفـوا المـنحنى لعلعـوا
فكـمْ نـاقصٍ ثغـرُهُ باسـمٌ ... وكـمْ فاضـلٍ سـنَّهُ يقـرعُ
فـلا تعجبُـنْكَ[1] علـى جاهـلٍ ... فدولـتُهُ بغـتةً تقلـعُ
ولـو بلـغَ الجاهلـونَ الـسُّها ... فمـا تحـتَ موضـعِهِمْ موضـعُ
فخـلِّ العلـومَ إذا جئـتَهُمْ ... فلـيسَ لهـا عـندهُمْ موقـعُ
ولا تذكـرنْ أدبـاً عـندهُمْ ... فـآدابُ أشـعارِهمْ بلقَـعُ
أجـلُّ الـورى عـندهم رتـبةً[2] ... وضـيعٌ يزمـزمُ أو يُـصفعُ
أرى الـبخلَ مستبـشعًا فاحـشًا ... وسـعيي إلى بـابهم أبـشعُ
فـيا قـبحَهُمْ في الـذي خُوِّلـوا ... ويـا حـسنهم عـندما يُـترعُ
ولـو كـنتُ أرضـى بمـا القومُ فيه ... لمـا كـنتُ عَـنْ نـيلِهِ أُدفـعُ
رضـيتُ الخمـولَ فكـم خلعـة ... بهـا ديـنُ لابِـسها يخلـعُ
وكـم فـرحةٍ جَلَـبَتْ تـرحةً ... وَكَـمْ ضـحكٍ بعـدَهُ مدمـعُ
إذا مـا تـضاحكتُ مـنْ حـالهم ... يظـنونَ أني لهـمْ أخـشعُ
ومـا يَكْـشرُ الليـثُ ضـحكاً بلى ... يكـشِّرُ إذْ سمُّـه مـنقعُ
مـضى مـا مضى وانقضى ما انقضى ... وعـند المهـيمنِ نـستجمعُ
فـلا الجـاهُ يومـئذٍ نافـعٌ ... ولا المـالُ حينـئذٍ يـشفَعُ
فـيا جامـعَ المـالِ بخـلاً بـه ... رويـدَكَ وانظـرْ لمـنْ تجمـعُ
ويـا حاسـدي كـيفَ شِـئْتَ كنْ ... فإنـي بـاللهِ أسـتدفعُ
وإنـكَ لـو رمْـتَ لي هفـوةً ... أبى الـشهداءُ إذا مـا دُعـوا
ومـا في الـبريةِ مِـنْ رافـضٍ ... لفـضلي إلا لَـهُ مـصرعُ

---

(١) كذا في النسخ التي بين أيدينا، ولعلها تعْجَبَنَّ.

(٢) في نسخة: رتبة عندهم.

وقال

سجادةٌ أذكرتني منكَ الذي كنتُ أعلمْ
أهديتَها لمحبٍّ صلى عليها وسلمْ

وقال

أيا دادا حكَتْ صدغاكِ واواً فما أحلى ثناياكِ العذابا
لقد صدَّتْكِ أمُّكِ عن رضانا[2] فيا ماما دعي للصلحِ[1] بابا

وقال

إنْ قالَ صفْ لي عذاري وَصْفَ مبتكر ووجنتي قلتُ خذْ يا صنعةَ الباري
هذا عذارُكَ نمّامٌ ومسكنُهُ نارٌ بخدَّيْكَ والنَّمامُ في النارِ

وقال

رمى لحظَهُ فأصابَ الحشا قضيبُ نقا ماسَ في بُرْدِه
فلمْ أَرَ أرْشَقَ مِنْ لحظِهِ ولمْ أرَ أرشقَ مِنْ قدِّهِ

وقال

وسمينة كانتْ لها في القلبِ مترلةٌ ترقتْ
رقَّتْ فعفْتُ وصالها وقطعْتُها مِنْ حيثُ رقَّتْ

وقال

لفاتني خيل عتاقٌ سوابقٌ إناثٌ أطابَتْ حملَها وفحولُ
وقدٌّ لقلبي فيهِ ألفُ بثينةٍ فكلُّ رداءٍ ترتديهِ جميلُ

وقال

ولي صاحبٌ بالمدحِ والهجوِ كسبه يقول أتدري كيفَ أصنعُ بالخلْقِ
إذا حمَّروا وجهي وما بيضوا يدي أزرقْ لهم رجلي ولو[3] خضَّروا عنْقي

---

(١) في نسخة: للوصل.

(٢) في نسخة: لقانا.

(٣) في نسخة: وإن.

وقال

قالـــوا تعـــدَّى علـــيك مغتـــصِباً ديـــوانك المـــشتهى إلى العاقـــلِ
فقلـــتُ لا تفـــزعوا علـــيَّ فقـــدْ أخـــذْتُ حقّـــي وثُلْثـــي الـــباطلِ

وقال

مـــودعتي قفـــي زمـــناً يـــسيراً ففـــي الـــتوديعِ للعـــشاق سَـــبْيُ
ألا تـــستعطفينَ وأنـــتِ غـــصنٌ ألا تتلفـــتين وأنـــتِ ظَبْـــيُ

وقال

وقائـــلٍ هـــلْ لـــكَ في الـــ أحـــولِ نظـــمٌ يـــا أُخـــيْ
فقلـــتُ ســـلْ أو لا تـــسلْ مـــاليَ في الأحـــولِ شـــيْ

وقال

واللهِ لا كـــنتُ مادحـــاً طَـــرَفَاً فالـــنفخُ في الـــبرقِ مالـــهُ صـــورَهْ
ولا هجـــوت اللئـــيمَ في عمـــري مـــنْ ذا يطـــيقُ الوقـــوعَ في جُـــورَهْ

وقال

ســـألتها أيُّ نـــاهٍ نهـــاكِ عـــنْ حـــسنِ قـــوجكْ
قالـــتْ نهـــانيَ زوجـــي فقلـــتُ روحـــي بـــزوجكْ

وقال

تقـــولُ وخـــالطَني الـــشيبُ لمْ سـلوتَ فقلـــتُ اغـــربي وابعـــدي
فقـــد صـــرتُ أبلـــق قالـــتْ أجـــل وأبلـــقُ خـــيرٌ مِـــنَ الأســـودِ

وقال

إنْ لمـــتُ حظـــي فـــلا تلمـــني فـــإنَّ لومـــي لـــهُ بحـــقٍّ
للـــضدِّ رزقٌ بـــلا حـــسابٍ ولي حـــسابٌ بغـــيرِ رزقِ

وقال

أنـــا إن ســـافرتُ عـــنكمْ لا يـــصرْ عـــندَكَ صـــورهْ
فيَّ تعـــريفٌ وعـــدْلٌ فانـــصرافي للـــضرورهْ

وقال

إن قـــالَ صـــفني وصِـــفْ رفيقـــي قلـــتُ لـــهُ تـــاركَ الـــتحابي
أنـــت حـــسابٌ بـــلا عطـــاءٍ وَهْـــوَ عطـــاءٌ بـــلا حـــسابِ

وقال

مـــرَّتْ بخـــدَّيْ شـــقيقٍ بـــنا فقلـــتُ مـــبادرْ
مـــرُّ الـــشقائقِ هـــذا قالـــتْ وشـــقُّ المرائـــرْ

وقال

تجـــنَّبْ أصـــدقاءَكَ أو تغافَـــلْ لهـــمْ تظفـــرْ بـــودهمُ المـــبينِ
وإنْ يـــتكدّروا يـــوماً فَعُـــذْراً فـــإنَّ القـــومَ مـــنْ مـــاءٍ وطـــينِ[1]

وقال

ناديـــتُ دُمْلَجَهـــا فديـــتُكَ دُمْلَجـــاً لا تجـــرحنَّ يـــداً لهـــا عـــندي يـــدُ
فأجـــابني أنـــا دُملـــجٌ ذو غلظـــةٍ إني[2] أرقُّ لهـــا وقلـــبي جلمـــدُ

وقال

كنيـــــسةُ الـــــيهودِ في إنقاذهـــــا[3] مـــــصالحُ
فكـــلُّ حـــزّانٍ غـــدا والقلـــبُ مـــنهُ نـــازحُ

وقال

بـــأبي مَـــنْ كـــانَ لا يـــرحمني ثمَّ لمـــا غـــابَ عـــني رحمـــنا
خـــافَ إن غـــابَ طـــويلاً تَلَفـــي ثمَّ مـــا ودَّعَ حـــتى سـلّما

---

(١) في هذا البيت ما يسمى في علم البديع بحسن التعليل، وهو أن يورد وصفا لطيفا مناسبًا، وإن كان غير صحيح من جهة الواقع.

(٢) في نسخة: أني.

(٣) في نسخة: إيقادها.

وقال

أنحلَتْني حبيبتي أنحلَ اللهُ خصرَها
كَسرَتْني جفونُها ضاعفَ اللهُ كسرَها

وقال

فكأنَّ[2] مَنْ أهواهُ في حمَّامِه والسدرُ يزهو فوقَ أبيضَ أصفَرا[1]
صَنَمٌ منَ الكافورِ قُلِّدَ لؤلؤاً رطباً وأُلبسَ ثوبَ لاذٍ أخضرا

وقال

يا ناذرينَ الصوم يومَ شفائه لوْ تفقهونَ لكانَ نذرَ سجودِ
إني نذرتُ على مخالفتي لكم فطراً فكيف أصوم يومَ العيدِ

وقال

لحبيبي شامةٌ في خدِّه لا علا شأنُ حسود شانَها
رُبَّ عينٍ دهشتْ وقدْ[3] نسيت في خدِّهِ إنسانَها

وقال

أقولُ إذْ قالَ لي حبيبي علامَ فارقْتَني علاما
خدُّكَ كانَ الصَّفا ولكنْ قدْ أصبحَ المشعرَ الحراما

وقال

ألستُ شَعريَ إذْ مضى عني الصِّبا لونَ الكفنْ
والناسُ منْ عاداتِهم لُبْسُ السوادِ على الحزنْ

وقال مضمنًا في غلام ظالم حصلت له زمانة اسمه كافور

قدْ أزمنَ اللهُ كافوراً وعاقبَهُ هذا بذاكَ ولا عُتبى على الزمن
فاستعملوا المسكَ في عرسِ السرورِ بهِ فالمسكُ للعرسِ والكافورُ للكفَنِ

---

(١) في نسخة: أحمر.

(٢) في نسخة: وكأن.

(٣) في نسخة: منه فقد.

وقال في شخص كان معسرًا ثقيلاً واستغنى فخفَّ[1] على الأرواح

قـد كـان إذْ هـوَ معسرٌ مستثقلاً فغنـيْ فخـفَّ فطـابَ طـيبَ الراحِ
مـالُ الفـتى كالـروحِ حلَّتْ جسمَهُ إنَّ الجسـومَ تخـفُّ بـالأرواحِ

وقال في شمعة

ممشوقةٌ مـثل صـدرِ الـرمحِ عاريةٌ قد توَّجَتْ رأسَها بالكوكبِ[2] الساري
تبكـي إذا ضـحِكَتْ جلاّسُـها حَرَقاً فالقـومُ في جـنَّةٍ والـشمعُ في الـنار

وقال

قـدْ ألقـتِ الـنارُ وجنـتاهُ فيـنا وقـدْ صـاحتِ الحـريقا
والثغـرُ بالطـرفِ قـدْ حمـاهُ فـراقَ طيـباً وطـابَ ريقـا

وقال

قـرطُها[3] خافـقٌ وقلـبيَ أيـضًا خافـقٌ مِـنْ ألـيمِ صـدٌ وبَـيْنِ
فاعـذروها في العجـبِ فَهْـيَ فـتاةٌ أصـبحَتْ وَهْـيَ تملـكُ الخافقَـيْنِ

وقال

أحـبُّ لوجنتـيهِ الجمـرتين وهمـتُ لثغـرِهِ بالأبـرقينِ
وأُعْـذَرُ في عذاريـهِ لأني أورِّي عـنهما بالـرقمتينِ
رآهُ مجـرَّداً يـوماً عـذولي فمـا عَـرَفَ النـضارَ مـن اللجـينِ
سـوابقُ أدمعـي لَّمـا جفـاني جـرتْ فتعثَّـرتْ بالمحجـرينِ
هـواهُ أفـادَني شـيباً وسـهداً حملْـتهما علـى رأسـي وعـيني
ورايـةُ حـسنِهِ خفقَـتْ كقلـبي فهـنُّوهُ بملـكِ الخـافقينِ

---

(١) في نسخة: مخفف.

(٢) في نسخة: بنظير الكوكب.

(٣) في نسخة: قرطفها وهو خطأ.

وقال

لي صـــاحبٌ واسمـــهُ ســـراجٌ ... مـــا قـــرَّ لي عـــندَهُ قـــرارُ
لـــسانُهُ محـــرقٌ لقلـــبي ... إنَّ لـــسانَ الـــسراجِ نـــارُ

وقال

يـــا بـــدرَ تمٍّ نـــورُهُ باهـــرُ ... منزلُـــهُ في القلـــبِ والطـــرفِ
صـــدغُكَ حـــرفُ الـــنونِ في مشقِهِ(٢) ... مَـــنْ يعـــبدُ اللهَ علـــى حَـــرْفِ(١)

وقال

محمـــولُ موضـــوعِ غرامـــي علـــى ... رســـامكم أنـــتجَ لي سُـــهدي
انظـــرْ عذاريـــه وأجفانُـــه ... تَفْـــرُقُ بـــينَ الرســـمِ والحـــدِّ

وقال

خطـــبتُ مجَّانـــاً ومـــا عيـــشتي ... إلا بحـــرثِ الـــسكةِ الـــصلبةْ
فناظـــرُ الوقـــفِ صـــديقٌ لمـــن ... يقـــنعُ بالـــسكةِ والخطـــبةْ

وقال

معـــذَّرٌ عـــشتُ بتقبـــيله ... فمـــتُّ مـــنْ عـــشقٍ وَمَنْ عاشَ ماتْ
فثغـــرُهُ والـــشعرُ في خـــدِّهِ ... هـــذا سُـــنيناتٌ وهـــذا نـــباتْ

وقال

سأســـفحُ دمعـــي في هوى المجد منشداً ... ألا في ســـبيلِ المجـــدِ مـــا أنـــا فاعـــلُ
فلـــو رامَ قَـــسٌّ وصـــفَ باقـــلِ خدِّهِ ... لعيَّـــرَ قـــساً بالفهاهـــةِ باقـــلُ

وقال

تعجـــبتُ مِـــنْ نهدَيْـــهِ لـــو أنَّ لامساً ... أرادَ انقباضـــاً لَمْ تطعْـــهُ أناملُـــهْ
وســـالَ عـــذارٌ لـــو نحـــا نفـــس صبِّهِ ... لجـــادَ بهـــا فليـــتقِ اللهَ ســـائلُهْ

---

(١) عجز البيت هنا مقحم ومتكلف للمشاكلة بلا فائدة.

(٢) في نسخة: عشقه.

وقال[١]

إذا كان المحبُّ قليلَ مالٍ ... فما أيامُهُ إلا ليالِ
لقدْ هانَ المقلُّ على البرايا ... فلمْ يخطرْ لمخلوقٍ ببالِ
وأصبحَ بينَ أهليهِ غريباً ... طويلَ الهجرِ منبتَّ الحبالِ

وقال

شاعرٌ أخرج نصفاً زغلاً ... عندَ خبازٍ فلما أنْ عُرِفْ
قيلَ هذا جائزٌ قالَ نعمْ[٢] ... يصرفُ الشاعرُ مالا ينصرفْ

وقال

تجادلْنا أماءُ الزهرِ أذكى ... أمِ الخلاَّفُ أمْ وردُ القطافِ
وعقبى ذلكَ الجدلِ اصطلحْنا ... وقدْ حصلَ الوفاقُ على الخلافِ

وقال في شيخه عبس رضي الله عنه

قدْ كانَ عبسٌ باسماً ... في كلِّ هولٍ يقعُ
الملحدونَ ابتهجوا ... بموتِهِ والشِّيَعُ
ما كانَ يخشى منهُم ... فقلبُ عبسٍ سَبُعُ[٣]

وقال

رأيتُ شيخاً عندَهُ عجمةٌ ... فقلتُ ماذا قيل منطيقي[٤]
قلتُ اشتغل بالفقهِ منْ قبلِ ذا ... أتشربُ الخمرَ على الريقِ

---

(١) في نسخة: وقال مضمنًا.

(٢) في نسخة: قال لم تصرف هذا قال مه.

(٣) في هذا البيت تورية بديعة حيث ورى بأن المعنى قلب كلمة عبس يصير سبعًا، والمراد أن قلب المرثي عبس كان قلب سبع..

(٤) في نسخة: فقال ماذا قيل في منطيقي.

وقال لغرض وهي من شعر الصبا

صبرًا لصرفِ زمانٍ قاطعِ الحججِ ... لم يدرِ ما صحة الممشى من العرجِ
يرعى اللئامَ ويغتالُ الكرامَ ولا ... يخشى الملامَ[1] بقلبٍ غيرِ مختلجِ
صبرًا على صرفِه صبراً فرحلتُنا ... قريبةٌ عنهُ فَلْيَحْتَلْ على المهجِ
ما بالُهُ لا يرى قَدْرًا لذي شيمٍ ... سمحِ اليدينِ ويُعلي القدرَ مِنْ سمجِ
فيا ذوي الفضلِ رفقاً إنَّ دهرَكُم ... لم يدرِ ما الفضةُ البيضا منَ السبجِ
لا تعجبوا لارتفاعِ الجاهلينَ به ... وخفضِكُمْ بالرضى منكم أو اللججِ
فهذهِ كفةُ الميزانِ إذْ حكمتْ ... تقابلُ الذهبَ الإبريزَ بالصنجِ
جربْتُ أهلَ زماني واختبرْتُ فلمْ ... أجدْ كريماً ولا عوناً على الحرجِ[2]
ولا محبًّا لذي فضلٍ ولا ثقةً ... ولا أميناً ولا عدلاً عنِ العوجِ
ولا مصيخًا إلى مدْحٍ إذا مُدحوا ... ولا كريماً يخافُ الهجوَ حيثُ هُجي
منْ أجلِ ذلكَ قدْ جانبْتُ أكثرَهُمُ ... وقلتُ يا أزمةُ اشتدي لتنفرجي
فإنهمْ عنْ سبيل الصدقِ قد عَرَجوا ... فاعذرْ فليسَ على العرجانِ مِنْ حرجِ
زيادةُ الفضلِ عينُ النقصِ عندهُم ... وكثرةُ المالِ فيهمْ أرفعُ الدرجِ
فصافِ أعدلَهُمْ قولاً وأصدقَهُمْ ... في الودِّ وافتحْ لهُ بابَ الهوى يلجِ
فلا تُزاحِمْ على الدنيا الكلابَ فَمَنْ ... يزاحمِ الكلبَ فيما نالَهُ يُهجِ
ما شاقَني في زماني قربُ غانيةٍ ... رنَّتْ ولا راقني ذو منظرٍ بهجِ
ولا مرادي وصالُ المردِ إذ خَطَروا ... ولا ازدهاني بخدٌّ ناعمٍ ضرجِ
ولا سباني سنا هيفاءَ مقبلةً ... عجزاءَ مدبرةٍ بالجعدِ والدعجِ
وليسَ ذاك لجهلي بالجمالِ إذنْ ... لكنني من بحارِ الهمِّ في لُججِ
يا نفسُ صبرًا فعقبى الصبرِ صالحةٌ ... لا بدَّ أن يأتيَ الرحمنُ بالفرجِ

---

(١) في نسخة: اللئام.

(٢) في نسخة: الحوج وهي من الاحتياج، أما الحرج المثبتة فهي من الضيق.

وقال

النومُ عن جفني طريحٌ طريدْ … والصبرُ عن قلبي قصيٌّ بعيدْ
يا مَنْ سبى بالنورِ شمسَ الضحى … قَلْبُ المعنَّى لم يكنْ بالحديدْ
القلبُ مني خالدٌ في أسى … وفي غرامٍ شابَ منهُ الوليدْ
وميتتي فيك حسينيةٌ … ولي عذولٌ فوقَ ما بي يزيدْ

وقال

وصاحبٍ قدْ جاءَنا مُهدياً … هديةٌ حثَّتْ على رَدِّهِ
مِنْ بندقٍ أفرغَ مِنْ رأسِهِ … ومَلْبَنٍ أثخنَ مِنْ جلدِهِ

وقال

قلتُ إذا[1] غَرَرْتَني … يا آنساً عنِّي نَفَرْ
فما أنا أولُ مَنْ … قدْ غرَّهُ ضوءُ القمرْ
قال انصرفْ قلت أما … تعلمُ أنَّ اسمي عمرْ
قال أضفناكَ انصرفْ … إلى الهمومِ والسهرْ

وقال

قالوا بدا الشَّعرُ أما تشعرُ … قلتُ مِنَ الواجبِ أنْ تعذروا
بخدِّه آياتُ حسنٍ ومَنْ … إذا رأى الآياتِ لا يُبهرُ
نسختُها صحَّتْ لقرَّائِها … ففي حواشيها لهمْ أسطرُ
بل نحلُهُ قدَ رامَ مِنْ ثغرِهِ … شهداً وخوفُ البرقِ لا يجسرُ
أو خدُّهُ مرآةُ حُسْنٍ يرى … أهدابَهُ فيها الذي يَنظرُ
أو هو بحرٌ مِنْ حياةٍ طما … يُزجى إلى ساحله العنبرُ
أبيضُ الوجه أحمرُ الخَدِّ قدْ … سوَّدَ قلبي قَدُّهُ الأسمرُ
مَنْ رامَ يجني الوردَ منْ خدِّهِ … فعقربُ الصدغِ لهُ تنظرُ

---

(١) في نسخة: قد قلت إذ.

لا تنكــــروا النفــــرةَ مِــــنْ مــــثله | فــأيُّ ظــبيٍ وَيْــك لا ينفــرُ
وذكِّــرِ الغـصنَ بحـالي عـسى | يجـبرُ قلــبي بعــدما يكــسرُ
فالغـصنُ عــنْ والـدهِ المـاءِ قـدْ | مــالَ بقــولِ الـريحِ إذْ تعـبرُ

وقال

يــا مَــنْ تولّــى قاضــياً | هــذا قــضاءٌ أم قــدرْ
عــــذرُكَ في نــــسياننا | أنَّ القــضا يُعمــي البــصرْ

وقال

الطــرفُ ســاهٍ ســاهرٌ | والدمــعُ وافٍ وافــرُ
فاجفُــوا ولِيــنوا في الهــوى | فالقلــبُ شــاكٍ شــاكرُ
واحلــوا ومــروا ســادتي | فالــصبرُ قــاصٍ قاصــرُ
عُجْــباً لدمعــي ســائلاً | والحــبُّ نــاهٍ ناهــرُ
أصــبو بغــيرِ تــصبُّرٍ | أفمــثلُ صــابٍ صــابرُ
يــا أهــلَ بــدرٍ فــيكمُ | وســنانُ عــاطٍ عاطــرُ
هــوَ للكــرى وعــنِ الــذي | يهــواهُ نــافٍ نافــرُ
مــا في المــلاحِ نظــيرُهُ | ريــانُ بــاهٍ باهــرُ
رشــدي وغيــي وجهُــهُ | فالــوجهُ زاهٍ زاهــرُ
مَــهْ يــا عــذولي خلّــني | فاللــومُ خــاسٍ خاســرُ

وقال

إذا كــنتَ تــرجو ودادَ امــرئٍ | فــلا تدعُــوَنَّ لــهُ بارتقــا
فــإنَّ الــصديقَ مــتى مــا ارتقــى | تخلّــى عــن الأصــدقا والتقــى

وقال

إنَّ يــومَ الوصــال يــومٌ قــصيرٌ | لا تــضيِّعيهِ جفــوةً وعــتابا
هــندُ لا تكـشفي عــنِ الصفحِ ستراً | لا ولا تفتحــي إلى البحــرِ بابــا

وقال

والله لو صدَّقتُ ما قالهُ ... حاسدُنا لمْ أتأثرْ بهِ
فلا تصدِّقْ أنتَ ما قالهُ ... أيضاً وخلِّ النارَ في قلبهِ

وقال

مربعٌ منْ أنسِ سلمى أوحشا ... تركَ الداءَ دفيناً في الحشا
صبَّ دمعَ الصبِّ فيه عندما ... عندما أنفذَ ربي ما يشا
إنْ يملْ قلبي لعذلٍ لا لعاً ... أو أطاعَ السمعَ لوماً طرشا
يا لَسلمى أنتِ أولى مَنْ رعى ... ودّيَ الأقدمَ مِنْ يومِ نشا
يا لَسلمى بأبي أنت وبي ... أنتِ عندي اليومَ أحلى مَنْ مشى
يا لَسلمى سالميني واسلمي ... لا تطيعي واشياً فيما وشى
يا لَسلمى دهشتي فيك حجا ... لا يعابُ الصبُّ مهما دُهشا
ما لطرفي إن تَبَدَّيْت[2] بكى ... ولكفيّ ينثني مرتعِشا
فاسفري وجهَكِ إنْ لم تصلي ... رؤيةُ الماءِ تزيلُ العطشا
إنَّ سلمى إنْ تزرني زورةً ... وجدَتْ خدِّي لها مفترَشا
أو أرادت بوصالٍ عِوضا ... فأنا كُلّي لها بعضُ الرِشا
طلبَتْ مني لقتلي شاهداً ... قلتُ عينيكِ كفى بالسيفِ شا[1]

وقال

كمْ حاسدٍ لمْ يستبحْ حرمةً ... منكَ ولو مازحْتَهُ لاستباحْ
إياكَ أن تمزحَ يوماً فما ... يهتِّكُ الأستارَ إلا المزاحْ

---

(١) قوله: "كفى بالسيف شا" أي "شاهدًا"، وحذف باقي الكلمة للقافية وللعلم بها بدلالة السياق.

(٢) في نسخة أنت تبدين.

وقال

وحاسدٍ يُظهرُ بينَ الورى ... نقصي ويستيقنُ مني الكمالْ
هذا عطاءُ اللهِ يا حاسدي ... مالكَ غضبانُ على ذي الجلالْ

وقال

باللهِ يا معشرَ أصحابي ... اغتنموا علمي[1] وآدابي
فالشيبُ قدْ حلَّ برأسي وقدْ ... أقسمَ لا يرحل إلاّ بي

وقال وقد زار قبر أخيه فوجد عليه شقائق النعمان

قالتْ شقائقُ قبرِهِ ... ولَرُبَّ أخرسَ ناطقُ
فارقتهُ ولزمتُهُ ... فأنا الشقيقُ الصادقَ

وقال هازلاً مع شخص يلقب بيضو

لئنْ طهَّرتَ ثوباً دونَ قلبٍ ... فطُهرُ الثوبِ دونَ القلبِ حَيْضُ
تكلُّ عن العلى لو صرتَ فرخاً ... وقرناصًا[2] فكيفَ وأنتَ بَيْضُ

وقال

للّهِ معشوقٌ خشى ... لثمي لهُ فالتثما
أشكو إليه ظمأي ... قالَ وما يشفي الظما
قلتُ لهُ ماءُ اللمى ... فقالَ لي ما آلما

وقال مضمنًا للمثل المشهور

رامتْ وصالي فقلتُ لي شغلٌ ... عَنْ كلِّ خودٍ تريدُ تلقاني
قالتْ كأنَّ الخدودَ كاسدةٌ ... قلتُ كثيراً لقلةِ القاني

---

(١) في نسخة: فضلي.

(٢) في مختار الصحاح: بازٌ مقرنص أي مقتنى للاصطياد، وقد قرنصه أي اقتناه، فلعله أراد هنا بالقرناص: الباز، أو يكون لها معنى آخر.

وقال

كَبدٌ معذَّبةٌ وقلبٌ خافقٌ ... وحشاشةٌ نَضِجَتْ ودمعٌ دافقُ
وعذولُ سوءٍ زادَ قلبي وجعةً ... ما ضرَّهُ لو أنهُ بيَ رافقُ
يا سيداً فتَنَ الورى بجمالِه ... نومي لِبُعْدكَ عَنْ جفوني طالقُ
قسماً بليلةِ وصلِنا بِطُوَيْلِعٍ ... إني إلى لمحاتِ وجهِكَ شائقُ
لو قلتَ للعشاقِ موتوا لوعةً ... وصبابةً بانَ المحبُّ الصادقُ

وقال واهتدم البيتين الأخيرين

سرقْتُ منها نظرةً فاستضحكتْ ... واستترتْ عني وسدَّتْ طاقَها
فرمْتُ منها نظرةً ثانيةً ... فأسبَلَتْ مِنْ دونِها رواقَها
كيفَ يطيقُ ساقُها خلخالَها ... ونظرةُ الناظرِ تدمي ساقَها
يا هندُ لي نفسٌ بكم مشغولةٌ ... سياقُها إلى هواكم ساقَها
يقولُ مَنْ يقيسُ بلقيسَ بها ... آمرةٌ ناهيةٌ عشّاقَها
إني وجدتُ امرأةً تملكُهُمْ ... وأُوتيَتْ منْ كلِّ شيءٍ راقَها
لو تعلمُ الوُرْقُ بحسنِ جيدِها ... لمزَّقتْ منْ طربٍ أطواقَها
ولو يذوقُ عاذلي ريقتَها ... صبا معي لكنَّهُ ما ذاقَها

وقال

وفي بغدادَ أقوامٌ كرامٌ ... ولكنْ بالسلامِ بلا طعامِ
فما زادوا الصديقَ على سلامٍ ... لهذا سُمِّيَتْ دارَ السلامِ[1]

وقال

همُ الخفراءُ[2] كمْ[3] عينٍ وقلبٍ ... رَمَوها بالغريقِ وبالحريقِ
تراهمْ جالسينَ على طريقٍ ... وهمْ قومٌ على غيرِ الطريقِ

---

(١) هذا من لطيف الهجاء عنده، وهو من حسن التعليل، وهو فن من فنون البديع سبق بيانه من قبل.

(٢) في نسخة: أسقطت الهمزة.

(٣) في نسخة: لهم.

وقال

شتانَ يا ابنَ فلان تعاستي وسُعودُكْ
أنا يُدَوِّدُ قَزِّي وأنتَ قَزَّزَ دودُكْ

وقال

يا جامعَ المالِ كيما تستريحُ به ما راحةُ القلبِ إلاّ للصعاليكِ
فكنْ فقيرًا تعشْ عيشَ الملوكِ ولا تكنْ غنياً تعشْ عيشَ المماليكِ

وكتب إلى القاضي جمال الدين يوسف بسرمين معاتبًا له على قصد الرحلة إلى دمشق

علامَ أردتَ هجرني علاما وتوقظُ بالنوى أهلاً[1] نياما
لعلكَ يا جليدَ القلبِ تبغي رحيلاً يورثُ الدمعَ انسجاما
وتتركُنا بلا رجلٍ كبيرٍ نراجعُهُ إذا رُمْنا مراما
أتتركُ آلةَ التعريف منا وما أعني بها ألفًا ولاما
فهلْ لاقيتَ في حلبٍ همومًا فتزمعَ عنْ نواحيها اهتماما
وما برحَتْ إلى الشهباءِ منا سراةُ بني[2] أبي بكرٍ تسامى
فنالوا فوقَ ما يرجونَ منها[3] وما ذمّوا لها يوماً ذماما
فلا تأخذْ دمشقَ لها بديلاً أغيظاً ذاكَ منكَ أمِ انتقاما
وإنْ تكُ بالتفرّقِ لا تبالي فهذا يمنعُ العينَ المناما
وإنْ ترحلْ لنيلِ غنى فَسَهْلٌ غناكَ هنا إذا أمسكتَ عاما
وإنْ ترحلْ تريدُ تمامَ جاهٍ فمَهْ إني أحذرُكَ التماما
وإنْ ترحلْ رجاءً لاشتهارٍ فكمْ منْ شهرةٍ توهي العظاما

---

(١) في نسخة: إبلاً.

(٢) في نسخة: في.

(٣) في نسخة: فيها.

وحسبُكَ شهرةً كرمٌ وعلمٌ ... سبقْتَ به الفرادى والتؤاما

أقمْ في الأهلِ في رغدٍ وطيبٍ ... بأمري واغتنمْ ذاكَ اغتناما

فللأهلِ الوفاءُ وإنْ سواهمْ ... وَفاكَ تضمُّناً غدَرَ التزاما

فليسَ يُزادُ في رزقٍ حريصٍ ... ولو جابَ المهامةَ والإكاما

أتظعنُ تستفيد أخاً لئيماً ... وقدْ ضيَّعْتَ إخوتَكَ الكراما

إذا لمْ ترضَ بالأهلينَ جاراً ... فقرِّبْ منْ خيامهم الخياما

ليأتيكَ المخبِّرُ عنْ قريبٍ ... وتنشقُ منْ مواطِنكَ الخزامى

ففرطُ البعدِ عنْ وطنٍ وأهلٍ ... حِمامٌ قبلَ أنْ تلقى الحِماما

فلا تسمعْ كلاماً منْ فلانٍ ... فلستَ بسامعٍ منهُ كلاما

ولا تجهلْ بجهلٍ مِنْ أناسٍ ... وإنْ همْ خاطبوكَ فقلْ سلاما

فكمْ منْ حاسدٍ في السرِّ يبكي ... ويظهرُ حينَ تلقاهُ ابتساما

وما كلُّ الرجالِ أخاً نصيحاً ... لصاحبِه وإنْ صلَّى وصاما

فلا صدقْتَ في قولٍ كذوباً ... ولا استأمنْتَ مَنْ أكلَ الحراما

ولا تُعظِمْ عدوّاً ماتَ غيظاً ... بشهرةِ فضلِنا ورجا انهزاما

وكيفَ تقومُ إعظاماً لمَنْ لم[1] ... يُطلْ في خدمةِ العلمِ القياما

إقامتنا أشدُّ على الأعادي ... وأعظمُ في قلوبِهمُ اضطراما

أبالإسكندرِ الملكِ اقتدينا ... فليسَ نطيلُ في أرضٍ مقاما

وإنكَ إنْ رحلتَ رحلتَ لكنْ ... تخلِّفُ[2] أهلَنا مثلَ اليتامى

كفانا فقدُ إخوتِنا ابتداءً ... فلا تجعلْ تشتّتنا الختاما

---

(١) سقطت "لم" من بعض النسخ.

(٢) في نسخة: نخلف.

وقال

إنْ كنتُ أرضى ما أنا فيه   فدَعْ أقاسي ما أقاسيه

وإنْ يكنْ قلبي مريضاً به   فاسألُ اللهَ يعافيه

وقال

خصرُكَ يا مَنْ حوى ببهجته   محاسنًا ما اجتمعنَ في عبدِ

أضعفُ مِنْ حجَّةِ الروافضِ في   دعواهمُ أنَّ منهمُ المهدي

وقال

ما الدارُ دارًا إن تغيبوا وهلْ   للغمدِ بعدَ السيفِ مِنْ قدْرِ

إنْ قبلَتْ مِنْ بعدهم ساكنًا   فلا سقاها وابلُ القطْرِ

وقال

لا تقصدِ القاضي إذا أدبرَتْ   دنياكَ واسألْ[1] مِنْ جوادٍ كريمْ

كيف تُرجّي الرزقَ مِنْ عندِ مَنْ   يُفتي بأنَّ الفلسَ مالٌ عظيمْ

وقال مضمنًا من أبيات لأبي العلاء

لئنْ كانوا النجومَ فأنتَ شمسٌ   ولولا الشمسُ ما حَسُنَ النهارُ

جمالُكَ غارتِ الأبكارُ منهُ   وأضحتْ لا يقرُّ لها قرارُ

فإنْ باهَتْكَ بالحَلْيِ العذارى   فحسبُكَ منه طرفُكَ والعذارُ

وأنتَ السيفُ إنْ يعدمْ حلياً   فلمْ يُعدم فرندُكَ والغرارُ

وربَّ مطوَّقٍ بالتبرِ[3] يكبو   بفارسِهِ وللنقعِ[2] اعتكارُ

وزندٍ عاطلٍ يحظى بمدحٍ   ويُحرَمُهُ الذي فيه السوارُ

وقالوا خدُّهُ ماءٌ فقلنا   كأنَّ الماءَ مِنْ دمِهِ عقارُ

---

(١) في نسخة: واطلب.

(٢) في نسخة: وللحرب.

(٣) في نسخة: بالدر.

وقال مضمنًا

واعجـــباً مـــنَ الغمـــامِ يبكـــي ... والـــروضُ مـــنْ بكائِـــهِ في ضـــحْكِ
ثمَّ الخـــلافُ بالـــوفاقِ[٢] يحكـــي ... فـــارةَ مـــسكٍ ضـــمختْ في مسْكِ[١]

وقال

أرِحِ الـــــــنفسَ قلـــــــيلاً ... كـــمْ كـــذا قـــالاً وقـــيلا
إنَّ للألـــــــسنِ فـــــــيما ... ســـطَّروا ســـبحاً طـــويلاً
مـــاتَ أهـــلُ العلـــمِ مـــالي ... لا أرى إلاّ جهـــــــــــولاً
أيهـــا الطالـــبُ صـــدقاً ... قـــدْ طلـــبْتَ المـــستحيلا
لمْ تجـــدْ إلا قـــؤولاً ... للتقـــى لـــيس فعـــولا
إنَّ أهـــلَ العـــصرِ عـــندي ... هكـــــذا إلا قلـــــيلا

وقال أيضًا مضمنًا

تعـــوَّدَ أخـــذَ الـــسحتِ حـــتى لوَانَّهُ ... أرادَ انقباضـــاً لم تطعْـــهُ أناملُـــهْ
ويـــسمحُ بالمـــالِ الحـــرامِ لـــسمعةٍ ... ودلَّـــتْ علـــى فعـــلِ الـــزناءِ[٣] دلائلُهْ
ولـــوْ أنَّ مـــا في كفِّـــهِ غـــير جـــيفةٍ ... لَـــشَحَّ[٤] بهـــا فليـــتقِ اللهَ ســـائلُهْ

وقال

طـــالَ ليلـــي ولي جفـــونٌ قـــصارٌ ... هـــنَّ في ربعكـــم جـــوارٍ وكـــنَّسْ
واعـــتقدتُ الـــصباحَ مـــاتَ ولـــو ... لمْ يكـــنِ الـــصبحُ ميِّـــتاً لتـــنفسْ[٥]

---

(١) في نسخة: سك.

(٢) في نسخة: الوفاق بالخلاف.

(٣) في نسخة: الرياء.

(٤) في نسخة: لجاد.

(٥) في نسخة: مات كان تنفس لتنفس.

وقال

لـــستُ صـــخراً في حـــبيَ الخنـــساء ... فهْــــي تجـــني بوجـــنة حمـــراءَ
عـــاذلي غـــيرُ عـــادلٍ في هـــواها ... وإذا أحـــسنَ العـــذولُ[١] أســـاءَ
وجهُهـــا الـــبدرُ منْ[٣] سحائبِ وشيٍ ... قـــدْ تجلّـــى علـــى الـــورى وأضـــاءَ
قـــصَّرَتْ بالقـــصورِ كالتـــركِ ألحـــا ... ظـــاً وكالعُـــرْبِ خطـــرةً وذكـــاءَ
وكـــشمسِ الـــضحى ضياءً وكالظَّبْـ ... ـيِ قالـــتْ[٢] وكالغـــصونِ انثـــناءَ
فـــإذا قلـــتُ هـــلْ أنـــالُ[٤] وصـــالاً ... مـــنكَ قالـــتْ ومـــنْ يـــنالُ الـــسماءَ

وقال

أبـــصروا دمعـــي فخافـــوا ... قلـــتُ لا تخـــشَوا بكائـــي
مـــا علـــيكمْ مـــنْ دموعـــي ... غـــيرُ أمطـــارِ الـــسماءِ

وقال

نمـــتُ وإبلـــيسُ أتـــى ... بحـــيلةٍ منـــتدبهْ
فقـــالَ مـــا قـــولُكَ في ... حشيـــشةٍ منتخَـــبَهْ
فقلـــتُ لا قـــالَ ولا ... خمـــرةِ كـــرمٍ مُذْهَـــبَهْ
فقلـــتُ لا قـــال ولا ... أمـــردَ بالـــبدرِ اشـــتبَهْ
فقلـــتُ لا قـــال ولا ... ملـــيحةٍ مطيَّـــبَهْ
فقلـــتُ لا قـــال ولا ... آلـــةِ لهـــو مطـــربَهْ
فقلـــتُ لا قـــال فـــنمْ ... مـــا أنـــتَ إلاّ خَـــشبَهْ[٥]

---

(١) في نسخة: العدول.

(٢) في نسخة: نفارا.

(٣) في نسخة: في.

(٤) في نسخة: من ينال.

(٥) في نسخة: حطبة.

وقال

غَـبَطتُ مـسواكَ حِـبي ... فقـال إني مفـارِقْ
دعـني أعلـلُ قلـبي ... بـينَ العـذيبِ وبـارقْ

وقال

قولـوا لَمَـنْ غيَّـرَهُ منـصبٌ ... مَـنْ أهمـلَ الأصحابَ عادوا[1] عِدى
أمـا سـليمانُ علـى ملكِـهِ ... قـدْ قـالَ مـا لي لا أرى الهُدْهُـدا

وقال

قالـوا اعـتذرْ في التـسلّي ... فـوجهُهُ فـيهِ شـعرُ
لا مـا لعـذريَ وجْـهٌ ... ولا لـوجهِكَ عـذْرُ

وقال

ظُـنّوا بـربِّ العـرشِ مـا هـو أهلُهُ ... لا تقطعـوا لمخلّـطٍ بالـنارِ
أنـا في يقـيني أنَّ لي مِـنْ حـرِّها ... حـصناً يقـيني وهْـوَ عفْـوُ البـاري

وقال

وكـنتُ إذا رأيـتُ ولـو عجـوراً ... يـبادرُ بالقـيامِ علـى الحـرارةْ
فأصـبحَ لا يقـومُ لـبدرِ تمٍّ ... كـأنَّ الـنَّحسَ قـدْ وليَ الـوزارةْ

وقال

وأسـرقُ مـا اسـتطعتُ مـنَ المعاني ... فـإنْ فقـتُ القـديمَ حمـدْتُ سيري
وإنْ سـاويتُ مَـنْ قبلـي فحـسبي ... مـساواةُ القـديمِ وذا لخـيري
وإنْ كـانَ القـديمُ أتمَّ معـنى ... فـذلكَ مبلغـي ومطـارُ طـيري
وإنَّ الـدرهمَ المـضروبَ باسمـي ... أحـبُّ إليَّ مِـنْ ديـنارِ غـيري

---

(١) في نسخة: صاروا.

وقال

هــذا الـيهوديُّ الطبـيبُ الـذي ... لا طــوَّلَ اللهُ لـنا عمــرَهُ
قــدْ أخــذَ الـثأرَ لآبائــه ... يــا قومَـنا لا تهملــوا أمــرَهُ
تخـافُ عـينُ الـشمسِ مِـنْ كحلِه ... قائلــةً ربِّ اكفــني شــرَّهُ
والخـضرُ قـدْ كـادَ يخـافُ الردى ... مــنهُ وأن يـسكنَهُ قــبرَهُ
أيُّ مــريضٍ طــبَّهُ طمَّــهُ ... وأيُّ طــرْفٍ ذرَّهُ ضــرَّهُ

وقال

بايـعْ وتابـعْ وأطـعْ واصـغِ لهـمْ ... وخلِّهــم في حلِّهــمْ ونَقْــضِهِمْ
ودارِهِــمْ في دارِهِــمْ وحــيِّهم ... في حــيِّهم وأَرْضِــهم في أرضــهِمْ[(١)]

وقال

قلــتُ لـنحويٍّ إذا عُرِّضــا ... لــهُ بأوقــات[(٢)] الرضــى أعرضــا
يــا حـيثُ لـوْ أصبحَ بابُ الرضى ... كـيفَ لمـا كـنتُ[(٣)] كـأمسِ مضى

وقال

ســيِّدي حـبُّكَ فـرضٌ ... كـلُّ حـبٍّ مـنهُ بعـضُ
أنــتَ بــدرٌ في سمــاءٍ ... وخُدَيــدي لــكَ أرضُ

وقال يرثي العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية وتوفي مسجونًا بقلعة دمشق في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة[(٤)]

عــثا في عرضِــهِ قــومٌ سـلاطٌ ... لهــمْ مــنْ نثــرِ جوهــرِهِ الـتقاطُ
تقــيُّ الـدينِ أحمــدُ خــيرُ حَبْــرٍ ... خُــروقُ المعـضلاتِ[(٥)] بــهِ تُخــاطُ

---

(١) هذا من بديع الجناس لديه، وهو جناس تام بديع غير متكلف.

(٢) في نسخة: بإعراب.

(٣) في نسخة: صرت.

(٤) وهذه القصيدة من بدائع مرثياته وتدل على حسن اعتقاده ومحبته لأهل السنة والاتباع.

(٥) في نسخة: المفصلات، وهو خطأ.

توفي وهْوَ محبوسٌ فريدٌ ... وليسَ لهُ إلى الدنيا انبساطُ

ولو حضروهُ حينَ قضى لألفَوا ... ملائكةَ النعيمِ بهِ أحاطوا

قضى نحباً وليسَ لهُ قرينٌ ... ولا لنظيرِه لُفَّ القماطُ

فريداً في ندى كفٍّ وعلمٍ ... وحلُّ المشكلاتِ بهِ يُناطُ

وكانَ إلى التقى يدعو البرايا ... وينهى فرقةً فسقوا ولاطوا

وكانَ يخافُ إبليسٌ سطاهُ ... بوعظٍ للقلوبِ هوَ السياطُ

فيا للهِ ماذا ضمَّ لحدٌ ... ويا للهِ ما غطَّى البساطُ[1]

هُمْ حسدوهُ لما لم ينالوا ... مناقبَهُ فقد مكروا وشاطوا

وكانوا عن طرائقهِ كسالى ... ولكنْ في أذاهُ لهم نشاطُ

وحبسُ الدرِّ في الأصدافِ فخرٌ ... وعندَ الشيخِ بالسجنِ اغتباطُ

بآلِ الهاشميِّ لهُ اقتداءٌ ... فقد ذاقوا المنونَ ولْم يواطُوا

بنو تيميَّةٍ كانوا فباتوا[2] ... نجومَ العلمِ أدركها الهباطُ

ولكنْ يا ندامةَ حاسديهِ ... فشكُّ الشركِ كانَ بهِ يُماطُ

ويا فرحَ اليهودِ بما فعلتم ... فإنَّ الضدَّ يعجبُهُ الخباطُ

ألْم يكُ فيكمُ رجلٌ رشيدٌ ... يرى سجنَ الإمامِ فيُستشاطُ

إمامٌ لا ولايةَ كانَ يرجو ... ولا وقفٌ عليهِ ولا رباطُ

ولا جاراكمُ في كسبِ مالٍ ... ولم يُعْهَد لهُ بكمُ اختلاطُ

ففيمَ سجنتموهُ وغظْتموهُ ... أما لجزا أذيَّتهِ اشتراطُ

وسجنُ الشيخِ لا يرضاهُ مثلي ... ففيهِ لقدرِ مثلكمُ انحطاطُ

أما واللهِ لولا كتمُ سرّي ... وخوفُ الشرِّ لانحلَّ الرباطُ

---

(١) في نسخة: البلاط.

(٢) في نسخة: فبانو.

وكُنتُ أقولُ ما عندي ولكنْ بأهلِ العلمِ ما حَسُنَ اشتطاطُ
فما أحدٌ إلى الإنصافِ يدعو وكلٌّ في هواهُ لهُ انخراطُ
سيظهرُ قصدُكم يا حابسيهِ(1) ونيتُكُمْ إذا نُصِبَ الصّراطُ
فها هو ماتَ عندكمُ استرحتمْ فعاطوا ما أردتم أنْ تعاطوا
وحُلُّوا واعقدوا منْ غير ردٍّ عليكمْ وانطوى ذاكَ البساطُ

وقال

يقبِّلُ الأرضَ مشوقاً قائلاً ومستكنُّ الحبِّ منْهُ ظاهرُ
يا جيرةً حمى حماةَ استوطنوا طرفي إليكم حيثُ كنتمْ ناظرُ
أعجَزُ عنْ وصفي ضميري لكُم(2) إذْ لمْ يُجَزْ أَنَّ توصفَ الضمائرُ

وقال

غنّى لنا يومَ حرٌّ فماتَ برداً رفاقي
يا ليتنا في حجازٍ إذا شدا في عراقِ

وقال

لا تصحبنَّ أعوَرا وإنْ تناهى زينُهُ
لوْ كانَ فيهِ راحةٌ ما فارقتْهُ عينُهُ

---

(1) في نسخة: حاسديه.

(2) في نسخة: ثلاثة أبيات مختلفة الكلمات والقافية وهي:

يقبل الأرض مشتاق يحاول أن يزوركم وصروف الدهر تمنعه
له ابتسام لكون القلب عندكم لكن تسيل لبعد الجسم أدمعه
وكلما سمع المملوك أنكم في نعمة فهو يرضيه ويقنعه

وقال مضمنًا

إذا نظـرَ الـسحرُ[1] العـوالي بطـرفه ... تقـول كـأنَّ الـسيفَ للـرمحِ شاتمُ

عـزائمُ سـحرٍ في أولي العـزمِ طـرفُهُ ... علـى قـدْرِ أهـلِ العـزمِ تأتي العزائمُ

نقاسـي عظيماً في الهوى وهْو ضاحكٌ ... وتـصغُرُ في عـينِ العظـيمِ العظـائمُ

فَـسَلْ عَـنْ دمي فيهِ وعن فيضِ أدمعي ... لـتعلمَ أيَّ الـساقيين الغمـائمُ

لـئنْ شَـبَهَ العـشاقُ خدَّيْـهِ جـنَّةً ... فمـوجُ المـنايا حـولَهُ مـتلاطمُ

وقال

يقـولُ بـدرٌ طالـعٌ ... في لـيل شِـعرٍ حالـكِ

أنـا إمامـي مالـكٌ ... فقلـتُ أنـتَ مالكـي

وقال

يـا جامـعَ الحـسْنِ أمـا ... لـصدِّكَ الدهـرِ[2] أمـد

لي فـيكَ دمـعٌ مـا رقـا ... يـوماً وطـرفٌ مـا رقـدْ

جمالُـكَ[3] الزاهـي الـسنا ... حديـثُهُ العـالي الـسند

سـهماً إلى قلـبي رمـى ... طـرفُكَ لا ذاقَ رمَـدْ

ومَـنْ رأى شـعراً سـجا ... مـنكَ فللـهِ سـجدْ

خـدُّكَ بالمـاءِ اتقـى ... لـولاهُ بالـنارِ اتقـدْ

سـبحانَ ربٍّ قـدْ بـرى ... ثغـرَكَ أصـفى مِـن بَـرَدْ

مُـضْناكَ كـم قاسـى وجـى ... فـيكَ وكـمْ وجـدٍ وجـدْ

عـشقي قـديمٌ قـدْ طـرا ... علـيهِ مـا نومـي طـرَدْ

لـيسَ لأشـواقي مـدى ... ولا لـسلواني مـدَدْ

---

(١) في نسخة: السمر.

(٢) في نسخة: الوقف.

(٣) في نسخة: خيالك.

مِــــنْ طَـــرفه ســـيفاً نـــضا ... مِــــنْ ثغـــرِهِ داراً[1] نـــضَدْ

مـــا ذاقَ ذو وجـــد كمـــا ... قـــدْ ذقـــتُ فـــيهِ مِـــنْ كمـــدْ

يـــا عـــذّلي أنـــتمْ عـــدى ... وللملمّـــات عـــددْ

لأنـــني كـــلُّ الفـــنا ... ألقـــاهُ[2] مـــنْ بعـــضِ الفـــندْ

ونقـــضُ ميـــثاق خـــلا ... ومـــا بقـــيْ عـــندي خلـــدْ[3]

مَـــنْ فـــاقَ ظبـــياً ومهـــا ... أوضـــحَ عـــذري ومهـــدْ

تـــصبُّري عـــنهُ جـــلا ... ومـــا بقـــيْ عـــندي جلَـــدْ

يـــصغي لعـــذلِ مَـــنْ دعـــا[4] ... ومَـــنْ بـــسلوان وعـــدْ

بالـــصدقِ مـــنهُ[5] والـــولا ... أُنـــسيت أهلـــي والـــولدْ

نحلـــتُ مِـــنْ فـــرطِ الأســـى ... فـــيهِ ولـــوْ أنـــني الأســـدْ

وقال

قـــدْ مـــاتَ شـــيخي فاظهـــروا ... بحـــربِهِ أو[6] ســـلْمه

عيـــشوا بجهـــلٍ بعـــدَهُ ... هـــا[7] قـــد قـــضى بعلمِـــه

وقال

مـــا الأغنـــياءُ الأغبـــيا حجـــةٌ ... وإنْ هُـــم عـــنْ حبـــنا مالـــوا

نرضـــى بمـــا يقـــسمُهُ ربُّـــنا ... لـــنا علـــومٌ ولهـــم مـــالُ

---

(١) في نسخة: درا.

(٢) في نسخة: ألفاه.

(٣) في نسخة: جلد.

(٤) في نسخة: وعى.

(٥) في نسخة: فيه.

(٦) في نسخة: و.

(٧) في نسخة: فـ.

وقال مضمنا وسماها تحفة الأحباب من ملحة الإعراب[1]

يـا سـائلي عـن الكـلام المنـتظمْ ... ذاكَ كـلامُ مَـنْ هـويتُ لا عُـدمْ

فكـلُّ مـا يقـولُ فـيهِ العـذّل ... فإنَّـهُ منكَّـرٌ يـا رجـلُ

في صـدغهِ للحسْنِ آيـاتٌ تُخَـطّ ... وقـال قـومٌ إنهـا الـلامُ فقـطْ

رمّانُـهُ غـضٌّ فـلا يمـشي فـرطْ ... إذْ ألـفُ الوصـلِ مـتى يدرجْ سقطْ

بـسيفِ جفنـيه[2] قـتلتُ نفـسي ... فإنَّـهُ مـاضٍ بغـيرِ لـبْسِ

فيـنا غـزالٌ إنْ أبـيت مـا اعـتدى ... فأسـقطِ الحـرفَ الأخـيرَ أبـدا

قـلْ لمذكـرٍ لحـا خـلّ الفـندْ ... واسـعَ إلى الخـيراتِ لُقّـيتَ الرشـدْ

وإنْ يكـنْ عـذلُكَ مـنْ مـؤنثِ ... فقـلْ لهـا خـافي رجـالَ العـبثِ

يـا خـصرَهُ مِـنْ ردفِـهِ فـزْ بالمنحْ ... ولا تُـبَلْ أخـفَّ وزنـاً أمْ رجـحْ

قـوامُهُ أشـبهُ شـيءٍ بالألـفْ ... كمـثلِ مـا تكتـبُهُ لا يختـلفْ

لمـا شـكوتُ صـدَّهُ رثـى لي ... وأقـبلَ الغـلامُ كالغـزالِ

أسـنانُهُ كاللؤلـؤِ المفـتنِّ ... مـنَ المفاريـدِ لجـبرِ الـوهنِ

قـبلَ ازديـادِ لامِـهِ أكابـدُهْ ... ثمَّ أتـى بعـدَ التناهـي زائـدُهْ

مـا مـثلُهُ في الحـسنِ والـذكاءِ ... عـندَ جمـيعِ العـربِ العـرباءِ

اعجـبْ لـنونِ حاجبـيهِ تنـصرُ ... والـنونُ في كـلِّ مـثنى تكـسرُ

إذا رأيـتَ وجهـهُ فكبِّـرا ... معظمـاً لقـدرِهِ مكبِّـرا

خـوَّفَ فـيه بـالأميرِ العـاذلُ ... والـصلحُ خـيرٌ والأمـيرُ عـادلُ

سـؤالُهُ عـني حـياةٌ تـسعفُ ... ومـثلُهُ كـيفَ المـريضُ المدنـفُ

الخـدُّ والقـوامُ مـنهُ فاعـلُ ... نحـو جـرى المـاءُ وجـارَ العامـلُ

واقـضِ قـضاءً لا يُـردُّ قائلُـهُ ... بـأنَّ مـنْ يهـوى فـتى يواصـلُهْ

---

(١) هذه المنظومة كلها تورية بمصطلحات علمي النحو والصرف.

(٢) في نسخة: جفنه.

أفعالُـــهُ تكـــسرني ذا عجـــبُ ... وكـــلُّ فعـــلٍ مـــتعدٌ ينـــصبُ

يـــا مـــنْ رأى منـــهُ جبينـــاً واضـحًا ... تقـــولُ[1] قـــدْ خلـــتُ الهــلالَ لائحا

فغـــضَّ مِـــنْ طـــرفِكَ وانـــجُ رابحـــاً ... وقـــدْ وجـــدتُ المستـــشارَ ناصـــحاً

ابـــدأ بذكـــرِ حاجـــبينِ حُـــسِّنا ... وإنْ ذكـــرتَ فـــاعلاً مـــنونا

فالطـــرفُ ســـيفٌ قتْلَـــنا تـــضمَّنا ... فهْـــوَ كمـــا لـــو كـــانَ فعـــلاً بيِّـــنا

كـــنْ فـــيهِ بالعفـــافِ مـــرفوعَ الرتبْ ... واضربْ أشدَّ الضربِ مَنْ يغشى الريبْ

فعـــاذري ســـقياً لـــهُ ورعـــياً ... وعـــاذلي جـــدعاً لـــهُ وكـــيّا

أوهمـــتُهُ برشْـــفِ ريـــقِ الثغـــرِ ... وغـــصتُ في البحـــرِ ابـــتغاءَ الـــدرِّ

وإنْ أقمـــتَ الـــواوَ في الكـــلامِ ... مِـــنْ صـــدغهِ نابـــتْ منـــابَ الـــلاّمِ

في قـــدِّه مـــا هـــوَ في الأغـــصانِ ... علـــى اخـــتلافِ الوضـــعِ والمـــباني

إذا لمـــستَ خـــدَّهُ[3] والـــنهدا ... تقـــولُ عـــندي مَـــنَوانِ زُبـــدا

إنْ تـــرهُ بـــينَ ذويـــهِ في الحمـــى ... فانـــصبْ وقلْ كمْ كوكباً تحوي السما

أصـــبحتُ مـــنهُ في ارتقـــابِ الوصـــلِ ... والـــزرعِ تلقـــاءَ الحـــيا المـــنهلِّ

مـــا للـــصبا يـــا جـــسمَ ذياكَ الصبي ... وقـــيمةُ الفـــضَّةِ دونَ الـــذهبِ

مَـــنْ تلقَـــهُ إلى ســـواهُ صـــابي ... فأوِّلْـــهُ الإبـــدالَ في الإعـــرابِ

قلـــبُ الـــذي يحـــبُّ لـــيسَ يـــبغضُ ... وإنْ بـــدا بيـــنها معتـــرضُ

إذا رأيـــتَ عـــنقَهُ الطـــويلا ... وشـــعرَهُ مِـــنْ فـــوقهِ محلـــولا[2]

تقـــولُ مـــا أنقـــى بـــياضَ العـــاجِ ... ومـــا أشـــدَّ ظلمـــةَ الدّياجـــي

بطـــرفهِ في العاشـــقينَ سُـــلِّطا ... ومـــا أحـــدَّ ســـيفه حـــينَ ســـطا

حاشـــاهُ مِـــنْ عـــيبٍ ومِـــنْ نقصانِ ... أو عاهـــةٍ تحـــدثُ في الأبـــدانِ

---

(١) في نسخة: يقول.

(٢) في نسخة: مسبولا.

(٣) في نسخة: نهده.

لا تطلبوا لحسنه مضاهي[٢] اللّه اللّه عباد اللّه

ليس قفاء عاذلي العسوف إلا مع المجرور والظروف

يا قائلاً كان مليحاً وانفصلْ كان وما انفكّ الفتى ولم يزلْ

أبدتْ لهمْ وجنتُهُ ضراما كما[١] تَلَوا يا حسرةً على ما

عذارُهُ الرقيمُ كهفُ لثمه فلا تغيّرْ ما بقي عن رسمه

تقولُ فيه خضرةٌ يسيرةْ كما تقولُ نارُهُ منيرَهْ

دينارُ وجههِ به شحِحتُ وكمْ دُنَيْنيرٍ به سمحتُ

إني إلى العفافِ منهُ[٤] شيّق وكلُّ لهوٍ دنيويٌّ موبقُ

إنْ يبتسمْ لي ضوّأ[٥] الحجونا وأقبلَ الحجاجُ أجمعونا

يا ليتهُ يعطفُ بالوصالِ والعطفُ قدْ يدخلُ في الأفعالِ

لا ما حلا لي في هواهُ العذّلُ لشبههِ الفعلَ الذي يستثقلُ

قلبي وعيني عن سناهُ لا يردْ إذْ ما رأى صرفَهما قطُّ أحدْ

ألفاظهُ عقودُ درٍّ منتقدْ وإن نطقتَ بالعقودِ في العددْ

يا صاحِ لا تدمِ الفؤادَ بالدما وعاصِ أسبابَ الهوى لتسلَما

ولا تمارِ عاشقاً فتتعبا وما عليكَ عتبُهُ[٣] فتُعتَبا

ولا تزدني بالملامِ ضررا ولا تحاضرْ وتسيءَ المحضرا

إنْ قلتَ رشفُ ريقهِ ما حُلّلا تقلْ بلا علمٍ ولا تحسُ الطلا

أقسمتُ لا ألومُ في العشقِ أحدْ ومنْ يودَّ فليواصلْ مَنْ يوَدْ

خذْ أدواتِ الحسنِ عنهُ منصتا واحفظْ جميعَ الأدواتِ يا فتى

---

(١) في نسخة: حتى.

(٢) في نسخة: مباهي.

(٣) في نسخة: غيه.

(٤) في نسخة: إليه بالعفاف.

(٥) تبسم لي ثم فعل غير.

عيـــناهُ أفـــنتْ أكثـــرَ العـــشاقِ ... وهكـــذا تـــصنعُ في البواقـــي

في ثغـــرِهِ جواهـــرٌ غـــوالي ... جلـــوتُها مـــنظومةَ الـــلآلي

قلـــبي الـــذي يـــسكنُ للتنائـــي ... كـــأمسِ في الكـــسرِ والبـــناءِ[1]

بلـــبالُهُ مخلّـــدٌ في بـــالي ... فمـــا لـــهُ مغيِّـــرٌ بحـــالِ

صـــوتُهُ كالـــبدرِ فـــوقَ الغـــصنِ ... فانظـــرْ إلـــيها نظـــرَ المستحـــسنِ

وخـــلِّ عـــني يـــا عـــذولُ العـــذلا ... وإنْ تجـــدْ عيـــباً فـــسدَّ الخلـــلا

فقـــد[3] رثـــى لي وألانَ القـــولا ... والحمـــدُ للهِ علـــى مـــا أولى

فـــديتُ لـــونَ خـــدِّهِ مـــن خـــدٍّ ... كـــان حريـــرياً فـــصارَ وردي[2]

وقال نظمًا وإذا عكس كلمة كلمة فهو نثر من أوله إلى آخره

ســـعده دائـــم مقـــيم ... ضـــده مكمـــد ســـقيم

مـــثله لـــيس للـــورى ... فـــضله كامـــل عمـــيم

للمهمـــات مرتجـــى ... للعطـــيات مـــستديم

حفظـــه الـــدين شـــامل ... لفظـــه رق كالنـــسيم

حقـــه الآن واجـــب ... خلقـــه بينـــنا عظـــيم

باســـم عـــاذر رضـــى ... راحـــم محـــسن علـــيم

حكمـــه الحـــق ظاهـــر ... حلمـــه وافـــر رحـــيم

علمـــه طـــم بحـــره ... فهمـــه جـــيد قـــويم

عـــبده مخلـــصًا دعـــا ... رفـــده عـــندنا قـــديم

للمحـــبين محـــسن ... للمـــوالين مـــستقيم

---

(١) في نسخة: وفي البناء.

(٢) هذا البيت غير موجود في بعض النسخ.

(٣) في نسخة: حُبي.

وقال

إنْ يطـــشْ بعـــضُ كلامــــي إنّ فــــضلي لا يطـــيشُ
ربَّ طـــيشٍ كـــانَ قـــصداً وبـــه الـــشخصُ[1] يعـــيشُ
لا يـــتمُّ الـــسهمُ إلاّ ولـــهُ نـــصلٌ وريـــشُ

وقال

أنكـــرتْ شـــيبي فـــصدتْ ونـــأتْ قلـــتُ إنَّ المـــالَ للـــشيبِ دوا
قالـــتِ اســـكتْ إنمـــا الـــشيبُ عمى فبـــياضُ العـــينِ والـــشيبُ[2] ســـوا

وقال

سَـــلِ اللّـــهَ ربَّـــكَ مـــنْ فـــضلِه إذا عرضَـــتْ حاجـــةٌ مقلقـــهْ
ولا تـــسألِ التـــركَ في حاجـــةٍ فأعيـــنهمْ أعـــينٌ ضـــيِّقهْ

وقال

فـــلانُ فـــظٌّ غلـــيظٌ إلـــيكَ عـــنهُ إلـــيكا
لـــئنْ قـــضيتَ علـــيهِ ليقـــضيَنَّ علـــيكا

وقال

...[3]خطُّـــهُ ضـــعيفٌ لكـــنَّ مقـــدارَهُ مـــبجَّلْ
كالـــشمسِ مـــا حـــطَّ مِـــنْ عُلاهـــا قميـــصُها الـــواهِنُ المهلـــهلْ

وقال

لا تحرصـــنَّ علـــى فـــضلٍ ولا أدبٍ فقـــدْ يـــضرُّ الفـــتى علـــمٌ وتحقـــيقُ
ولا تعـــدَّ مـــنَ العقّـــالِ بيـــنهمُ فـــإنَّ كـــلَّ قلـــيلِ العقـــلِ مـــرزوقُ
والحـــظُّ أنفـــعُ مـــنْ حـــظٍّ[4] تزوقُهُ فمـــا يفـــيدُ قلـــيلَ الحـــظِّ تـــزويقُ

---

(١) في نسخة: المرء.

(٢) في نسخة: الشعر والعين.

(٣) في نسخة: كتابنا.

(٤) في نسخة: خط.

والعلمُ يحسبُ منْ رزقِ الفتى ولهُ ... بكلِّ متَّسعٍ في الفضلِ تضييقُ
أهلُ الفضائلِ والآدابِ قدْ كسدوا ... والجاهلونَ فقدْ قامتْ لهمْ سوقُ
والناسُ أعداءُ مَنْ سارتْ فضائلُهُ ... فإنْ[1] تعمَّقَ قالوا عنهُ زنديقُ

وقال

أنتَ ظبيٌ أنتَ مسكي ... أنتَ دريّ أنتَ غصني
في التفاتٍ وثناء ... وثنايا وتثني

وقال

الشيبُ سوطُ عذاب ... هامَ النساءُ بقذفهْ
يكفي مشيبيَ عيباً ... أني رضيتُ بنتفهْ

وقال

مَنْ كانَ مردوداً بعيبٍ فقدْ ... ردتنيَ الغيدُ بعيبين[2]
الرأسُ واللحيةُ شابا معاً ... عاقبني الدهر بشيبين

وقال مقتبسًا من الحديث

يا شاكياً من حزنهِ ... وباكياً منْ كربهِ
لا راحةٌ لمؤمنٍ ... دونَ لقاءِ ربِّهِ

وسمع هذين البيتين

أكثرُ وطءِ الناسِ مِنْ شُبْهة ... أو مِنْ زنا والحلُّ فيهم قليلْ
فابنُ حلالٍ نادرٌ نادرٌ ... والنادرُ النادرُ كالمستحيلْ

فقال

ألا قلْ لسيدنا الشاعرِ ... ولا تخشَ منْ طبعهِ النافرِ
أمن شبهةٍ أنتَ أم من زنا ... فما أنتَ بالنادر النادرِ

---

(١) في نسخة: وإن.

(٢) في نسخة: بشيئين.

وقال

لا تفـــــــــرحوا بحقـــــــير ... يـــــصيرُ فـــــيكم مهيـــــبا
فــــــالفحمُ يبقــــــى زمانـــــا ... والجمـــــــرُ يفـــــنى قـــــريبا

وقال

أشـــكو إلى اللّـــهِ زمـــاني الـــذي ... صــرتُ إلـــيهِ وتحيَّـــرتُ فـــيهْ
أيُّ امـــرئٍ جـــربتُ أهلـــه[1] ... يظهـــرُ مـــنهُ كـــلُّ أمـــرٍ كـــريهْ
كـــم حاســـدٍ كـــم مـــاردٍ كم عِدى ... كـــم عائـــبٍ كـــم مبغضٍ كم سفيهْ
فلـــيفعلِ الحاســـدُ في دهـــرِهِ ... مـــا شـــاءَ لا بـــدَّ وأنْ يلتقـــيهْ
مـــا بـــينَ أعدائـــي وبـــيني ســـوى ... أنَّ هـــم جهـــلاً وأني فقـــيهْ

وقال تورية

أتظـــنني أنـــسى لـــذاذاتِ الـــصِّبا ... لا أمَّ لي إنْ كـــــــانَ ذاكَ ولا أبُ
إنْ كـــانَ عمـــري مـــا تقـــضَّى كله ... فقـــدِ انقـــضى مـــنهُ الكـــثيرُ الطيبُ

وقال في الباب وبزاعا

إنَّ وادي الـــبابِ قـــدْ أذْكـــرني ... جـــنَّةَ المـــأوى فللـــهِ العجـــبْ
فـــيه دوحٌ تحجـــبُ الـــشمسَ إذا ... مـــالَ قـــالَ للـــصَبا جـــزْ بـــأدبْ
فهْـــي تغـــوي[3] عـــذبَ الـــبانِ أمـــا ... تعـــذبُ الغـــيَّ كمـــا تغوي[2] العذبْ
طيرُهـــــا[4] معـــــربةٌ في لحـــــنها ... تطـــربُ الحـــيَّ كمـــا تحيـــي الطربْ
مـــــرجُهُ مبتـــــسمٌ ممـــــا بَكَـــــتْ ... سُـــحُبٌ في ذيلـــها الطـــيبُ انسحبْ
فـــيه روضـــاتٌ أنـــا صـــبٌّ بهـــا ... مـــثلما أصـــبحَ فـــيها المـــاءُ صـــبْ
نهـــرُهُ إنْ قابـــلَ الـــشمسَ تـــرى ... فـــضةً بيـــضاءَ في نهـــرِ ذهـــبْ

---

(١) في نسخة: من أهله.

(٢) في نسخة: تغري.

(٣) في نسخة: تغري.

(٤) في نسخة: طيرها.

وقال

لمـــا رأى الزهـــرُ الـــشقيقَ انـــثنى منهـــزماً لم يـــستطعْ لمحـــهُ
قلـــنا علـــى رســـلِكَ قـــال اســـكتوا جـــاءَ شـــقيقٌ عارضـــاً رمحَـــهُ

وقال

لمـــا شَـــتَتْ عـــيني و لمْ تـــرفقْ لـــتوديعِ الفـــتى
أدنيـــتُها مِـــنْ خـــدِّهِ والـــنارُ فاكهـــةُ الـــشتا

وقال

خـــشيتُ علـــى حبـــيبِ القلـــبِ لما أتـــى حمامَـــهُ ونـــضى الثـــيابا
فـــشمسٌ وجهُـــهُ والجـــسمُ زبـــدٌ إذا طلعَـــتْ علـــيهِ الـــشمسُ ذابـــا

وقال

مـــنْ يـــبعْ ذاتَ جمـــالٍ كـــانَ لا يـــصبرُ عـــنها
فـــدواءُ الـــصبِّ عـــندي مُـــشترى أحـــسنَ مـــنها

وقال

إن انقطعـــنا فالعـــتابُ[1] الثقـــيلْ وإنْ حـــضرنا فالحجـــابُ الطـــويلْ
وإنْ دخلـــنا فالـــودادُ القلـــيلْ واللهِ قَـــدْ حِـــرنا فـــصبرٌ جمـــيلْ

وقال

منعـــشةً للكلـــفِ الهالـــكِ ضـــممتُها عـــند اللقـــا ضـــمةً
هـــذا الـــشذا قلـــتُ بأذيالـــكِ قالـــتْ تمـــسكتَ وإلا فمـــا

وقال

يـــا معـــشرَ الأصـــحابِ إني امـــرؤٌ تـــسرُّني[2] رفعـــةُ أصـــحابي
لا بـــدَّ لي مِـــنْ حاجـــةٍ فلـــتكنْ إلى صـــديقٍ فَهْـــوَ أَوْلَـــى بي

---

(١) في نسخة: فالعذاب.

(٢) في نسخة: يسرني.

وقال

شكا من الخط ضعفاً ... وذاك منه دلالُ
قلت اشتغل بمثالٍ ... فقال مالي مثالُ

وقال

مَنْ قالَ بالمردِ فإني امرؤٌ ... ما لي إلى المردانِ منْ شَوْفِ[1]
مَنْ كانَ فيهمْ بالخنا ناظراً ... أو عاملاً فالمرءُ مُستَوْفِ[2]

وقال

أحلَّ الضيوفَ على سطحه ... وفرَّجهم في نجومِ السما
وقطَّعَ بالجوعِ أكبادَهم ... وإنْ يستغيثوا يغاثوا بما

وقال

وأغيد يسألني ... ما المبتدا والخبرُ
مثِّلْهما لي مسرعاً ... فقلتُ أنتَ القمرُ

وقال

يا دارُ كمْ حلَّكِ أقمارُ ... فأينَ سكانُكِ يا دارُ
أهلُكِ إنْ حلّوا وإنْ ساروا ... همْ جنَّةُ الفردوسُ والنارُ
فرَّقَنا الدهرُ وقدْ كانَ لي ... في الدارِ أوطانٌ وأوطارُ
فمدمعي مِنْ حينِ فارقتُهُمْ ... جاري وقلبي لهمُ جارُ

وقال لما سجن القاضي جمال الدين يوسف بن جملة بقلعة دمشق

دمشقُ لا زالَ رَبْعُها خَضِراً ... بِعَدْلِها اليومَ يُضربُ المثلُ
فضامنُ المكسِ مطلقٌ فرحٌ ... فيها وقاضي القضاةِ معتقلُ

---

(١) في نسخة: إلى النساميلي ذوات الجمال.

(٢) في نسخة: البيت هكذا:

ما في سويدائي إلا النسا ... ما حيلتي ما في السويدا رجال

وقال

مربعٌ يخلو ودمعٌ يكفُ ... وجوى يحلو وقلبٌ يرجفُ

وغرامٌ كلما قلتُ انقضى ... حكمُهُ زادَ الأسى والأسفُ

وصباباتٌ مضافاتٌ إلى ... حرِّ قلبي وَهْيَ لا تنصرفُ

يا حداةَ العيسِ هذا منزلٌ ... حُقَّ لي أني عليهِ أقِفُ

كم بدا لي فيهِ بدرٌ طالعٌ ... وتثنى فيهِ غصنٌ أهيفُ

فيه كأسُ الوصلِ كنا نرشف ... وثمارُ القربِ كنَّا نقطفُ

مرَّ لي فيه زمانٌ آهلاً(1) ... ثم أضحى وَهْوَ قاعٌ صفصفُ

هلْ خليلٌ بالبكا لي مُسعدٌ ... هلْ صديقٌ يُرتجى أو يؤلَفُ

أفٌّ منْ دهرٍ إذا استفهمتهُ ... عنْ وفيٍّ قالَ هذا جنفُ

ظهرَ الغدر وقلَّ المنصفُ(2) ... ونما الجهلُ وسادَ المقرفُ

واقتدى بالبحرِ دهري إذْ بهِ ... يرسبُ الدرُّ وتطفو الجيَفُ

كمْ قد استؤمِنَ فيه خائنٌ ... ورقى مَنْ أصلُهُ لا يُعرفُ

زاد مقتي لزمانٍ لم يسدْ ... فيهِ إلا سفْلَةٌ أو طرفُ

أنا قَدْ سبَّلتُ عرضي لهم ... فلهم أنْ يمدحوا أو يقذفوا

أيُّها الحاسدُ لولا أنني ... رجلٌ منْ دونِ حدي أقفُ

كنتُ أضنيكَ فخاراً وعُلى ... فأنا الدرُّ وأنتَ الصدفُ

وليَ الفقهُ الذي فقتُ بهِ ... ووجوهُ النحوِ نحوي تُصرفُ

وليَ النظمُ الذي سارتْ إلى ... سائرِ الأقطارِ منهُ التحفُ

ولي النثرُ الذي سجْعاتُهُ ... تسكرُ الأسماعَ فَهْيَ القرقفُ

وإلى الأبكارِ ذهني سابقٌ ... وقوى الأفكارِ عندي تضعفُ

---

(١) في نسخة: أهلا.

(٢) في نسخة: النصف.

وإمـــامُ الأدبـــيّاتِ وإنْ أنكـرَ الحـقَّ فلـي يعتـرفُ

كـم وكـم شمـس جـدالٍ طلعَـتْ في سمـاءِ الـبحثِ بي تنكـسفُ
فطـرةٌ تيمـيةٌ بكـريةٌ وعلـى الأسـلافِ يـبني الخلـفُ
رُبَّ عـينٍ تـتمنى رؤيـتي وزكـيٌّ بحـياتي يحلـفُ
أنـا في حلـقِ حـسودي غـصةٌ وبـه مـني أذى لا يوصَـفُ
أسـفي واللهِ مـن قـولي أنـا كلْمـةٌ ذو العقـلِ مـنها يأنـفُ
لكـنِ الحاسـدُ قـدْ كلفـني ذكـرَ شـيءٍ تـركُهُ لي أشـرفُ

وقال

نحـنُ قـومٌ مـا وليـنا بالرِّشـا مـثلَ فعالـكْ
بـل بعلـمٍ واجـتهادٍ وبمـا أشـبهَ ذلـكْ

وقال

أضـحتْ مرامـي طـرفُ هندَ مرامي ترمـي سـهاماً ليـتهنَّ سـهامي
لـو تنظـرُ الحـنفاءُ حـينَ بدتْ لهم لظنـنـتَهُمْ عكفـوا علـى الأصـنامِ
فـبقدِّها وبخـدِّها وبثغـرِها غـصنٌ وتفـاحٌ وحـبٌّ غمـامِ
لمـا تـبدَّتْ بـين تـربيها ومـنْ سـحبِ الـبراقعِ لاحَ بـدرُ تمـامِ
ناديْـتُ يـا قلـبي ويـا عقلـي معاً أنـا قـدْ وقعـتُ ففارقـا بـسلامِ

وقال

بيَ مَـنْ لـوْ قـالَ لي مبـسمُهُ ادنُ والـثمْ غـرتُ أنْ ألـثمَهُ
غـابَ عـن عـيني نهـاراً كـاملاً ليـتني أعلـمُ مَـنْ علَّمَـهُ

وقال

رأيـتُ مملـوكَهُ المقـرطقَ في خدمـتِهِ قائمـاً فقلـتُ لِمَـا
قـالَ لحمـلِ الـدواةِ قلـتُ لـه مـا ذاكَ إلا لـيحملَ القلمـا

وقال

أيهـا المـولى الأجـلُّ   لـكَ في قلـبي محـلُّ
حلّلـوا عـنكَ سـلوِّي   وَهْـوَ عـندي لا يحـلُّ
كـيف أسـلو عـنك قـل لي   عـنك قـل لي كـيف أسـلو
لـك نمـل فـوق خـدٍّ   فـوق خـدٍّ لـك نمـلُ
لـيس يخلـو مـنكَ قلـبٌ   مـنكَ قلـبٌ لـيس يخلـو
أنـت كـلٌّ لـستَ بعـضاً   لـستَ بعـضاً أنـتَ كـلُّ
أصـبحَ الـردفُ غنـيًّاً   مـنكَ والخـضرُ مقـلُّ
يـا علـيًّاً يـتوالى   فـيه دمعـي المـستهِلُّ

وقال

أخـذْتَ عـني بـديلاً   وذا دلـيلٌ بأنـكْ
تمـرُّ بي لـستَ تلـوي   علـيَّ حـتى كأنـكْ
فلـستَ تُحـسنُ هجـري   ولـستُ أهجـرُ حـسنَكْ
ولـيسَ يـوزَنُ وجـدي   ولـيسَ يـوجد وزنـكْ

وقال

إذا مـا شـئتَ أن تحـيا   سـعيداً سـالماً راضـي
تـصبَّرْ واحـتملْ واقـنعْ   ولا تأسـفْ علـى مـاضِ

وقال

أرى أناسـاً حرصـوا   حـتى أزالـوا زَيْـنَهُمْ(١)
كـأَنهُمْ لم يقـرأوا   نحـنُ قـسمنا بيـنهمْ

وقال

أيـا عَلْـوُ دمـعُ العينِ يغني عن الورد   وبحـرُ غرامـي مالَـهُ فـيكَ مِنْ حدِّ
ليهـنكِ بلـبالي علـيكِ ورقـتي   إلـيكِ كمـا قلـبي لديكِ على البعدِ

---

(١) في نسخة: شينهم.

وإني مقـــيمٌ لا أغيِّـــرُ مَــوْثقاً   وإنْ أنــت غيَّــرْت المواثــق[1] مِنْ بعدِ

وإنــكِ حــزت الحــسنَ وحدكِ كلَّه   وإني حــزتُ الحــزنَ أجمَعَــهُ وحدي

إذا لامــني العُــذَّالُ أخفيتُ[2] مدمعي   وأبــديْتُ صــبراً لَمْ يكنْ بعضُهُ عندي

أمــوِّهُ عــنها مــا اســتطعتُ بغيرها   وأطــرقُ حيــناً لا أعــيدُ ولا أُبــدي

فلــي ظاهــرُ الخــالي السليمِ من الهوى   ولي بــاطنُ العــاني الحزينِ وذي الفقدِ

أرى الــسائلَ المحــرومَ من فيضِ أدمعي   وذاكَ الــدمَ المــسفوحَ يــا ليتهُ يُجدي

أغــارُ علــى أهــلِ الغويــرِ لأجلــها   وأحجــمُ عــن سلعٍ ووصفِ ربى نجدِ

وأنفــرُ عــن علــمِ الكــلامِ لتغــرها   لــئلا أورِّي عــنهُ بالجوهــرِ الفــردِ

وأحمــي الحمــى عنْ ذكرِهِ معْ صبابتي   وأعْــرِضُ معْ شوقي عن الشيحِ والرندِ

ولم أســتطعْ حمــلَ النــسيمِ رســالتي   مخافــةَ رجعــاه بــرائحة الــندِ

أخــافُ علــيها مــن عــشيرتها التي   بهــا كــلُ صنديدٍ يرى الموتَ كالشهدِ

أيــا عَلْــوُ لي ودٌّ كــوجهِكِ في السنا   ولكــنَّ حظــي مــثلُ فاحمِــكِ الجعْدِ

ســألتكِ مهمــا رمــت إهــداءَ طرفةٍ   إليَّ فغــيرَ الطــيفِ بــاللهِ لا تُهــدي

وكــيف يــزورُ الطيفُ مَنْ هوَ ساهرٌ   رقــيقُ الحواشــي يتــبعُ الوجدَ بالوجدِ

سلي الــنجمَ عن حالي يُخَبِّرْك لوعتي   ومــا أنــا فــيه مِــنْ بكاءٍ ومنْ سهدِ

لــئنْ جــرتِ يــا علوى وقدُّكِ عادلٌ   فواعجــبا للجائــرِ العــادلِ القــدِّ

فــلا تخلفــيني مــا وعــدتِ فــإنني   أرى أن خُلْــفَ الوعدِ من خلقِ الوغدِ

أهــمُّ ولي بعــد علــى بسطِ ما جرى   ولم رمــتِ تعــذيبي ومــا سببُ الصدِّ

فأضــمرُ ســلواناً فيحــضرُكِ الهــوى   مُــصَوَّرَةً لي يــا نُويْقــضَةَ العهــدِ

فيــشفعُ فــيكِ الحــسنُ والحسنُ شافعٌ   فأغــضي حــياءً أنْ يــواجهَ بالــردِّ

ولــيسَ حــياءُ الوجهِ في الذئبِ شيمةً   ولكــنها مِــنْ شــيمةِ الأســدِ الوردِ

---

(١) في نسخة: المواثيق.

(٢) في نسخة: خففت.



وقال

يـا مَـنْ تلـوَّنَ في الـودادَ وقاسـني ... ظلمـاً علـيه تَعَنُّـتاً وتَعَتُّـبا

إنْ كـنتُ أنـسى مَنْ صحبتْ وإنْ أبى ... الـودادَ فلـستُ أعـرفُ لي أبـا

وقال واصفا دير بيرة دادخين من عمل المعرة

في ديـرِ بـيرةِ دادخـينِ حُـورٌ ... في السباعِ عـنْ سلوانِهنَّ قـصورُ

فـإذا تمـثَّلَهُ الـضميرُ رأيـتهُ ... وعلـيهِ أغـصانُ الـشبابِ تمـورُ

ولطالمـا رتعـتْ بـهِ الظَّبْـياتُ في ... أُنـسٍ فلـيسَ يـشنهنَّ نفـورُ

كـم راغـبٍ في الـراهباتِ لأنهـا ... بـيضٌ مزنَّـرةُ الخـصورِ بكـورُ

المـائلاتُ كـأنهنَّ ذوابـلٌ ... المـشرقاتُ كـأنهنَّ بـدورُ

حـورٌ يـصرْنَ إلى جهـنمَ في غـدٍ ... عجـبي لهـنَّ أفي جهـنَّمَ حـورُ

عايـنْتُ في شـرفاتِهِ نـوراً وَمِـنْ ... عجـبٍ بـناءُ الكفـرِ كـيفَ يـنيرُ

مـا ذاكَ نـورٌ بـلْ بقـيةُ حسنِ مَنْ ... قـدْ كـانَ يـسكنُ فـيهِ منذُ دهور

أرجـاؤهُ محـبوبةٌ وسـفوحُهُ ... مطلـوبةٌ وبهـاؤهُ موفـورُ[1]

للهِ كـم مـرَّتْ لـساكنهِ بـهِ ... مِـنْ لـيلةٍ مـا شـانَها[2] تكديـرُ

أيـامَ أغـصانُ الـزمانِ وريقـةٌ ... والعـيشُ غـضٌّ والـشبابُ نـضيرُ[3]

والحادثـاتُ غـوافلٌ عـنْ أهلِـهِ ... والجفـنُ عمـا لا يحـبُّ قريـرُ

والغـصنُ يـرقصُ والحمـامُ صوادحٌ ... والـريحُ فـيها عنـبرٌ وعـبيرُ

هـضباتُهُ منـصوبةٌ مـرفوعةٌ ... حـسناً وذيـلُ نـسيمهِ مجـرورُ

ومـروجُهُ الخـضرُ الـضواحكُ تنثني ... فـيها الغـصونُ وتـستلذُّ دهـورُ

(١) في نسخة: موتور.

(٢) في نسخة: شانها.

(٣) في نسخة: غرير.

ولـــنغمة الـــناقوسِ فـــيه غُـــنَّةٌ[٤] وعلـــيه مـــن دون الهمـــومِ ســـتورُ
طـــوراً تـــضجُّ بـــه القـــسوسُ وتارةً تُجلـــى المـــدامُ مـــزاجُها كافـــورُ
يـــا ديـــرُ كمْ دارتْ بـــسفحكَ راحـــةٌ بالـــراحِ بـــلْ كـــمْ حـــلَّ فيك سرورُ
حـــتى لقـــدْ كـــادتْ صـــخورُكَ بالهنا يرقـــصْنَ لـــولا أنهـــنَّ صـــخورُ
يـــا ديـــرُ أيـــنَ ظباؤُكَ البيضُ الألى[٥] بلحـــاظهنَّ فـــتونُها وفـــتورُ
يـــا ديـــرُ كَـــمْ رتعت بربعِك كاعبٌ تـــسبي الحكـــيمَ[١] وحـــسنُها منظورُ
رومـــيةُ الألفـــاظِ هاروتـــيةُ ال ألحـــاظِ عقـــلُ مُحـــبِّها مـــسحورُ
يـــا ديـــرُ كـــمْ راهـــبٍ لـــكَ ماهرٌ بـــتلاوةِ الإنجـــيلِ كـــانَ يـــدورُ
يـــا ديـــرُ إنْ تـــصمتْ فإنَّـــكَ ناطقٌ إنَّ الـــنواعمَ ضـــمهنَّ قـــبورُ
وتـــبدَّلت تلـــكَ المحاســـنُ وانثـــنتْ تلـــك القـــدورُ[٢] وخُـــرِّبَ المعمـــورُ
فغـــدوتَ تـــندبُ بعـــدَ أهلِـــكَ باكياً بلـــسانِ حـــالٍ طـــيُّهُ منـــشورُ
وإذا رأتْـــكَ العـــينُ تبكـــي رحمـــةً لخلـــوِّ ربعـــكَ والـــبكاءُ يَـــسيرُ
إنَّ التفكُّـــرَ في المعاهـــدِ نافـــعٌ بـــلْ عاصـــمٌ والغافلـــونَ كـــثيرُ
قـــسماً بفَـــرَقِ محمـــدٍ وجبيـــنهِ فَهُمـــا[٣] الـــضياءُ حقـــيقةً والـــنورُ
لقـــد اتعظـــتُ بـــذا ولكـــني امـــرؤٌ عـــاصٍ علـــى كسبِ الذنوبِ جسورُ
مَـــنْ ذُخـــرُهُ في الحـــشرِ مـــثلُ محمدٍ لا يحـــزَنَنَّ فذنـــبُهُ مغفـــورُ
فأعـــيذُ[٦] أمّـــتَهَ بـــربِّ محمـــدٍ أنْ يحـــزنوا ومحمـــدٌ مـــسرورُ

---

(١) في نسخة: الخَلِيَّ.

(٢) في نسخة: القدود.

(٣) في نسخة: فهم.

(٤) في نسخة: رنة.

(٥) في نسخة: الأولى.

(٦) في نسخة: فأعيد.

وقال

ضُـــرَّةٌ للـــشمسِ والـــبدرِ فَلَـــوْ ... أدركَـــتْها ضُـــرتاها ضَـــرتاها

بـــكَ يـــا عاشـــقُ مـــنها تهمـــةٌ ... لـــو أباحـــتْ لـــكَ فاهـــا لكفاهـــا

وســـويداؤكَ فـــيها غلـــةٌ ... لـــو تـــدانَتْ شـــفتاها شـــفتاها

غُـــضَّ مِـــنْ طـــرفِكَ إنْ قابلْـــتَها ... كـــلُّ نفـــسٍ مقلـــتاها مقـــتلاها

لـــيس يـــدري الأمـــنَ مَـــنْ لم يـــرها ... ودرى[1] مَـــنْ قَـــدْ رآهـــا قَـــدْ رآها

وقال

يحـــتاجُ مَـــنْ يطلـــبُ طـــولَ الـــبقا ... بـــأن يـــرى هـــذا وأشـــباهَهْ

فنـــسألُ الـــرحمنَ ســـبحانه ... يخـــرجُنا مـــنها بـــلا عاهَـــهْ

وقال وسماه إيهام التوكيد

تعـــشقتُ أحـــوى لي إلـــيهِ وســـائلُ ... وإصـــلاحُ أحـــوالي لديـــهِ لديـــه

أمـــرُّ بـــهِ مـــستعطفاً مـــتلطِّفاً ... فيـــثقلُ تـــسليمي علـــيهِ علـــيه

فـــلا كـــانَ واشٍ كـــدَّرَ الـــصفْوَ بيننا ... وبغَّـــضَ تحبـــيبي إلـــيهِ إلـــيه

وقال في إنقاذ كنيسة اليهود بحلب على يد القاضي كمال الدين بن الزملكاني وجعلها مدرسة الحديث

عـــلا لـــكَ ذكـــرٌ لا يـــشبهُهُ ذكـــرُ ... وحـــزْتَ فخـــارًا[2] ليسَ يدركُهُ الفخرُ

هنيـــئاً بنعمـــى خلَّـــد اللهُ ذكـــرَها ... وطـــال بهـــا بـــشْرٌ وطابَ لها[3] نشرُ

نـــصرْتَ بفـــتحِ الناصـــريَّةِ دينَـــنا ... ألا في ســـبيلِ اللهِ ذا الفـــتحُ والنـــصرُ

وسميـــتَها دارَ الحـــديث لأنهـــا ... حديـــثةُ عهـــد جـــاءَ في نزعها الأمرُ

وهمـــزاً قلـــبتَ الكـــافِ فَهْـــيَ أنيسةٌ ... لعمـــرُكَ لي قلـــبٌ بذا القلبِ مُنْسَرٌ[4]

---

(١) في نسخة: ورأى.

(٢) في نسخة: فخرًا.

(٣) في نسخة: بها.

(٤) في نسخة: ينسر.

فكم حَسَدَتْها بَيْعَةٌ وكنيسةٌ ... وقد فُكَّ مِن أيدي اليهودِ لها أَسْرُ
عقدتَ لها الإجماعَ فانتشرتْ لهم ... دموعٌ وعندَ العقدِ لا يُنكرُ النثرُ
وأحييتَها بالدرسِ بعدَ اندراسِها ... وصارَ لذكرِ اللهِ في ربعها جَهْرُ[(1)]
وضاعفْتَ أمراضَ اليهودِ بنزعِها ... فأوجُهُهم تحكي عمائمهمْ صُفْرُ
لئنْ أحزنَ الحزّانَ[(3)] ذكرُ محمد ... بها فكليمُ اللهِ للحقِّ يفترُّ
بذا قلبُ حزّان الملاعينِ نازحٌ ... وذلكَ مِنْ وجهينِ فَلْيُفهم السرُّ
وكانتْ بلثغات[(4)] الخبيثين طامثاً ... فتمَّ بذكرِ الطيبينَ لها العطرُ[(2)]
تعمُّ المثاني السبعُ ستَّ جهاتِها ... وخُصصَ بالتوحيدِ كلْماتُها العشرُ
وَمَنْ غاظَهُ هذا فليسَ بمسلمٍ ... وهلْ مسلمٌ يختارُ أنْ يُنصرَ الكفرُ
فإن أُبْدِلَتْ عنْ صوتِ قرنٍ مؤذناً ... فإبدالُ تعريفٍ مِنِ اسمٍ لهُ نكْرُ
صَرَفْتَهم عنْ ربعها إذْ أضفْتَهُمْ ... إلى الذلِّ والمصروفُ يدخلُهُ الكسرُ[(*)]
أيا حاتمَ الإسلامِ ودُّوا خلاصَها ... بما ملكوا فليخسئوا قضي الأمرُ
وقدْ علمَ الأقوامُ لو أن حاتماً ... أرادَ ثراءَ المالِ كانَ لهُ وفرُ
ولو حلفوا أنّا سنترعُ أختَها ... لما وجبتْ كفارةٌ ربَّما برُّوا
ونأخذُ[(5)] منهمْ أَجْرَ سكناهمُ بها ... وقد عُرف المبتاعُ وانفصلَ السعرُ
أَيُنسى أذاهم للنبيِّ وبغضُهُمْ ... وتكذيبُهُمْ والسمُّ في الشاةِ والسحرُ
كأنهُمُ في التيهِ بعدُ فمنهمُ ... تحققَ سلواهم وقدْ عظمَ المكرُ

---

(١) في نسخة: ذكرا.

(٢) في نسخة: الطهر.

(*) هذه تورية بديعة بقوله: (المصروف يدخله الكسر) حيث يجر المصروف بالكسرة على الأصل بدلاً من الفتحة في الممنوع، وفيه حسن تعليل وسبق بيانه.

(٣) في نسخة: الحران.

(٤) في نسخة: بدبغات.

(٥) في نسخة: ونأخذ.

وحقّكَ ما هذا الذي تستحقّهُ الـ يهودُ ولا العشرانِ كلا[1] ولا العشرُ
لقدْ فعلَتْ أقلامُكَ الحمرُ فيهم منَ الحقّ ما لا تفعلُ البيضُ والسمرُ
وقدْ أفرحَ السنوريةَ الآنَ ما جرى لجارتِها والجارُ بالجارِ ينسرُّ
أصاخَتْ إلى دارِ الحديثِ وأنصتَتْ وكانَ بها عنْ سمعِ كفرهُم وَقْرُ
عجبتُ لها لَّما حللْتُ بريعِها[3] وما رقصتْ عجْباً ولكنَّها صخرُ
وما بقيتْ واللهِ تخشى مذلةً وأوقافُ نورِ الدينِ مِنْ خلفها ظهرُ
وكيفَ تخافُ النقصَ عندَ كمالها وقدْ صارَ من قاضي القضاةِ لها ذخرُ
إمامٌ يؤمُّ المقترونَ جنابَهُ وَمِنْ كفِّهِ في كلِّ قطرٍ لها قطرُ
حليفُ الندى غيظُ العدى صارفُ الردى إمامُ الهدى فاتَ المدى جودُه الغمرُ
حوى العلمَ عنْ آياتِهِ ومعاشرٍ منَ السادةِ الأنصارِ أوجُهُهُمْ زَهْرُ
أرى أنَّ ذا الإحرامِ يخرجُ فديةً إذا ما جرى بينَ الحجيجِ لهُ ذكرُ
إذا قالَ أحيا الشافعي تفقهاً ونقلاً وإنْ يسبرْ فيا حبذا السبرُ
وما منصبُ الشهباءِ كُفْواً لعلمه غلطتَ ولا دارُ السلامِ ولا مصرُ
فإنْ زُمَرُ الأحزابِ راموا امتحانَهُ سبى ليلَ فرقانِ المجادلةِ النصرُ
ولو لم يؤثرْ عمرَهُ غيرَ هذه كَفَتْه وكم أخرى له عسرَ الحصرُ
أمنقذَها من بؤسِها وعنائها فديتُكَ أنقذني فقدْ نَفِدَ العمرُ،[2]
فإني أرى غبناً بأني مُضَيَّعٌ[4] وكسبي منَ الحكمِ الخصوماتِ والوزرُ
مقيماً بأرضِ الحرثِ جاراً لمعشرٍ وجوههمُ غُبْرٌ وأثوابُهُمْ حمرُ
يرون جميلاً أنهم لم يرفعوا[5] وليسَ لأهلِ القدرِ عندهمُ قدرُ

---

(١) في نسخة: هذا.

(٢) في نسخة: أعوز النصر.

(٣) في نسخة: بربعها.

(٤) في نسخة: غبنا بأن يذهب العمر.

(٥) في نسخة: يرافعوا.

مــتى دخــلَ الــشهباءَ مــنهم جماعةٌ ... لأشــغالهمْ يخلــو بخاطــريَ الفكــرُ

أقــولُ عــساهم أضــمروا لي مكيدةً ... لعــلَّ انحــرافاً[1] أو بــدا لهــمُ غــدرُ

ومــا ذاكَ عــنْ ذنــبٍ جنــيتُ وإنما ... عــنانيَ عــرضٌ عــنْ مــرافعة[2] بكرُ

وحُــقَّ لمثلــي صــونُ عرضــي فإنَّــهُ ... نقــي بحمــدِ اللهِ مــا شــانَهُ غَمْــرُ

وكلــــهمُ راضٍ علــــيَّ وذاكــــري ... بخــيري ولكــنْ لــو عبــثتُ لما قرُّوا

ولا خــيرَ في مــالِ الفــتى بعدَ عرضِه ... ولا عــيشَ في الدنــيا إذا قــبَّحَ الذكرُ

بِــذَيْلِ بــديلِ الرافعــي تَمَــسُّكي ... فقــد مــسَّني للــبعدِ عــن بابِه الضرُّ

ســئمتُ مــداراةَ الأراذلِ في الــورى ... وقــدْ بــانَ لي أنَّ القــضا جــبلٌ وعرُ

شــريكُ شــرورٍ لا ســرورٍ نسيتُ ما ... حفظْــتُ وممــا كــنتُ حصَّلْتُ أجترُّ

تقــدَّمني مَــنْ كــانَ خلفــي وساءَني ... خمــولي ولكــنْ هكــذا يفعــلُ البَــرُّ

بُلــيتُ بحجــرِ الحكــمِ منْ زمنِ الصِّبا ... فهــلْ بكمــالِ الحجــرِ يرتفعُ الحجرُ

علــى أنــني راضٍ بــأنْ أليَ القــضا ... وأُعــزلَ عــنهُ لا أثــامٌ ولا أجــرُ

لــئنْ زادَ مــالُ المــرءِ معْ نَقْصِ علمه ... فــذلكَ خــسرٌ لا يقابلُــهُ خُــسرُ

أيــا أوحــدَ الإســلامِ إني معــوِّلٌ ... علــيكَ ومــا المملــوكُ في قصدِه غرُّ

فــوجهُكَ إنْ قابلــتُهُ أو[4] رأيــتُهُ ... يكــونُ لقلــبي بالمقابلــةِ الجــبرُ

أقلــني مــنَ الأحكــامِ في البرِّ[5] محسناً ... إليَّ بفــصلي[3] عَــنْهُ يــا مَنْ هو البحْرُ

ففــي القلبِ مِنْ نيلِ الفروعِ[6] ببابكم ... أصــولُ اشــتياقٍ حَمْــلُ أغصانِها جمرُ

شُــغِلْتُ بحــبِّ العلــمِ عن رفعةِ القضا ... أيلــوي على الأصدافِ مَنْ قصدُهُ الدرُّ

---

(١) في نسخة: لأجل انحراف.

(٢) في نسخة: مدافعة.

(٣) في نسخة: بفصل عنه.

(٤) في نسخة: و.

(٥) وردت كلمة البرِّ في ديوانه كثيرًا مستعملة بمعنى القضاء.

(٦) في نسخة: الفروغ.

تعجَّبَ قومٌ كيفَ أتركُ منصبي وأرفضُهُ عمداً وما أنا مضطرُّ
وقالوا ترى مَنْ حلَّ في رتبة[٣] القضا وفارقَها حتى يواريَهُ القبرُ
أرى العلمَ أعلى رتبةً لي منَ القضا ولو لم يكنْ إلا فوائدُكَ الزهرُ
وأنتَ خبيرٌ بالقضاءِ وعسرِه[٤] ألا فلعلَّ العسْرَ يتبعُهُ اليُسْرُ
إذا قيلَ قاضٍ بالعراقِ جرى له كذا خلتُ أني ذاكَ واستحكمَ الذعرُ
وإنْ قاصدٌ منكمْ أتاني فانثنى كما انتفضَ العصفورُ بللهُ القطرُ
طباعُ عفيفٍ لا يرى حبَّ منصبٍ ولكنْ تشفِّي حاسديهِ بهِ مرُّ
ولي[٥] منْ هباتِ اللهِ عَنْ كلِّ ذا غنى وإنْ دامَ بي هذا العناءُ فما العذرُ
قنعتُ فخلتُ النجمَ دوني رتبةً[٦] وهيهاتَ خوفُ الفقرِ عندَ الغنى فقرُ
وفيَّ لتحصيلِ العلومِ بقيةٌ فلا كبرٌ عنها يصدُّ ولا كِبْرُ
ومالي أرى الحكامَ غيرَكَ إنْ رأوا ذكياً فأوفى حظِّهِ منهمُ الهجرُ
يولُّونَهُ في البرِّ قصدَ خمولِهِ فيصبحُ ميِّتاً والضياعُ لهُ قَبْرُ
ومثْلُكَ لا يرضى لمثليَ بالقُرى وفي النفسِ حاجاتٌ وفي سيدي جبرُ[١]
فدونكها ورديةٌ عربيةٌ سليلةَ بكريٍّ لها وُدُّكمْ مَهْرُ
ولو أنني لم أنتسبْ ما خفي على ذكيٍّ بأنَّ الدرَّ معدنُهُ البحرُ
ولستُ بمدَّاحٍ ولا الشعرُ حرفتي بلى لكمالِ النفسِ نظميَ النثرُ
ولو عَقَلَ الإنسانُ لم يهدِ مدحةً إليكَ وهل يُهدى إلى هجرٍ تمرُ
بقيتَ بقاءَ المكرماتِ ونلتَ ما تؤمِّلُهُ ما لاحَ في الظُّلَمِ[٢] البدرُ

---

(١) في نسخة: خبر.
(٢) في نسخة: الظلمة.
(٣) في نسخة: ربقة.
(٤) في نسخة: وغيره.
(٥) في نسخة: بـ.
(٦) في نسخة: رفعة.

وقال

مـا العلـمُ عـن كثـرةِ الـروايهْ … العلـمُ عـنْ قلـةِ الغـوايهْ
قامَـتْ بمـا قـد أسـأتُ رايـهْ[١] … فهـلْ لهـذا الـصدودِ غايـهْ

وقال

ديـارُ مـصرَ هـي الدنـيا وساكنُها … هـمُ الأنـامُ فقابلْهـا بتقبـيلِ
يـا مِـنْ يباهـي بـبغدادَ ودِجْلَـتها … مـصرُ مقدمـةٌ والـشرحُ للنـيلِ

وقال

لا تحملـوني علـى انـتقامٍ … فالجـاهُ يحكـي خـيالَ طـيفِ
عفـوْتُ عـنْ مـذنبٍ فقـرَّتْ … عـينُ عـدوِّي وجفْـنُ سـيفي

وقال

صـدَّت وزارتْ فقلـنا … بالمعنـيينَ تغـنتْ
تفـردَتْ في الـبرايا … بالحـسنِ لَّمـا تثـنتْ

وقال

إنَّ لـنا في جِلَّـقٍ[٢] حاجـباً … مِـنْ عجـبِ الدنـيا بـوجهين
ناظـرُهُ نحـو الرشـا مـشرفٌ … مـا أطمـعَ الحاجـبَ في العـينِ

وقال

قـالَ لي عـاذلي أتـسبيكَ عـينٌ … مـنهُ سـوداءُ قلـتُ بـلْ إنـسانُ
قـال لي فاسـألْهُ فقلْـتُ اسْـلُ عَذْلي … قـالَ لي هِـنْتَ قلـتُ هـانَ الهوانُ

وقال

وإنْ جـزْتَ سـلعًا فـسلْ عـن … ظَبْـيٍ مـنَ الظَبْـي أَحْـسَنْ
لا مـا يقـاسُ بـبدرٍ … فالحـبُّ أفـقى وأفـتنْ

---

(١) في نسخة: رأيه.

(٢) جلّق: أي دمشق.

ولا بغصنٍ رطيب ... فالحبُّ ألوى وألونْ
ولا بهيفاء رودٍ ... فذاكَ أسمى وأسمنْ
يا عاذلي لا أبالي ... فالشوقُ أعلى وأعلنْ
لقدْ تعوَّدَ خدِّي ... دمعي وأدمى وأدمنْ
لا تطلبوا عنهُ صبري ... فالصبرُ أوهى وأوهنْ

وقال

دهْرُنا أضحى ضنيناً ... باللقا حتى ضَنينا
يا ليالي الوصلِ عودي ... واجْمعينا أَجْمَعينا

وقال

زارَتْ على يأسٍ كطيفِ[1] خيالها ... يا دهرُ ما بقيتْ عليكَ ذنوبُ
فَرَكبْتُ أخطارَ الهوى في وصلها ... والطِّيبُ واشٍ والحليُّ رقيبُ

وقال

أنتمْ أحبائي وقدْ ... فعلتُمْ فِعْلَ العِدى
حتى تركتم خبري ... في العاشقينَ مُبتدا

وقال

ترى عدواً دعا علينا ... بدعوةٍ صادفَتْ نفاذا
خَلَتْ ديارُ الحبيبِ منهمْ ... يا ليتني متُّ قبلَ هذا

وقال

لو كانَ يُفدى مرضٌ ... كنا فدينا مرضَكْ
أو تقبلُ الحمى الفدا ... جعلتُ روحي عوضَكْ

---

(١) في نسخة: لطيف.

وقال

إذا أخَّــرْت كتــبَكَ عــنْ محــبٍّ فإنــكَ قــدْ حــشوتَ حــشاهُ نــارا
وإنْ أعرضــتَ يــوماً عــن صــديقٍ فقــد حملــتَهُ في الــناسِ عــارا

وقال

حمَّـــامُكُمْ قـــيمُهُ شـــاطرُ هـــربْتُ مـــنهُ وأنـــا صـــارخُ
قـــدْ سـلخَتْ جـسمي أظفـارُهُ يـــا قـــومُ هـــذا الأســـودُ الـــساخُ

وقال وقد علم بعض القضاة الحمد لله على فضله ثم عزل وفصل عن الحكم

قـــدْ أنعـــمَ اللهُ علـيـــنا بمـــا يعجـــزُ أهـــلُ الأرضِ عـــنْ مـــثله
تفـــضُّلاً مـــا نحـــن أهـــلاً[1] لـــهُ فالحمـــــدُ للهِ علـــــى فـــــضله

وقال

يـــا نـــاقلاً إليَّ قـــولَ حاســـدي لا ينبغـــي نقـــلُ الـــذي لا ينبغـــي
لا تـــؤذني بحجـــةِ النـــصحِ فمـــا أسمعـــني الـــسوءَ ســـوى مبلِّغـــي

وقال

مدينـــةَ عـــزِّ الـــدينِ طـــبتِ مدينـــةً وكـــلُّ مكـــانٍ ينـــبتُ العـــزَّ طـــيِّبُ
ولـــو كـــنتُ في أبـــوابهِ كنتُ راضياً فـــلا أشـــتكي فـــيها ولا أتعـــتَّبُ

وقال

يـــا أعـــدلَ الـــناسِ في القـــضايا وأجـــودَ الخلـــقِ في العطايـــا
إلى مـــتى لا يـــزالُ مثلـــي مبلـــبلَ القلـــبِ في الـــشكايا
أخـــذتُ مـــنها[2] أتمَّ حـــظٍّ وحـــقَّ لي ألـــزمُ الـــزوايا

---

(١) في نسخة: أهل.

(٢) في نسخة: منه.

وقال

إذا كـــرهتَ مـــترلاً   فـــدونكَ الـــتحوّلا
وإنْ جفـــاكَ صـــاحبٌ   فكـــنْ بـــه مـــستبدلا
لا تحمِلَـــنْ إهانـــةً   مـــنْ صـــاحبٍ وإنْ عـــلا
فمـــنْ أتـــى فمـــرحباً   ومَـــنْ تولّـــى فـــإلى

وقال

دنـــيا إذا أحـــسنَتْ أســـاءَتْ   ورأيهـــا وضـــعُ مَـــنْ ترقّـــى
مالَـــتْ إلى مَـــنْ يمـــيلُ عـــنها   فالـــزاهدونَ الملـــوكُ حقّـــا

وقال

قـــلْ لحـــسودٍ ذمَّـــني   جـــوراً وظلمـــاً واعـــتدى
لـــولا التقـــى صـــنَّفْتُ في   عـــيوبِهِ مجلّـــدا

وقال

ربِّ إنْ تغفـــرْ وظنّـــي[1] هكـــذا   أوْ تعـــذِّبْ كـــنتَ عـــدلاً منـــصِفا
قـــادرٌ أنـــتَ علـــى كلتـــيهما   فـــاقضِ بـــالأولى بجـــاهِ المـــصطفى

وقال

ســـبحانَ مَـــنْ ســـخَّرَ لي حاســـدي   يُحـــدثُ لي في غيـــبتي ذِكْـــرا
لا أكـــرهُ الغيـــبةَ مـــنْ حاســـدٍ   يفـــيدني الـــشهرةَ والأجـــرا

وقال

يـــا مَـــنْ غدا في طلابِ العلمِ مجتهداً   لمْ يثـــنِهِ عـــنهُ لا مـــالٌ ولا ولـــدُ
لا تبـــسطَنَّ لتقلـــيدِ القـــضاءِ يـــداً   أيرتـــضي رتـــبةَ التقلـــيدِ مجـــتهدُ

---

(١) في نسخة: فظني.

وقال

ذَمُّ ولاةِ الأمـــــورِ صـــــعبٌ   في شـرعنا لا يجـــوزُ فعلُـــهْ
إذْ كــلُّ ذي مخلـــبٍ ونـــابٍ   يعـــدو بـــه لا يحـــلُّ أكلُـــهْ[1]

وقال

مـــشاقفٌ أشـــطانُهُ عَـــبْلَةٌ[2]   رتبـــتُهُ عَـــنْ عنتـــرٍ ســـاميَهْ
بـــوجهِه التـــرس أنـــا ناشـــبٌ   جـــاء دمـــي مـــن زقٍّ أعدائـــيَهْ
لا عُـــذَّلي مـــن حـــزبِ خـــيرٍ ولا   آراؤُهُـــمْ في ســـلوتي عالـــيَهْ

وقال

حـــياةُ الـــبهاءِ[3] كمـــوتِ الشهابِ   فهـــذا مـــصابُ وهـــذا مـــصابْ
فلـــيتَ الـــذي في الثـــرى فـــوقَهُ   ولـــيتَ الـــذي فـــوقهُ في التـــرابِ

وقالَ

يـــا حاســـدي إنَّ لي ذنـــوباً   تُكْـــسَرُ مِـــنْ هـــولِها الجـــيوشُ
لكـــنها لا لـــواطَ[4] فـــيها   ولا نبـــيذٌ ولا حـــشيشُ

وقال

وعاذلـــة تـــشتكيني إلى   صـــديقٍ لمـــا تـــشتكي يـــشتهي[5]
فقـــالَ أمـــا كـــنتِ لا تنـــته   فقالـــتْ بلـــى وهْـــوَ لا ينتهـــي

---

(١) هذا البيت من حسن التعليل.

(٢) في نسخة: أشطابه عتلة.

(٣) في نسخة: أسقطت الهمزة "البها".

(٤) في نسخة: لكنني لا ألوط.

(٥) في نسخة: تشتهي.

وقال

مَـنْ قـالَ بالمـردِ فاحذر إنْ تصاحبْهُ ... فـإنْ فعلْـتَ فـثقْ بالعـارِ والـنارِ
بـضاعةٌ مـا اشـتراها غـيرُ بائعها ... بـئسَ البـضاعةُ والمبـتاعُ والـشاري
يـا قـومُ صـارَ اللواطُ اليومَ مشتهراً ... وشـائعاً ذائعـاً مِـنْ غـيرِ إنكـارِ
ذنـب بـه هلكـت مـن قبلنا أمم ... والعـرش يهتـز مـنه هـز إكـبار
جـنات عدن عن اللوطي قد حرمت ... الله أكـبر مـا أعـصاه للـباري
أسـتغفر الله مـن شـعر تقـدم لي ... في المـرد قـصدي بـه ترويج إشعاري
لكـنّ ذلـك قـول لـيس يتـبعه ... خـنا وحاشـاي مـن أفعـال أشـرار
قـوم إذا حاربـوا شـدوا مـآزرهم ... دون النـساء ولـو باتـت بإطهـار

وقال

إنمـا الـبيرةُ بـيرٌ ... رحلـتي مـنها سـعادهْ
قـيلَ والـبيرةُ بـيرٌ ... قلـتُ بـيرٌ[1] وزيـادَهْ

وقال

إنَّ فخـرَ الـدينِ فـخٌّ ... أيُّ سـحتٍ لاحَ صـادَهْ
قـيلَ لي والفخـرُ فـخٌّ ... قلـتُ فـخٌّ وزيـادَهْ

وقال

جنبـتَني وأخـي تكالـيفَ القـضا ... وكفيتَـنا مرضـينِ مخـتلفينِ
يـا حـي عـالم دهـرِنا أحييتـنا ... فلـكَ التـصرفُ في دمِ الأخـوينِ

وقال

بـأيمنَ جـرعاءِ الكثـيبِ خـيامُ ... لهـنَّ علينا حـرمةٌ وذمـامُ
أحـنُّ إلـيها كـلَّ يـومٍ ولـيلةٍ ... وإنْ كـانَ مـنها بالفـؤادِ كـلامُ
ففـيها لمنْ أهوى على القربِ والنوى ... مقـامٌ لـهُ بـينَ الـضلوعِ مقـامُ

---

(١) في نسخة: بئر.

ولي حالــةٌ في العاشــقينَ عجيــبةٌ فــؤادي ضرامٌ والدمــوعُ ســجامُ

فــيا عــاذلاً[1] ما أنتَ واللهِ عادلاً[2] أأحفــظُ عهــداً ســابقاً وأُلامُ

أجــرني مِنَ العذلِ الذي هاجَ[3] لوعتي فــإني أرى أنَّ الــسلوَّ حــرامُ

فلــو بــكَ مــا بي كنتَ تعذرُ عاشقاً لــهُ الــبينُ خــصمٌ والغــريمُ غــرامُ

تذكّــرتُ لــيلات بــسلعٍ وحاجــرٍ وأيــامَ قــربٍ والمــدامُ مــدامُ

مدامــةُ ســرٍّ لا مدامــةُ كــرمةٍ أيــشربُ مــنْ بــنتِ الكــرومِ كــرامُ

وإذْ نــسماتُ الوصــلِ تحيــي قلوبَنا ونحــنُ ســهارى والوشــاةُ نــيامُ

فــيا مــنْ لقلــبٍ أذكــرتْهُ حمــائمٌ بأيــامِ وصــلٍ فِطْــرُهُنَّ صــيامُ

أحــبَّةَ قلــبي إنَّ قلــبي نــزيلَكُمْ وحاشــا نــزيل الأكــرمينَ يــضامُ

ســلا عــنْ فؤادٍ ما سلا لكنِ انسلى أصــابتهُ عــنْ قــوسِ الفــراقِ ســهامُ

علــى الــربعِ لمّــا غبــتمُ عنهُ وحشةٌ كوحــشة غمــدٍ غــابَ عــنهُ حسامُ

ســلامٌ علــيكمْ مــا ألــذَّ وصالَكُمْ وغايــةُ مجهــودِ المقــلِ ســلامُ

وقال مرتجزًا

إنْ كــنتَ ناصــحي فحــسِّنْ صبري لحاســدٍ مــا قــدرُهُ كقــدري

صــبري علــى الحاســدِ طولَ عمري شــرٌّ علــيهِ مــنْ شــرار الجمــرِ

لــيسَ يــضيقُ منْ حسودي صدري يــشهر ذكــري ويــزيدُ أجــري

وَدَّ حــسودي فــتحَ بــابِ الــشرِّ ليــستوي زجاجُــهُ ودرِّي

زجاجُــهُ يُــسبك بعــدَ الكَــسر والــدرُّ مــا لكــسرِهِ مِــنْ جــبرِ

وارحمــتا لحاســدي إذ يــدري ماضــيَ أو مــضارعي أو أمــري

فــذاكَ غــيرُ خاطــرٍ بفكــري ولَمْ يــزلْ مــشتغلاً بذكــري

---

(١) في نسخة: عاذلي.

(٢) في نسخة: عادل.

(٣) في نسخة: المهيج لـ.

أعظمُ ذنبي عسندَهُ ووزري ... أني مذكورٌ بكلِّ قطرِ

في الشرقِ والشامِ وملكِ مصرِ ... يُسمعُ ذكرُ عمرَ المعري

وقال أيضا مضمنا المثل السائر

إني عدمتُ صديقاً ... قَدْ كانَ يعرفُ قدري

دعني لقلبي ودمعي ... عليهِ أحرقْ وأذري

وقال يمدح النبي ﷺ

قلبٌ كواهُ البينُ حتى أنضجا ... ما زال في بحرِ الغرامِ ملججا

ومدامعٍ سحَّتْ وما شحَّتْ على ... خدٌّ بحمرةِ لونها قدْ ضُرِّجا

لِمْ لا تضرِّجْ أدمعي خدي وقدْ ... أُذكرتُ ظلاً بالمدينةِ سجسجا

لي بالحجازِ وساكنيهِ مآربُ[2] ... أرضٌ حكَتْ حللَ الربيعِ مدبَّجا

سقتِ الحجازَ سحائبٌ يحيا بها ... ميْتُ النباتِ لكيْ يميسَ[1] تبرُّجا

يا قاعةَ الوعساءِ ما هذا الشذا ... أحويتِ شيحاً أمْ حويتِ بنفسجا

أمْ نسمةً هبَّتْ ببانِ طُويلعٍ ... هزَّتْ معاطفهُ ففاحَ تأرّجا

ظمأى إلى غدرانِهِ ومياهه ... ظمأٌ يزيد القلبَ منهُ تأججا

ما للنياقِ رواقصاً هلْ عاينَتْ ... برقَ الأُبيرقِ تحتَ أذيالِ الدجى

يا سعدُ إنْ عاينْتَ بهجةَ طيبة ... فابشرْ بكونِكَ ناجياً فيمن نجا

وانزلْ وقبِّلْ تربَها متورِّعاً ... متخضِّعاً متخشِّعاً متفرِّجا

واكحلْ جفونَكَ مِنْ ثراها وابتهجْ ... بسنا نبيٌّ ما أعزَّ وأبهجا

أعلى الورى قدْراً وأعظمُهُمْ تقىً ... وأتمهمْ جاهاً وأكملُهمْ حِجا

وأحدُّهم سيفاً وأكثرُهُمْ ندى ... وأعزُّ منزلةً وأوضحُ منهجا

منْ أينَ في الثقلينِ مثلُ محمدٍ ... نرجوهُ في كرباتِنا أنْ تُفرجا

---

(١) في نسخة: يهش.

(٢) في نسخة: مأرب.

كَــمْ للــنبيِّ محمــدٍ مــنْ معجــزٍ أوهــى قــوى مَــنْ عانــدوهُ وأزعجا
عجــبي لــنطقِ غــزالة للمــصطفى جعــلَ الإلــهَ لهــا بــذلكَ مخــرجا
لــو لَمْ يُــشَقَّ الــبدرُ معجــزةً لــهُ لانــشقَّ مــنهُ غــيرةً وتحــرّجا
لِمْ لا تحــنُّ إلــيه يــا قلــبي وقــدْ غلــبَ الحــنينُ الجذعَ فــيهِ وهــيَّجا
ســبحانَ مــنْ أعطاهُ تسبيحَ الحصى في كفِّــهِ المُــرْوي إذا عطــشٌ فجــا
أوَلــيسَ بــيتُ العنكــبوتِ بآيــةٍ في الغــارِ لّمــا أُلْهِمَــت أنْ تنــسجا
كَــم ردَّ عيــناً كَــم بــرا ذا عاهةٍ بدعائــهِ كَــمْ شــدَّةٍ قــدْ فــرَّجا
كَــم قــالَ غيــباً صــادقاً فمقالُــهُ مــثلُ الــصباحِ إذا بــدا متــبلّجا
ولــهُ مــنَ المعــراجِ آيــاتٌ سَمَــتْ لمــا دعــاهُ اللّــهُ في لــيلٍ ســجا
مَــنْ رامَ يحــصي معجــزاتِ محمــدٍ فــيعدّ مــوجَ البحــرِ حــينَ تمــوَّجا
مَــنْ أُنــزلَ القــرآنُ في أوصــافهِ أنــا قاصــرٌ عَــنْ مدحِــهِ مــتلجلجا
هــلْ بعــدَ يــس و طــه مدحــةٌ في الهاشمــيِّ وآلــهِ ســفنِ الــنجا
يــا خــيرَ خلــقِ اللّــهِ يــا كلَّ المنى أنــا أرتجــيكَ وأنــتَ نعــم المرتجى[1]
يــا مــنْ لــواءُ الحمــدِ في يدِهِ ومَنْ تــاجُ الكــرامةِ في القــيامةِ تــوِّجا
جــسمي ضــعيفٌ عنْ لظى وعذابُها حاشــاكَ تنــسى مَــنْ إلــيكَ قدِ التجا
كــنْ لي شــفيعاً إنَّ جسمي[2] مثْقل بالــسيِّئاتِ وقــدْ شــجاني مَــنْ شجا
كَــم ذا أُســوِّفُ بالمــتابِ توانــيا حــقٌّ لدمعــي بالــدما أن يُمْــزَجا
إني لأحْــوَجُ مــذنب لــشفاعةٍ إنَّ الكــرامَ يقدِّمــونَ الأحْــوَجا
صــلّى علــيكَ اللّــهُ يــا خيرَ الورى مــا نــارَ نــورٌ مِنْ ضريحكَ في الدجى

---

(١) لعله يقصد بأرتجيك أي أرتجي شفاعتك، وإلا فلا يجوز الرجاء لغير الله تعالى نبيا كان فمن دونه.

(٢) في نسخة: ظهري.

وقال

سـيدي قـدْ بـدأتني بكـتاب فـيه ألفـاظُ مَـنْ أحـبَّ فعاتَـبْ
أنـتَ كاتبـتني لتـرفعَ قـدري كـنتُ عـبداً لكـمْ فـصرتُ مُكاتَبْ

وقال وتعجبت من اشتهار هذين البيتين اللذين ما أحكمهما بانيهما ولا أعتني بمعانيهما، ومع رواة السبك سارا وحظهما يقول قفا نضحك من قفا نبك.

مقامـاتُ الغـريبِ بكـلِّ أرضٍ كبنـيانِ القـصورِ علـى الـثلوجِ
فـذابَ الـثلجُ وانهـدمَ البـنايا وقـدْ عـزمَ الغـريبُ علـى الخـروجِ

فخلـصتهما مـن ذل مقامات الغريب بكل أرض، وأوقدت فكرتي فذاب الثلج وانهـدم البنايا المستحقة للنقض، وجعلت لهما اسما في الأسماء، ونقلتهما من كثافة الأرض إلى لطافة السماء، فقلت:

وقال

ملـيحٌ ردفُـهُ والـساقُ مـنهُ كبنـيانِ القـصورِ علـى الـثلوجِ
خـذوا مـنْ خـدِّهِ القـاني نـصيباً فقـد عـزمَ الغـريبُ علـى الخروجِ

قـال وقلت وهو تضمين حسدني عليه من يشير إلى نفسه بالتعظيم، ويحكم على أحزاب الشعراء إذا اقتربت لمجادلته بالتحريم، فحول شطريه وادعاه لنفسه، وتعاظم به بين ذوي مذهـبه وأبناء جنسه، فالحمد لله الذي أحوجه على كثرة دعواه إليّ، وجعله في مثل ذلك يتطفل عليّ، حيث قلت:

فـيا سـائلي عـنْ مـذهبي إنَّ مذهبي ولاءٌ بـهِ حـبُّ الـصحابةِ يُمـزَجُ
فمـنْ رامَ تقويمـي فـإني مقـوَّمٌ ومَـنْ رامَ تعويجـي فـإني مُعَـوَّجُ

وقال

مهفهـفُ القـدِّ إذا مـا انـثنى قـالَ ولا يخـشى مـنَ الـردِّ
مـا أنـتَ حملـي يـا كثيبَ اللوى ولـستَ يـا غـصنَ الـنوى[1] قدي
لـوْ نلـتُ مِـنْ خدِّيـهِ تقبـيلةً تـزيَّنَ الـريحانُ بالـوردِ

---

(١) في نسخة: النقا.

وقال

نارنجـــــــــةٌ في غـــــــــصنِها ... وهْـــــــو نـــــــضيرٌ أمْلَـــــــدُ
ككـــــــرةٍ مـــــــنْ ذهـــــــبٍ ... جـــــــوكاهُا زبـــــــرجدُ

وقال

مـــا صـــحبةُ الـــسجّانِ محمـــودةٌ ... فاحـــذرْ مـــنَ الـــسجانِ في الجملَـــهْ
كـــم حبـــسوا[1] مـــنْ مجـــرمٍ عـــندَهُ ... فحـــازَ مِـــنْ كـــلِّ امـــرئٍ خـــصلَهْ

وقال

اتـــركْ بحقِـــكَ مـــا يقـــولُ المـــبغضُ ... أنـــا قـــدْ رضيتُ الموتَ فيهم إنْ رضوا
هـــمْ نـــورُ عـــيني والـــسوادُ لناظري ... فـــإذا ســـلوهُمُ بمـــنْ أتعـــوَّضُ
بانـــوا فـــبانَ الـــصبرُ عـــنْ باناتِـــهِ ... وقـــرينَ ســـهدي[2] قبضوا[3] مذْ قوّضوا
كـــم خلّفـــوا مـــتطلّعاً بطويلـــعٍ ... وبـــرامةٍ كـــم مـــن صـــحيحٍ أمرضوا
أنـــا قـــدْ رضـــيتُ بـــأنْ أموتَ بحبِّهم ... كمـــداً فـــلا يتعـــرَّضِ المتعـــرِّضُ

وقال

أُنـــاسٌ مـــا اســـتطعتُ لهـــم ســـلُوّاً ... ولا عتـــــباً وليـــــتنيَ اســـــتطعتُ
أكاتـــبهمُ وأعـــرضُ عَـــنْ أذاهـــم ... كـــأني مـــا رأيـــتُ ولا سمعـــتُ

وقال[4]

وَمَـــا يَـــدْرِي الـــصَّدَى فِي النَّحْوِ شَيْئًا ... سِـــوَى بَـــابِ الحِكَايَـــةِ وَالخِطَـــابِ
إِذَا نَادَيْـــتَ أَيْـــنَ مَـــضَى صِـــحَابِي ... حَكَـــاكَ وَقَـــالَ أَيْـــنَ مَضَى صِحَابِي

---

(١) في نسخة: سجنوا.

(٢) في نسخة: نومي.

(٣) في نسخة: قيضوا.

(٤) سقط هذان البيتان من بعض النسخ.

وقال مرثية وهي من مبادئ نظمه

دمـــوعٌ يـــستبقْنَ إلى الـــنحورِ ... ونـــيرانٌ تـــشبُّ مـــنَ الـــصدورِ
ونـــاعٍ للحـــبائبِ كـــلَّ يـــومٍ ... وطـــولُ الحـــزنِ في العمـــرِ القـــصيرِ
أيمـــضي لي نهـــارٌ لم يـــرعْني ... ويتـــركني الـــزمانُ بـــلا زفـــيرِ
فـــوا أســـفا علـــى عـــيشٍ مـــضى لي ... بـــبدرٍ كـــانَ يـــزري بالـــبدورِ
سمعـــتُ نعـــيَّهُ فعـــدمْتُ صـــبري ... وفقْـــدُ الإلْـــفِ مـــا هـــو باليـــسيرِ
فـــيا بـــدرَ الـــسماءِ أراكَ تـــبدو ... وقـــدْ واروا سميـــيَّك في القـــبورِ
ويـــا مطـــرَ الـــسماءِ أراكَ تهمـــي ... أظـــنُّكَ باكـــياً صـــدرَ الـــصدورِ
أمـــا واللّـــهِ لـــو أنّـــا قـــدرْنا ... غـــسلْنا الـــبدرَ بالدمـــعِ الغزيـــرِ
ولكـــنَّ الدمـــوعَ دمٌ عبـــيطٌ ... وشـــرطُ الغـــسلِ بالمـــاءِ الطهـــورِ
وكـــنّا لـــهُ في الـــصدورِ[٤] حَفَـــرْنا ... ومـــثلُ الـــبدرِ يُجعـــلُ في الـــصدورِ
لقـــدْ بلـــغَ المـــنى قـــبرٌ حـــواهُ ... أتتـــسعُ المقابـــرُ للـــبحورِ
أبـــدرَ الـــدينِ عـــزَّ علـــيكَ صـــبري ... وطـــاشَ العقـــلُ واختـــلَّتْ أمـــوري
أبـــدرَ الـــدينِ كـــيفَ هجـــرتَ أهلاً ... وترضـــى بالقـــبورِ عـــنِ الـــصدورِ[١]
أبـــدرَ الـــدينِ هـــلْ تُفـــدى بمـــالٍ ... فنـــبذلَ[٢] كـــلَّ مذخـــورٍ خطـــيرِ
أبـــدرَ الـــدينِ كـــنتَ أخـــاً وفـــيّاً ... تجـــلُّ عـــنِ القـــساوةِ والقـــبورِ[٣]
فكـــيفَ ســـكنتَ في جـــناتِ عـــدنٍ ... وقلـــبي مـــنكَ في نـــارِ الـــسعيرِ
وكـــيفَ رضـــيتَ هـــذا الـــبعدَ لكنْ ... قـــضاءُ الـــواحدِ الـــربِّ القديـــرِ
ولـــو أنّـــا صـــبرْنا كـــانَ أولى ... فمـــا نـــالَ الـــثوابَ ســـوى الصبورِ
وفي خـــيرِ الأنـــامِ لـــنا عـــزاءٌ ... وغايتـــنا إلى هـــذا المـــصيرِ

---

(١) في نسخة: القصور.

(٢) في نسخة: فيبذل.

(٣) في نسخة: والفتور.

(٤) في نسخة: في الصدور له.

ســـــألتُ اللهَ يـــــسكنُهُ جـــــناناً ويـــــنزلُهُ بـــــولدانِ وحـــــورِ
ويعقبـــــنا وإيـــــاهُ سماحـــــاً ومغفـــــرةً ويعفـــــو عـــــنْ كـــــثيرِ

وقال موشحًا

مذهبي حبٌّ رشا ذي جسد مُذهَّبِ   قَدْ حُبي حسناً بهِ يستعذبُ القدحَ بي

عاذلاً ما أنتَ في لومِكَ لي عادلا

سائلا يخبرُكَ دمعٌ قدْ همى سائلا

آه لا تعذل فما قلبي بذا آهـــلا

منصبي والعقلُ أذهبْتهُما مِنْ صـــبي   ما رُبي إلاّ وقدْ ربي فيهِ مـــا ربي

رقَّ ما في خدِّهِ الورديِّ قدْ رقمـــا

عندما رأيتُ دمعي قدْ حكى عندما

ضرَّما في مهجتي مِنْ هجرِهِ ضرَّما

منْ أبي يأبى الرضى نلتُ الجفا من أبي   فارعَ بي رضاهُ يا قلبُ تهْ[1] وارعبِ

من صَلَى لي فخَّهُ بل قدْ نضا منصلا

بلبلا فؤادُ مضناهُ بلى بل بـــــلا[2]

أو ولا[3] ملازم آخـــــــــره أولا

فانْهَ بي غيري ولذاتِ الغرامِ الهَبِ   وَالْهَ بي عن عذل[4] بل يا حشاي الهبي

ما نسي طيبَ زمانِ الوصل فيَّ ما نسي

والمسي رقيبنـــــا بالكـــف لم ألمـــس

جانسي حربي[5] فألفى كلما جانسي

---

(١) في نسخة: وته.

(٢) في بعض النسخ تأخير هذا البيت عما بعده.

(٣) في نسخة أو لا.

(٤) في نسخة: عدل.

(٥) في نسخة: حزني.

وارْقَ[١] بي يا طرفُ سهداً والنجومَ ارقبِ واشن بي مَنْ لم يهمْ في ثغرِ أشنبِ

وقال متشوقًا إلى المعرة

قِفْ وِقفَةَ المتألِّمِ المتأمِّلِ بمعرةِ النعمانِ وانظرْ بي ولي

تلكَ المعاهدُ والمعالمُ والربى وملاعبُ الغزلانِ والمتغزلِ

وطنٌ يخيِّلُ لي تخيُّله الصبا في ذكرهِ ذكرُ الزمانِ الأولِ

زمنٌ قطعناهُ وكنّا صبْيةً لا يسألونَ عنِ السوادِ المقبلِ

للّهِ أيامُ الصِّبا وجنونُهُ وفنونُهُ وغصونُهُ لم تذبلِ

يا ليتَ أمرَ صبايَ عاودني لكي أشكو إلى الماضي منَ المستقبلِ

يا سعدُ زُرْ أرضَ المعرةِ نائباً عنِّي وسرْ فيها مسيرَ مبجَّلِ

وإذا نظرتَ إلى الخزامى يانعاً قفْ وابْكِ منْ ذكرى الحبيبِ ومنزلِ

وادي المعرةِ في النفوسِ معظَّمٌ لا سيَّما زمنُ الربيعِ المقبلِ

هرماسُها لما تخضَّبَ سيفُهُ بعثوا إليهِ منَ النسيمِ بصيقلِ

مذْ أطربَ الأغصانَ صوتُ خريره مالتْ إليهِ ونقَّطَتْهُ بالحلي

في روضةٍ عبثَ النسيمُ بخدِّها فتضمَّخَتْ[٢] بالطيبِ كفُّ الشمألِ

باتتْ يضاجعُها الندى فتعلَّقَتْ بذيولهِ تفديهِ منْ مُترحِّلِ

نشرَتْ عساكرَ دوْحِها منْ حولِها خيماً تَلوَّنُ كالعرائسِ تنجلي

شابتْ بها الأغصانُ شيباً ناصلاً وسوى الغصونِ مشيبُها لم ينصلِ

يبكي الغمامُ لها ويبتسمُ الثرى ضدَّيْنِ فعلُ أخي الصبابةِ والخلي

وادي فضالتِها[٣] وبابُ شبابِها كفلا لساكنِها بسعدٍ مكْمَلِ

قلبي لعينِ زريقَ صادٍ شينَ مَنْ أَلِفَ العتابَ ولامَ لومَ مضلِّلِ

---

(١) في نسخة: فارق.

(٢) في نسخة: فتخضبت.

(٣) في نسخة: وأرى نضارتها.

يـا عـاذلي كـنْ عـاذري في حبِّها يفنى القميصُ وفيه عـرفُ المندلِ
لـو زرتُهـا لفـتحتُ بـابَ جنانها وأقـولُ يـا نفسُ اطمـئني وادخلي
إنَّ القلـوبَ إلى القلـوبِ مـشوقةٌ قـدْ أذكـرتْها بالـرحيقِ السلـسلِ
وزهـورُها وطـيورُها وسـرورُها وقـصورُها وديـورُها للمجتلـي
اللّـهُ قـدَّرَ رحلـتي عـن ربعهـا يـا قلـبُ لا تهلـكْ أسـى وتجمَّلِ[1]
يـا لـيتَ قومـي يعلمـونَ بـنعمتي لكـنْ لأجـلِ فـراقِها لم تكمـلِ
أقـسمْتُ لـوْ نطقَـتْ لأبدَتْ شوقَها نحـوي كـشوقي نحـوها وتـرقُّ لي
لمَ لا تـرقُّ لدمـعِ عـينِ مـا رقـا وجـوارحٍ جرْحَـى وبـالٍ قـدْ بلي
مـوتي حـسينيٌّ بهـا وملامُكُـمْ فـيها يـزيدٌ وقـدرُها عـندي علي

وقال

حكـامَ مـصرَ كلكُـمْ لـنحسِ زيـدٍ منتـبهْ
رأيـتموهُ درَّةً صـفعتمُ الـساحل بـهْ

وقال

بمـوتِ عـبّود ابـنِ جـبر قَـدْ أيـس القلـبُ مـنْ أبـيهِ
هـلْ قـبرُهُ الـروضُ أو سمـاءٌ فالغـصنُ والـبدرُ حـلَّ فـيهِ

وقال

وربَّ غـزالة طلعـتْ بقلـبي وهْـوَ مـرعاها
نـصبتُ لهـا شـباكاً مـنْ نـضارٍ ثمَّ صـدْناها
فأغنـتني بملقاهـا وألقـتني بمغـناها
وقالـتْ لي وقـدْ صـرنا إلى عـينٍ قـصدناها
وزنـتَ العـينَ فاكحلْهـا بطلعـتها بمجـراها

---

(١) ضمن بيت امرئ القيس:
وُقوفًا بِها صَحبي عَلَيَّ مَطِيهُم يَقولون لا تَهلِك أَسىً وَتَجَمَّلِ

وقال

هـــــويتُ أعــــــرابيةً ريقُهـــــا ... عـــذْبٌ ولي فـــيها عـــذابٌ مــذابْ

رأســـي بهـــا شـــيبانُ والطـــرفُ مـــنْ ... نـــبهانَ والعـــذَّالُ فـــيها كـــلابْ

وقال

كأنمـــــا الفانـــــوسُ في حـــــسنه ... بـــدرٌ علـــيهِ ظُلَّـــةٌ مـــنْ غمـــامْ

صـــفا كـــودي وحكَـــتْ نـــارُهُ ... وجـــدي ومثلـــي لـــيلَهُ لا يـــنامْ

وقال

وفـــــــستقٍ زادَ حـــــــسنا ... أتـــــاكَ مِـــــنْ كـــــفٍّ ريمِ

زمـــــــرُّدٌ في عقـــــــيق ... في عاجـــــــــــــــةٍ في أديمِ

وقال في مسطرة

قُـــــسِّمْتُ قـــــسمةَ عـــــدْلٍ ... فـــصرْتُ عـــندَ الـــصدورِ

وقـــــدْ تقـــــنَّعتُ مِـــــنهمْ ... بمـــا يقـــيمُ ســـطوري

وقال معاتبًا للعلامة كمال الدين بن الزملكاني

هُنـــيتَ عامـــاً مقـــبلاً مقـــبلاً ... علـــيكَ بالـــسعدِ وعـــيشٍ حـــلا

مـــولايَ يـــا مَـــنْ قلـــبُهُ راحـــمٌ ... وَهْـــوَ أحـــقُّ الـــناسِ أَنْ يعـــدلا

محـــبتي تقـــضي بمكثـــي هـــنا ... وحـــالتي تقـــضي بـــأَنْ أرحـــلا

حـــسبْتُ في أيـــامكم رفعـــةً ... ومـــا خـــشيتُ الدهـــرَ أَنْ أنـــزلا

فقلـــتُ مـــن يرضـــى خمـــولي إذنْ ... فكـــنتَ أنـــتَ المحـــسِنُ المجمِـــلا

أتقـــنتَ في أيامِـــكَ البـــيعَ وال ... صـــرفَ ومـــا دافـــعَ بـــابَ الـــولا

إني إلى التفلـــيسِ مـــاضٍ إذا ... أهملـــتَ هـــذا الأمـــرَ مـــستقبلا

لم أنـــسَ لا أنـــسى رســـولاً أتـــى ... بـــنقلتي لا أعـــدمُ المرسِـــلا

قلـــت رســـولي رمْـــتُ جرِّي عن الـ ... أهلـــينَ مـــاذا أنـــتَ مِـــنْ أم[1] إلى

---

(١) في نسخة: أو.

قـــال أنــا مـــنْ قلـــتُ لا إنَّ مـــنْ للابـــتدا أنـــتَ[1] كـــذا قـــال لا
أنـــا إلى قلـــت إلى نعمـــة وجمعُهـــا الآلاءِ عـــندَ المـــلا
أيـــنَ هـــيَ الـــنعمةُ في قاطـــعٍ بقـــربه مـــا حـــقَّ أَنْ يوصَـــلا
قـــالَ فمـــا سميـــتني بعـــدَها[4] واحـــذرْ عـــن التوجـــيه أنْ تـــذهلا
قلـــتُ لـــهُ جـــئتَ بنفـــيٍ عـــن الـــ جـــنسِ فحـــقَّ أنْ نـــسميكَ لا
قـــالَ انـــصرفْ قلـــتُ انـــصرافي على مـــذهبِ أهـــلِ الـــنحوِ لَـــنْ يجمـــلا
فالعـــدلُ والتعـــريفُ عـــندي ولي منزلـــةٌ في الـــنحوِ لـــن تُجهـــلا
قـــالَ أضـــفناكَ إلى منـــصبٍ آخـــرٍ فالـــصرفُ أرى أَمْـــثَلا
قلـــتُ شـــويتَ القلـــبَ مـــني بمـــا جـــئتَ فاســـتوصِ بي مُجمِـــلا
قـــالَ وكـــمْ قلـــبٍ علـــى منـــصبٍ شُـــوي بـــنارِ العـــذلِ[2] حـــتى انسلى
قلـــتُ مكـــاني عامـــرٌ والـــذي بدَّلْـــتَهُ مَـــرْبَعُهُ قَـــدْ خـــلا
قـــالَ اسمُـــكَ المعـــدولُ عـــنْ عامـــرٍ قـــضى عـــنِ العامـــرِ أَنْ تعـــدلا
قلـــتُ لـــهُ ويلَـــكَ مثلـــي كـــذا يـــضيعُ في الـــبرِّ العلـــى[3] مهمـــلا
والجاهـــلُ الخـــائنُ في منـــصبٍ عـــالٍ وأرضـــى لا وربِّ العلـــى
بـــيِّنْ ليَ القـــصدَ وصـــرِّحْ بمـــا تـــراهُ في أمـــري فقـــدْ أُشـــكلا
قـــالَ رآكَ الدهـــرُ أهـــلاً لمـــا وَليـــتَهُ فاخـــتارَ أَنْ تخمـــلا
عـــرضٌ وشـــكلٌ وذكـــاءٌ أمـــا تعـــذرُهُ في حـــسد ضـــلَّلا
فعـــندما قـــالَ الـــذي قالَـــهُ رســـولكم أوضَـــحَ مـــا أعـــضلا
وبـــانَ لي مـــا يقـــصدُ الدهـــرُ لي لكـــنْ رأيـــتُ الـــصبرَ بي أجمـــلا
وانقطـــعَ الـــبحثُ ورالَ المـــرا فقدمـــوا الـــناقصَ والأجهـــلا
تـــاللهِ لا باشـــرْتُ مِـــنْ بعـــدِها حُكمـــاً ومَـــنْ يرضـــى بهـــذا الـــبلا

(١) في نسخة: للابتداآت.

(٢) في نسخة: العزل.

(٣) في نسخة: لقا.

(٤) في نسخة: قلت قل.

وقال

لــكَ خــدٌّ كــلُّ مَــنْ قَــبَّلَهُ ... أَضْــمَنُ الجــنةَ والــنارَ لــهُ

كــمْ لــهُ مثلــي محــبٌّ صــادقٌ ... كــمْ لــهُ سـبحانَ مَــنْ كَمَّلَــهُ

وقال[1]

قَــالَ وَقَــدْ عَانَقْــتُهُ ... عِــنْدي مِــنَ الــصُّبْحِ قَلَــقْ

قَــالَ وَهَــلْ يَحْــسُدُنَا ... قُلْــتُ نَعَــمْ قَــالَ انْفَلَــقْ

وقال

أفــشى إليَّ صــاحِبي ... ســراً وَقَــدْ لقيــتُهُ

فقــالَ هــلْ حفظــتَهُ ... فقلــتُ بــلْ نــسيتُهُ

وقال

التــركُ ملــحُ الأرضِ في عــصرِنا ... والفلَــكُ الدائــرُ في ســعدِهمْ

تعــرفُ مَــنْ يعــرفُ مقــدارَهم ... مَــنْ ذاقَ جَــوْرَ المغــلِ مِــنْ بعدِهِمْ

اللهُ لا يــوحشُ مــنْ أُنــسهم ... فجــورُهُمْ أَهْــوَنُ مِــنْ فقــدِهِمْ

وقال

قــلْ لــبني[3] الــناسِ علــى زعمِهِمْ ... بــأنهمْ أصــلَحُ[2] بالمُلْــكِ

قــدْ فَــسَدَتْ واللهِ نــياتُهمْ ... فــلا عدمْــنا دولــةَ التــركِ

وقال

لا عــادَ عُمْــرٌ مــضى لي ... في الحكــمِ غــالٍ بــساعهْ

لا في ســرورٍ ولهــوٍ ... ولا صــلاحٍ وطاعــهْ

---

(١) سقط هذان البيتان من بعض النسخ.

(٢) في نسخة: أليق.

(٣) في نسخة: إن بني.

وقال يرثي الشيخ الصالح مهنا بن إبراهيم بن القدوة مهنا الفوعي

اسألِ الفوعةَ الشديدةَ حزْناً ... عنْ مُهنَّا هيهاتَ أينَ مُهَنَّا
أينَ زينُ البلادِ عينُ البرايا ... شيخُ أهلِ الزمانِ لفظاً ومعنى
أينَ مَنْ كانَ أبهجَ الناسِ وجهاً ... فَهْوَ أسمى منَ البدورِ وأسنى
أينَ خلفُ الصلاةِ والصومِ زهداً ... مَنْ على مثله الخناصرُ تُثنى
أين شيخي وقدوتي وصديقي ... وحبيبي وكلُّ ما أتمنى
وأشدُّ الصحابِ عوناً[٢] وأوفا ... هم وقاراً وأضحكُ الناسِ سنّاً
يا لها منْ رزيَّة[٣] ووفاة ... طبقَتْ بالمصابِ سهلاً وحزنا
كيفَ لا يعظمُ المصابُ لصدر ... نحنُ منهُ مودة وَهْوَ منَّا
جعفريُّ السلوكِ والوضعِ حتى ... قالَ عَبْسٌ عنهُ مُهنَّا مهنا
أيُّ قلبٍ بهِ ولوْ كان صخراً ... ما يحاكي الخنساءَ نوحاً وحزنا
أذكرَتْنا وفاته بأبيه ... وأخيه أيامَ كانوا وكنَّا
منْ عظيمِ البلاءِ فقدُ عظيمٍ ... كان للسالكين ذخراً وركنا
أصبحَ القلبُ بعدَهُ في جحيم ... وَهْوَ حَبْرٌ في جنةٍ[١] يتثنى
يا عيوني لم تنظري كمهنا ... أسعديني بمدمعٍ ليس يفنى
أظلمَتْ بعدَهُ البلاد وقالتْ ... ما بَقيْ مَنْ يقيم للزهدِ وزنا
يا مهنَّا أنا المنغَّصُ وحدي ... لا بل العالمونَ إنساً وجنَّا
فسأبكيكَ ما حييتُ وحقي ... أنني لا أقرُّ بعدَكَ جَفْنَا
كم حسبنا منَ الأمورِ ولكنْ ... ما حسبنا سريعَ بُعْدكَ عنَّا
يا دفيناً قبلي ولو كان هذا ... باختياري لكنْتُ قبلَكَ دَفْنَا

---

(١) في نسخة: في جنة العلا.

(٢) في نسخة: الإسلام خوفًا.

(٣) في نسخة: رزيئة.

ليتني مت قبل هذا فإني حامل فيك ما شجاني وأضنى

سيدي أنت كنت تؤثر هذا زال ذاك الأذى وفارقت سجنا

ولقيت الكريم والمرتجى من فضله أن تنال ما تتمنى

فاذكر العهد واحتفل بصديق حسن[1] الظن فيك لا خاب ظنا

قدس الله سر قبر[3] مهنا فهو من أطيب البقاع وأهنا

وسقى قبر جده وأبيه وأخيه غيثاً تبسم مزنا[2]

ورعانا بجاههم وحمانا بحماهم وبدل الخوف أمنا

وقال وقد فتح الله وله الحمد قلعة التفتر من يدي الأرمن والفرنج تأدبًا لمن يقف عليها

جهادك مقبول وعامك قابل ألا في سبيل المجد ما أنت فاعل

تجاهد بالخطي[5] والخط في العدى فمالك في هذا وهذا مماثل

هنيئاً بعود من جهاد مبارك على الناس بالجنات كاف وكافل

إذا حل مولانا بأرض يحلها عفاف وإقدام وحزم ونائل

وإن لاح في القرطاس أسود خطه يقول الدجى يا صبح لونك حائل

لأقلامك السمر العوالي تواضعت وهابتك في أغمادهن المناصل

نزلتم على الحصن المنيع جنابه فليس[4] تبالي من تغول الغوائل

نصبتم عليه للحصار حبائلاً كما نصبت للفرقدين الحبائل

فزلزلتموه خيفة ومهابة فأثقل رضوى دون ما هو حامل

---

(١) في نسخة: يحسن.

(٢) في نسخة: مزنا تبسم دجنا.

(٣) في نسخة: قبر سر.

(٤) في نسخة: فلست.

(٥) في نسخة: الحظيّ.

ألا إنَّ جيشاً للنقير[٣] فاتحاً ... لآتٍ بما لمْ تستطعْهُ الأوائلُ

فكمْ أنشدَ التكفورُ باحصنُ لا تبلْ ... ولو نظرتْ شزرًا[١] إليكَ القبائلُ

فقالَ لهُ اسكتْ ما رأيتَ الذي أرى ... وأيسرُ هجري أنني عنكَ راحلُ

ألمْ ترَ ما قدْ حلَّ بي منْ قتالهمْ ... ولا ذنبَ لي إلا العلى والفواضلُ

فأصبحَ منْ جورِ الحصارِ كأنَّهُ ... أخو سقطةٍ أو ظالعٌ[٢] متحاملُ

رميتُمْ حجارَ المنجنيقِ عليهِم ... ففاخرتِ الشهبَ الحصى والجنادلُ

حجارةُ سجيلٍ لها البدرُ خائفٌ ... على نفسهِ والنجمُ في الغربِ مائلُ

وعدتم وللفتحِ المبينِ تباشرَتْ[٥] ... وقدْ حُطِّمَتْ في الدارعينَ العواملُ

وفلَّ قتالَ المشركينَ سيوفُكم ... فما السيفُ إلا غمدُهُ والحمائلُ

لعمري لقدْ كانَ النقيرُ مانعاً ... ويقصرُ عن إدراكِهِ المتناولُ[٤]

وكانَ عنِ الإسلامِ أعظمَ آبقٍ ... فأُوثقَ حتى نَهْضُهُ متثاقلُ

بغى فبغى[٦] ألطنبغا الفتحَ منشدًا ... ويا نفسُ جدِّي إنَّ دهرَكِ هازلُ

فأنشدَهُ الحصنُ المنيعُ ملكتني ... ولو أنني فوقَ السماكينِ نازلُ

وقصَّرَ طولي عندكم حسنُ صبرِكمْ ... وعندَ التناهي يقصُرُ المتطاولُ

وقال

ثقيلةُ ردفٍ قصدها قتلي بهِ ... فقلتُ لها إنْ تقتلي النفسَ تُقتلي

فقالتْ ترى نعمانُ خدِّي ابنُ ثابتٍ ... وما منْ قصاصٍ عندَهُ بمُثَقَّلِ

---

(١) في نسخة: شزرًا.

(٢) في نسخة: ضالع.

(٣) في نسخة: للتفتر.

(٤) في نسخة: المتطاول.

(٥) في نسخة: تباشر.

(٦) في نسخة: فبا.

وقال وكتب بهما إلى القاضي فخر الدين بن البارزي وقد ولاه شيرز

أيــا باعثــي أقــضي بــشيزرَ ما الذي   أردْتَ قــضا أشــغالِهمْ أم قــضا نحبي
حكــيْتُ بهــا الــناعورَ حــالاً لأنني   بكــيتُ على جسمي ودرتُ على قلبي

وقال وكتب بهما لابنه محمد

قـــيلَ لي شـــيزرُ نـــارٌ   وبهـــا العاصـــي مخلَّـــدْ
قلـــتُ لا أمكـــثُ فـــيها   أنـــا مِـــنْ حـــزبِ محمـــدْ

وقال

عجـبتُ لمـنْ تعمَّـدَ بَخْـسَ حقّي   نـوى قـصري بـهِ فـازدادَ طـولي
فعلمـــني بـــهِ إعـــزازَ نفـــسي   ونـــبهني علـــى طـــيبِ الخمـــولِ

وقال

تخاطـــبني بـــلا كـــرمٍ وحلـــمٍ   فأحـــتملُ الأذى كـــرماً وحلمـــا
ولـــو حَـــسُنَ الجـــوابُ لكـــانَ عندي   جـــوابٌ يـــسمعُ[1] الـــصخرَ الأصما

وقال

حمـــاةُ مـــذْ فارَقَهـــا شـــيخُنا   قَـــدْ أعظـــمَ العاصـــي بهـــا الفـــريَهْ
صـــرتُ[2] كمـــن ينظـــرُها بلقعًـــا[3]   أو كالـــذي مـــرَّ علـــى قـــريَهْ

وقال

قـــلْ لِمـــنْ أعـــرضَ عـــنَّا   وتجـــافى وتعـــالى
مـــا بإعراضِـــكِ عـــنَّا   يُعـــرضُ اللهُ تعـــالى

---

(١) في نسخة: يفلق.

(٢) في نسخة: هوت.

(٣) في نسخة: هاربا.

وقال مضمنًا للمثل

مـــــريدُ القــــــضا بالقـــــرى[1]		لــــــــهُ حلـــــــبٌ قاعــــــــدَهْ
فــــــــيطلعُ في ألفِـــــــــه		ويــــــــترلُ في واحـــــــــدِهْ

وقال مضمنًا شطر بيت المتنبي

أحــدِّثُ عـــنْ أهـــلِ التـــزهد والتقى		وأجلـــو معانـــيهم ومـــا أنـــا مـــنهمُ
فلـــمْ تلـــقَ غـــيري طالحـــاً ظُنَّ صالحاً		ولَمْ تَـــرَ[2] قبلـــي ميـــتاً يـــتكلمُ

وقال

أجـــــزتُهم كـــــلَّ مـــــا أرادوا		إذا وفى شــــــــرطَهُ العزيــــــــزُ
قـــوماً أحـــقُّ الـــورى بمدحـــي		فهـــــا أنـــــا المـــــادحُ المجيـــــزُ

وقال دوبيت

يـــا خمـــرةَ ثغـــرِهِ الـــشهيِّ الـــبَرِقِ		مـــا حـــرمَك الـــشاربُ فارعيْ حقي
كانَـــــتْ شـــــفتاهُ حُـــــقَّ درٍّ بهـــــجٍ		والـــشاربُ قـــد جـــاءَ غطـــاءَ الحُـــق

وقال

ومـــالي إنْ لفظْـــتُ لكـــمْ بمـــدحٍ[3]		يحـــرِّفُهُ العـــدوُّ بـــضدٍّ لفظـــي
نَعَـــمْ هـــذا وأعظـــمُ مـــنهُ يجـــري		إذا كـــانَ المحـــبُّ قلـــيلَ حـــظِّ

وقال

أضـــعْتَ حقـــي لأجـــلِ لـــيني		وغـــيرُ ذا كـــانَ مـــنكَ أحـــسنْ
فاعـــدلْ ولا تغتـــررْ بحلمـــي		فالمـــاءُ كالـــنارِ إذْ يُـــسَخَّنْ

وقال

وآجـــرْتُ مجـــدَ الـــدينِ داري فلمْ يزلْ		يكلِّفـــني إصـــلاحَها وأماطـــلُ
لقـــد هُـــنتُ حتى صرْتُ للمجدِ فاعلاً		ألا في ســـبيل المجـــدِ مـــا أنـــا فاعـــلُ

---

(١) في نسخة: قضا قرية.

(٢) في نسخة: أرَ.

(٣) في نسخة: بحق.

وقال

يا مجدُ قَدْ فاتَ العُلى ... مَنْ لا ينامُ عنِ السُّرى
مَنْ يرتضي لفضيلتي ... إني أضارِبُ بالكرى

وقال

مرضَ الفؤادُ وصحَّ ودي فيهمُ ... وأقامَ تذكاري وجفني نازحُ
إنسانُ عيني كمْ سهادٍ كم بكا ... يا أيها الإنسانُ إنَّكَ كادحُ

وقال

وما أشبهَ الحمَّامَ بالموتِ لامرئٍ ... تَذَكَّرَ لكنْ أينَ مَنْ يتذكرُ
تجرَّد منْ أهلٍ ومالٍ وملبسٍ ... ويصحبُهُ مِنْ كلِّ ذلكَ مئزرُ

وقال

ألا يا نفسُ لا تعصي ... وقدْ صدَّقْتِ بالنصِّ
ألا يا نفسُ ما عذري ... إذا همْ غيَّبوا شخصي
ألا يا نفسُ هلْ عزمٌ ... لأسعى سعيَ مختَصِّ
وأتركُ لينَ ملبوسي ... إلى الترقيعِ في قُمْصي
وأنسى منزلاً رحباً ... بزاويةٍ منَ الخصِّ
وأهجرُ طيبَ مأكولي ... بأكلي يابسَ القرصِ
وأجهدُ في رضى ربي ... وأستبري وأستقصي
وأخشى فتنةَ الدنيا ... كما أخشى منَ اللصِّ
وأفنى عَنْ فنا نفسي ... حذارَ قصاصِ[1] مقتصِّ
فعكسي فيه إصلاحي ... كعكسِ النقشِ في الفصِّ
عدوي أنتِ يا نفسي ... فكمْ سعيٍ وكم حرصِ
ذنوبي في زياداتٍ ... وعمري لجَّ في النقصِ
أنا في غمرتي ساهٍ ... وأعمالي لها مُحْصِ

---

(١) في نسخة: وأسلمها لمقتص.

وقال مضمنًا للمثل المشهور في آل البيت عليهم السلام

يا آلَ بيتِ النبيِّ مَنْ بُذِلَتْ ... في حبِّكم نفسُهُ[1] فما غُبِنا

مَنْ جاءَ عَنْ بيتهِ يحدِّثُكم[2] ... قولوا لهُ البيتُ والحديثُ لنا

وكتب في آخر كتاب بخطه

فرغْتُ منهُ حامداً ... مصلياً مسلما

يا ربُّ فارحمْ مَنْ على ... كاتبهِ ترَجَّما

وقال

إنَّ الأرقاءَ غلاظٌ لُؤَما ... وكلُّ مَنْ جرَّب هذا عَلِمَا

ما أطيبَ المالَ وأحلى النِّعَما ... لولا مقاساةُ العبيدِ والإما

وقال

قالوا أيؤذيكَ و لمْ تَهجُهُ ... فقلتُ بعضُ الشرِّ يكفيني

قدْ ضرَّ دنياي فإنْ أهجُهُ ... تطرَّقَ الضرُّ إلى ديني

وقال كتب إلى الشيخ جمال الدين بن نباتة بأبيات نظمها القاضي علاء الدين ابن فضل الله كاتب السر في الديار المصرية وطلب الثناء عليها فكتبت إليه بهذه القصيدة

سناكَ يا بنَ الكرامِ الكاتبينَ سبا ... عظمْتَ قدراً وأرضيْتَ العلى نسبا

قرأتُ أبياتَكَ السحرَ الحلالَ فما ... أدري أنفحةُ مسكٍ أمْ نسيمُ صَبا

قصيدةٌ شِينَ صادُ لام هجتها ... يا عينَ مَنْ ألفَ الحسنى إذا كتبا

يائيةُ النظمِ لو أني أنقِّطُها ... بنقطةِ القلبِ ما أدَّيْتُ ما وجبا

قدْ صيَّرتْ أدمعَ المملوكِ جاريةً ... شوقًا إلى صَدْرِ مصر بحرُه عَذُبا

هذا هدى قد غوى قلبي ببهجته ... فصارَ كالصبِّ أصباهُ الهوى فصبا

---

(١) في نسخة: روحه.

(٢) في نسخة: يسائلكم.

فهـــامَ في كـــلِّ وادٍ مـــنه مجتنـــياً ... ثمـــارَهُ ولقـــولِ العـــذْلِ مجتنـــبا

قالـــتْ أغـــاني معانـــيه لـــسامعها ... اخلَـــعْ ثـــيابَكَ مـــنها ممعـــناً هـــربا

جـــددتَ آدابَ قـــومٍ بعـــد ما درسَتْ ... فلـــيسَ أطـــيبُ نـــصفيها الـــذي ذهبا

هـــذا قـــريضٌ عنِ الأفلاكِ[2] محتجبٌ ... كأنـــهُ الـــروضُ أبـــدى منظـــراً عجبا

يـــا ملـــزمَ الشعرِ أمرَ الشرعِ دونَ ريا ... أمـــا تحـــاذرُ فـــيمنْ وازنـــوكَ ربـــا

فـــإنَّ وزنـــاً بـــوزنٍ غـــيرَ أنَّ لمـــا ... نقـــولُ[1] فـــضلاً علـــيهم سهلُهُ صَعُبا

إنْ كـــانَ يمكـــنهم أنْ يـــنظموا درراً ... فلـــيسَ يمكـــنهم أن يـــنظموا شـــهبا

لم تـــبقِ للـــناظمينَ الناثـــرينَ مدى[7] ... إلا ســـبقْتَ إلـــيهِ تخـــرقُ الحُجُـــبا

فـــإنْ تحـــاوروا بمـــنظومٍ تدعْـــهُ سُدى ... وإنْ تـــباروا بمنـــثورٍ تـــذرْهُ[3] هَـــبَا

قـــدْ شَـــرَّفَ اللهُ مـــصراً أنتَ ساكنُهُ ... وزادَ[4] بـــكَ الكـــتابَ والكُتُـــبا

أنـــتَ المـــشارُ إلـــيه بالـــضميرِ فـــلا ... خُفِـــضْتَ يـــا علمـــاً للعلـــمِ قَدْ نُصبا

لا بـــدَّ للمبـــتدا في الفـــضلِ مِنْ خبرٍ ... يـــا حـــبذا مبـــتدا عـــنهُ الـــزمانُ نبا

فهـــل قـــضيةُ فـــضلٍ لا أبـــا حـــسنٍ ... لهـــا فـــلا عَـــتَبٌ[5] إنْ نلـــثم العتـــبا

فـــيكَ اخـــتلافُ معانٍ للجمالِ غَدَتْ ... بالاتِّفـــاقِ إلى نَـــيلِ العُـــلا سَـــبَبًا[6]

صـــفواً ولا كـــدراً دراً ولا صـــفراً[8] ... بحـــراً ولا خطـــراً شمـــساً ولا حجـــبا

أينكـــرُ الـــشعراءُ الـــنورَ مـــنكَ وهل ... أتـــى نظـــيرُكَ يـــا مَـــنْ بالجمالِ سبا

---

(١) في نسخة: تقول.

(٢) في نسخة: الأملاك.

(٣) في نسخة: تدعه.

(٤) في نسخة: فخرًا.

(٥) في نسخة: عتبا.

(٦) سقط من بعض النسخ.

(٧) في نسخة: يدا.

(٨) في نسخة: صدفا.

أصبحتَ نادرةً في العلمِ بادرةً تنسي سواكَ وتنشي العلمَ والأدبا
فهلْ أردتَ بما أبدَيت مِنْ حكمٍ أنْ تعذبَ الغيَّ أو أن تغوي العذبا
أمْ هلْ قصدْتَ بما أهديْتَ مِنْ كلمٍ أَنْ تطربَ الحيَّ أو أنْ تحيي الطربا
يا مَنْ حكى الدرعَ صوناً والمجنَّ تقى والسمهريَّ أخاً والمشرفيَّ أبا
لي منطقٌ غيرُ مبذولٍ وأنتَ به أولى على أنَّ لي من[1] بذله أَرَبا
إذْ لمْ يزلْ يبلغُ المملوكَ ذكرُكُمُ إياهُ جبراً وتأهيلاً ولا سببا
لكمْ يراعٌ بفضلِ اللهِ ماضيةٌ إنْ آثَرَتْ رغباً أو آثرَتْ رَهَبَا
تحلو وتعذبُ في سمعٍ وتملُحُ في سبقٍ فمنْ كلِّ وجهٍ سُمِّيَتْ قَصَبَا
مظلومةُ القدِّ في تشبيهها غصنا مظلومةُ الريقِ في تشبيهها ضَرَبَا

وقال في خياط

خياطُكُمْ مِنْ فوقِ كرسيِّهِ يحكي عروساً جُلِّيتْ للعبادْ
بدرٌ بدا في حسنِ لحظٍ لهُ مَنْ أخبرَ الناسَ بشقِّ الفؤادْ

وقال

ابنُ النقيبِ قالَ لي في النومِ وَهْوَ يبسمُ
صلُّوا عليَّ عندَكُمْ قلتُ نعمْ وسلموا

وقال

ما طلبْنا الخمولَ جهلاً ولكنْ ذاكَ عنْ خبرةٍ وعنْ تجريبِ
لو أمنَّا الزحامَ فيه لكُنَّا نشتهيهِ لصاحبٍ وحبيبِ

وقال

أيُّها المهدي لزيد زبدةٌ خذْ بالأخفِّ
قدْ تكلَّفتَ عظيماً نصفُ هذا كانَ يكفي

---

(١) في نسخة: في.

وقال

إذا مضى للمرءِ مِنْ عمرِهِ ... خمسونَ عاشَ العيشةَ السيئهْ
وإنْ شكا قالَ لهُ دهرُهُ ... احملْ فلي عندَكَ نصفُ المائهْ

وقال

مَلَكٌ هذا حبيبي أمْ ملكْ ... أيُّ مَنْ هامَ بِهذينِ هلكْ
إنْ سألتَ الوصلَ منه صاغراً ... قالَ لِمْ تسألُني ما ليسَ لكْ
أسبَلَ الشعرَ على أكتافِهِ ... قلتُ يا ليلي بِهِ ما أطولَكْ
وتشكَّى خصرُهُ مِنْ ردفِهِ ... قلتُ قَدْ أتعبَنَهُ ما أثقلَكْ

وقال

قد عمَّ خالُكَ حُسْناً ... في اللونِ يحكي بلالا
نعمْ نعمْ أنت سؤلي ... فلا تجبْني بلا لا
جفني غريقٌ وقلبي ... لا يستطيعُ بلالا
لألأءِ وجهِكَ يُغني[1] ... أنْ يحرسوك بلالا

وقال

أنا كالغارقِ في نائلِهِ ... لي مجموعٌ صغيرٌ عندَ مَنْ
أنْ تردُّوهُ على قائلِهِ ... نظمُهُ نظمٌ معيبٌ حقُّكُمْ

وقال

طيبُ الخمولِ يصدُّني ... عَنْ مدحِهِ بسوى الرموزِ
كنزٌ بهِ ظفرتْ يدي ... والكتمُ مِنْ شرطِ الكنوزِ

وقال

أَسَفي كيفَ كنتُ أطلبُ عزاً ... بالولاياتِ وَهْيَ عَيْنُ الهوانِ
كنتُ لا أعرفُ الخمولَ لجهلي ... ليتني كنتُ خاملاً مِنْ زمانِ

---

(١) في نسخة: حسنك تغني.

وقال

يــا كامـــلَ الخلقـــةِ مـــعْ فقـــده لأصـــبعيهِ مـــا بــــذا ذامُ
لـــيسَ لمعـــروفكَ ســـبابةٌ ولا لإحـــسانكَ إبهـــامُ

وقال مضمنًا أشطارًا وهي من البدائع

أتعـــتادُ التكاســـلَ والتـــصابي إذا اعـــتادَ الفـــتى خـــوضَ المـــنايا
حُـــرِمْتَ قـــيامَ لـــيلٍ في خـــشوعٍ وأنـــتَ المـــرءُ تُمرضـــهُ الحـــشايا
أمـــنْتَ ســـهامَ دهـــرِك حيث[4] ترمي وهـــلْ يخطـــي بأســـهمهِ الـــرمايا
لقـــيتَ الـــناسَ في غـــشٍّ فهـــاهُمْ لقـــوكَ بأكـــبُدِ الإبـــلِ الأبايـــا[1]
فكـــمْ تهـــدي لقـــومِكَ مِـــنْ سبابٍ ولـــستُ بمنكـــرٍ مـــنكَ الهـــدايا
أمـــا تبقـــي لـــصلْحٍ مِـــنْ مكـــانٍ ولـــو لم تـــبقِ لم تعـــشِ الـــبقايا
فلـــو للـــذنبِ ريـــحٌ لافتـــضحنا وأُســـقطت الأجـــنةُ في الـــولايا
فعلْـــتَ الـــذنبَ بعـــدَ الـــذنبِ جهلاً وهـــانَ فمـــا تـــبالي بالـــرزايا
فـــلا تـــركبُ مطايـــا الجهـــلِ إني أحـــاذرُ أنْ تـــشقَّ علـــى المطايـــا[2]
وكـــمْ قـــدْ أفـــنت الدنـــيا ملـــيكاً بعـــيدَ الـــصيتِ مُنْـــبَثٌّ الـــسرايا
إذا قـــالَ الجهـــولُ الـــناسُ مثلـــي تفـــرِّقُهم وإيـــاهُ الـــسجايا
فمـــنْ لي بالمـــتابِ لعـــلَّ نفـــسي يُعلِّلـــها نطاســـيٌّ[3] الـــشكايا

وقال مضمنًا مهتدمًا من شعر أبي العلاء المعري

قـــلْ لمـــنْ سُـــرَّ بالـــولايةِ مهمـــلاً ذاكَ عـــيشٌ معجَّـــلُ التنكـــيدِ
وتـــصدِّيكَ للعظـــائمِ صـــعبٌ وَهْـــوَ أشـــفى لغـــلِّ صـــدرِ الحقـــودِ

---

(١) في نسخة: الأنايا.

(٢) في نسخة: المنايا.

(٣) في نسخة: تعللها من النكر.

(٤) في نسخة: حين.

غصصٌ هذهِ المناصب تُضني وتشقُّ القلوبَ قبلَ الجلودِ
تعبٌ كلُّها الحياةُ فما أعـ جبُ إلا مِنْ راغبٍ في المزيدِ
إنَّ حزناً في ساعةِ العزلِ أضعا فُ سرورٍ في حالةِ التقليدِ

وقال وكتب بها لابن ريان

أخجلْتَني بتواترِ الإحسان حتى وهى فكري وكلَّ لساني
قدْ كنتُ مِنْ عزٍّ وجاه ظامئاً حتى استندْتُ إلى بني ريَّانِ
فغدوتُ أُذكرُ للمنصاب[2] والعلى هذي فوائدُ صُحْبَةِ الأعيانِ
لولا جمالُ الدينِ لم أُذكرْ ولو أني أكونُ الشافعيَّ الثاني
معْ أنني راجٍ بطولِ حياته أشياءَ كانَ طلابُها أعياني
قدْ شاعَ بينَ النسا[3] أني نشؤُهُ وليَ الفخارُ بأنَّهُ أنشاني
سمعوا عنايتهُ الشريفةَ بي[4] فما مِنْ صاحبٍ إلا بهِ هنَّاني
مولايَ أنتَ بدأتَ بالحسنى وَمَنْ هوَ هكذا واللهِ لا ينساني
فبلفظةٍ أو لحظةٍ مِنْ جاهكمْ[5] أسمو فأصبحُ عاليَ البنيانِ
وعلى بهاءِ الدين أثني بالذي في الجامعِ المعمورِ قَدْ أولاني[1]
ما كانَ منهُ فإنَّ منكَ وجودَهُ ومنَ الأصولِ منابتُ الأغصانِ
بمروءةٍ طائيةٍ منكَ اقتدي هي أولٌ وهو المحلُّ الثاني
أعطيتُ منكَ عنايةً ومحبةً الحمدُ للهِ الذي أعطاني
وإذا أرادَ اللهُ نشرَ فضيلة طُويَتْ أقامَ لها رئيسَ زمانِ
لا زلتَ تَنْصُرُ مَنْ ينيلُ مساعياً محمودةٌ وحُرِسْتَ بالقرآنِ

---

(١) في نسخة: والاني.

(٢) في نسخة: للمناصب.

(٣) في نسخة: الناس.

(٤) في نسخة: لي.

(٥) في نسخة: حاكم.

وقال

الـــواعظُ الأمـــردُ هـــذا الـــذي ... قـــدْ نـــزَّهَ الأسمـــاعَ والأعْيُـــنا
فلفظـــــهُ يأمـــــرُنا بالتقـــــى ... ولحظُـــــهُ يأمـــــرُنا بالخـــــنا

وقال

فـــلانُ واليـــنا علـــى رغمِـــنا ... لا بـــاركَ الـــرحمنُ في عمـــرِهِ
جَفْنـــتُهُ أضـــيقُ مِـــنْ جفـــنِهِ ... وقَـــدْرُهُ أصـــغرُ مِـــنْ قـــدْرِهِ

وقال

وواعـــظ قَـــدْ أقـــام عـــذري ... في حـــبِّه ذلـــكَ العـــذارُ
ذكَّـــرنا جـــنَّةً ونـــارا ... وخـــدُّهُ جـــنَّةٌ ونـــارُ

وقال

قـــامَ علـــى كرســـيِّهِ واعظـــاً ... ينهـــى بـــضدِّ الأمـــرِ مِـــنْ مقلتـــيهْ
فلفظُـــهُ يأمـــرنا بالتقـــى ... ولحظُـــهُ يدعـــو الـــبرايا إلـــيهْ
ذكَّـــرَ بالجـــنةِ والـــنارِ مِـــنْ ... ألفاظِـــهِ الغـــرِّ وَمِـــنْ وجنتـــيهْ

وقال وكتب بها إلى شمس الدين محمد بن النقيب بعد عزله عن حلب

دعـــاني بعـــدَكُمْ قـــومٌ وقالـــوا ... لِيَهْـــنِكَ شـــهرةً في العالميـــنا
أتحلـــفُ لا تـــنوبُ لمـــنْ ســـواهُ ... فقلـــتُ نعـــمْ وغلَّظْـــتُ اليميـــنا
أروني[1] مـــثلَهُ لأنـــوبَ عـــنهُ ... فـــإني قَـــدْ عـــدمْتُ لـــهُ القـــرينا
إمـــامٌ عـــندَهُ للفـــضلِ ســـوقٌ ... أرى فرضـــاً محبـــتَهُ وديـــنا
ومـــا وحـــدي فُجعْـــتُ بـــهِ ولكـــنْ ... لقـــدْ عـــمَّ الـــبريَّةَ أجمعيـــنا
تملَّيْـــنا[2] بأنعمـــهِ زمانـــا ... وعـــشْنا في مكارمـــهِ ســـنينا
أعـــادَ اللهُ دولـــتَهُ قـــريباً ... وجـــازاهُ جـــزاءَ المحـــسنينا

---

(١) في نسخة: وهاتوا.

(٢) في نسخة: تهنأنا.

وقال

تـــولى الـــناسَ محتـــسبٌ غلـــيظٌ ... فقامـــتْ للغـــلا في الـــسوقِ ســـوقُ
ولـــو عـــزلوه جـــاءَ الـــرخصُ يسعى ... إذا عُـــزل الغلـــيظُ أتـــى الدقـــيقُ

وقال

قـــدْ مُطـــرنا بـــرحمةِ اللهِ ربي ... وهجـــرْنا الـــنجومَ والأنـــواءَ
كـــم بكيـــتمْ إذْ أصـــبحَ المـــاءُ غوراً ... فاضـــحكوا حـــيثُ أصـــبحَ الغورُ ماءَ

وقال

إنْ أَكُ بـــراً فأنـــا فاجـــرٌ ... بجـــرِّيَ الـــشوكَ إلى الـــوردِ
آخُـــذُ مِمَّـــنْ لـــيسَ لي عـــنده ... أعطـــي لمـــنْ لـــيسَ لـــهُ عـــندي

وقال

وليَ القـــضاءَ وصـــارَ لا ... يلـــوي ولا يتـــرفَّقُ
هـــا قَـــدْ تفـــرَّقَ شملُـــهُ ... إنَّ القـــضاءَ مفـــرَّقُ

وقال

بحـــضورِكُمْ نـــتجمَّلُ ... وبقـــربِكُمْ نـــتأهلُ
وبكـــمْ يـــتمُّ ســـرورنا ... فتـــصدَّقوا وتفـــضلوا

وقال

بحـــضورِكُمْ نتـــشرفُ ... وَإِلـــيكمُ نتـــشوَّفُ
وبِكـــم يـــتمُّ ســـرورنا ... فتـــصدَّقوا وتَعَطَّفـــوا[1]

وقال

بجـــنابكم نـــتعلقُ ... وإلـــيكم نتـــشوَّقُ
وبكـــم يـــتمُّ ســـرورنا ... فتفـــضلوا وتـــصدقوا

---

(١) سقط هذان البيتان من بعض النسخ.

وقال

حـــضورُكم غايـــةُ إيناســـي وقـــربُكم تذكـــرةُ الناســـي
فـإنْ حـضرتُمْ كـانَ مـن فضلِكُمْ لا بـدَّ للـناسِ مـنَ الـناسِ

وقال

يـا مَـنْ هـمْ للعـينِ قـرَّهْ ولبيـتِهِمْ قـدرٌ وقـدرهْ
مُـنُّوا علينـا واحـضروا فحـضورُكم أصـلُ المـسرَّهْ

وقال

مَـنْ وليَ الحـسبةَ يـصبرْ علـى تعـرُّضِ الواقـفِ والـسائرِ[1]
فلـيسَ يحظـى بـالمنى والغـنى فـيهم سـوى المحتسبِ الـصابرِ

وقال

مـولايَ إنـكَ محـسنٌ قـسماً وإنـكَ ثمَّ إنـكْ
فلأشـكرنَّكَ مـا حيـيـتُ وإنْ أمـتْ فلتـشكرنكْ

وقال

فَعَلَـتْ وقالـتْ قـامتي كالغـصنِ قلـتُ ولا سـواءُ
الغـصنُ حـرَّكه الهـوا ءُ وأنـتِ حـركْتِ الهـوى

وقال

رومـيةُ الأصـلِ لهـا مقلـةٌ تـركيةٌ صـارمُها هـندي
قَـدْ فـضحتني مقلـتاها[2] فقـلْ في وجـنةٍ فاضـحةِ الـوردي

وقال

حمَّـى فـلان أطـبقَتْ لَيْـتَها دامَـتْ فـزادتْ كـبْدَهُ كَبْـتَا
وقـالَ دعـني مـا أنـا طـيِّبٌ[3] فقلـتُ خبِّـرْني مـتى طِبْـتا

---

(١) في نسخة: العابر.

(٢) في نسخة: وجنتاها.

(٣) في نسخة: طيبا.

وقال

يميـــناً لا ذممـــتُكَ طـــولَ عمـــري ... ولا دنَّـــسْتُ إثـــباتي بِمَحْـــوِكْ
ولا خلَّـــدْتُ ذكـــرَكَ في كـــتابٍ ... ولا نجَّـــستُ ديـــواني بهجـــوِكْ

وقال

وقائـــــلٍ لي طـــــرفُهُ فاتـــــرٌ ... قلـــتُ وبالـــنونِ وبالكـــافِ
مـــنْ جـــبلِ الـــريانِ أردافُـــهُ ... وصـــدغُهُ المعطـــوفُ مـــنْ قـــافِ

وقال

وَجْـــدي طـــويلٌ عـــريضٌ في محبـــتهِ ... بالطـــولِ والعـــرضِ مِنْ شعرٍ ومن كفلِ
تـــرتجُّ أردافُـــهُ مـــشياً فينـــشدُها ... يـــا حـــبَّذا جـــبلُ الـــريانِ مِـــنْ جبلِ

وقال

قـــال لهـــا الـــشيخُ واصـــليني ... قالـــتْ أَقلْـــني الوصـــالَ للهْ
مـــا يطلـــعُ الـــبدرُ في نهـــارٍ ... وطـــاقتي مـــا تحـــبُّ ســـلَّهْ

وقال

مدامـــــــةٌ رقَّـــــــتْ ... فقـــــال جلاَّســـــــي
أكاسُـــــــها فـــــــيها ... أمْ هـــــــيَ في الكـــــــأسِ

وقال

في الزهـــرِ جـــاءَ الـــصيامُ فاعترضَـــتْ ... حبيـــبتي قلـــتُ لا أدنِّـــسُهُ
قالـــت فخـــدِّي وردٌ فدونَكَـــهُ ... قلـــتُ ســـياجُ الـــصيامِ يحرسُـــهُ

وقال

قلـــتُ يـــا هـــندُ طببـــيني بوصـــلٍ ... تنعـــشيني فالـــصبُّ بالوصـــلِ حيْ[1]
فكـــوَتْ بالـــصدودِ قلـــبي وقالـــتْ ... هـــاكَ طـــبي وآخـــرُ الطـــبِّ كـــيْ

---

(١) في نسخة: فليس كالوصل شيّ.

وقال

ليتني أبصرُ المعرةَ قاعاً صفصفاً كالكفيرِ أو كسياثا[1]
لو تولى في يومِ الاثنينِ فيها أحدٌ[2] طلَّقَ الحياةَ الثلاثا[3]

وقال

إنِ استوى في العلمِ قومٌ فقدْ تختلفُ النياتُ والقلبُ
العلْمُ مثلُ النهرِ لما جرى يشربُ منهُ الليثُ والكلبُ

وقال وكتب بها جوابًا إلى الشيخ بدر الدين الزمكي المعري بطرابلس

أزهر أفق أم الأزهار والغدر كتابكم أم سرور النفس والوطر
قرأته فجرى في كل جارحة كأنما أنا وهو الماء والشجر
لله ألفاظه الغرّ العذاب فقد علت على الدر أين الدر والكبر
فمنْ يقلْ هي كالدرِّ الثمينِ فقلْ أخطأتَ إنْ لم تقلْ عنها ولا صغرُ
مولايَ كلَّ لساني عن جوابكَ وال مأمولُ تمهيدُ عذري حينَ أعتذرُ
وإنما أنا عبدٌ من عبيدِكَ مِنْ دأبي ابتداءً دعاءٌ صدقُهُ خَبَرُ
لو حطَّ رحلي فوقَ النجمِ رافعُهُ ألفيتُ ثمَّ خيالاً منك ينتظرُ
وسرعةُ القاصدِ الميمونِ طائرُهُ هيَ اقتضتْ أنني في القولِ أختصرُ
كتبْتُها وَهْوَ مجتازٌ على سفرٍ ما حالُ نظمٍ إذا ما أعجلَ السفرُ
لا زلتَ تجبرُ قلباً أنتَ ساكنُهُ ولا تزالُ بكَ العلياءُ تفتخرُ

وقال في صدر كتاب إلى ابن أخيه

يا بنَ أخينا أقمْتَنا أبدا لشكرِ مَنْ أنتَ عندَهُ قاعدْ
أخجلتنا بالجميلِ فيكَ فمن فَرَضْتَ منَّا فشاكرٌ حامدْ

---

(١) في نسخة: كثباثا.

(٢) في نسخة: واحد.

(٣) في نسخة ثلاثًا.

قاضي القضاةِ المهذبُ الفطنُ الـ أروعُ كهفُ المسودِ والسائدْ
أوحدُ في الفضلِ لا نظيرَ لهُ أيَّ الرجالِ المهذبُ الماجدْ
بعثتُ بالبهجةِ التي طُلبَتْ خجلانَ من ضعفِ خطِّها الفاسدْ
وإنني لَوْ شرعتُ أَحْمَدُها أضحكَهُ أنني لها حامدْ
وأعجلَ القاصدُ المسيرَ فلمْ أجدْ سواها لسرعةِ القاصدْ
وكان في نيَّتي أجهزها بنسخةٍ لا يعيبُها الناقدْ
فابسطْ ليَ العذرَ عندَ ذي كرمٍ مِنْ جودِهِ أن ينفِّقَ الكاسدْ
واذكر لمولاكَ كيفَ نحنُ لما أولاكَ مِنْ فيضِ جودِهِ الزائدْ
وصفْ لهُ عنيَ الدعاءَ لهُ أمْ عندَ مولاكَ أنني راقدْ
جعلتنا الكلَّ في ضيافته وعندَهُ أنَّ عندَهُ واحدْ
لا زالَ كهفاً لمن يلوذُ بهِ فَهْوَ لأهلِ العلومِ كالوالدْ

وقال

أتهزأُ بي لَّما أجدُّ وتلعبُ وتعجبُ مِنْ حالي وحالُكَ أَعْجبُ
ألا طالما قَدْ كنتُ مثلكَ ساعياً لجاهٍ ومالٍ جاهداً أَتَطَلَّبُ
وطالَ اجتنابي للخمولِ فذقتُهُ فطابَ فأحببْتُ الذي أتجنَّبُ
وما العيشُ إلا في الخمولِ مع الغنى فشكراً لمنْ في فضلِهِ أتقلَّبُ
رضيتُ كسادي واستخرْتُ بطالتي وقلبيَ مسرورٌ وعيشيَ طيِّبُ
وما ذاكَ عَنْ مالٍ جزيلٍ وإنَّما كفاني كفافٌ والقناعةُ تغلبُ
ولو ذقتُم طيبَ القناعةِ مُتُّمُ عليها ولكنْ بدرُها يُتهيَّبُ
تركتُ لكمْ عزَّ القضاءِ وجاهَهُ وأبعدتُ عنهُ خائفاً أترقبُ
فقوموا على ساقَيْ حديدٍ وشمِّروا لنيلِ علاءٍ واهجروا النومَ واطلبوا
وميلوا وجولوا واحكموا وتخولوا وصولوا وطولوا وانبذوا الزهدَ واهبوا
ستعلَمُ نفسٌ أيَّ حملٍ تحمَّلَتْ ليومٍ أسى مِنْ هولِهِ الطفلُ أشيبُ

لقــدْ نلْــتُ مِــنْ كــنزِ القناعةِ بغيتي ... وجانــبتُ حرصَــي والحريصُ معذَّبُ
وعفْــتُ بــني الدنــيا وغادرْتُ برَّهُمْ ... لغــيري فــلا أشــكو ولا أتعــتَّبُ
فــيا لائمــاً قَــدْ لامَ في تــركِ منصبٍ ... خُطــبتُ لــهُ تَرْكــي لــذلك منصبُ
كــذا ســنَّةُ الدنــيا إذا تركَ الفتى ال ... مناصــبَ جاءَتْــهُ المناصــبُ تخطــبُ
أأرجــعُ بعــدَ العــتقِ في الــرقِّ ثانياً ... فــلا أمَّ لي إنْ كــانَ ذاكَ ولا أبُ
تــركْتُ حــسودي والــولاياتُ همُّــهُ ... يجاهــدُ في تحــصيلهنَّ ويــدأبُ
ومــا جهلــتْ نفــسي المعالي وطيبَها ... ولكــنْ رأتْ أنَّ الــسلامةَ أطــيبُ
أصــونُ الــذي عُلِّمــته عــنْ مذلــةٍ ... فللعــزِّ في الــدارينِ قــد كنتُ أتعبُ
ورحْــتُ خفيفَ الظهرِ عنْ منَّةِ امرئٍ[٢] ... تهــتَّكَ بالآثــامِ وَهْــوَ محجَّــبُ
يقــالُ لــهُ قاضــي القــضاة تعــدِّياً ... وظلمــاً وهــذا القــولُ للهِ أوجــبُ
ولــو أنــني أرضــى الهجــاءَ ذكــرتُهُ ... صــريحاً ولكــنَّ الكــنايةَ أَهْــيَبُ
تلــبَّسَ أثــوابَ الــرياءِ تَــصنُّعا ... ليغــسلَ عــنهُ الــذمَّ والطــبعُ أغلب
غــدا بَعْــدَ حَــرِّ الفقــرِ رطــباً مبرَّداً ... وقــدْ بــانَ لي أنَّ المــبرَّدَ ثعلــبُ
يقولــون لي فــيكَ انقــباضٌ وإنمــا ... رأوا رجــلاً عــنْ موقفِ الذلِّ يهربُ
ولــو شــئتُ فقتُ الكلَّ حرصاً وجرأةً ... فأُرضــي[١] بجمعــي وأرثــي وأَغضب
أأكــثرُ أمــوالاً واحمــلُ إثمَهــا ... وأتــركُها للــوارثينَ وأذهــبُ
علــى اللهِ رزقُ الــوارثينَ وغيرِهــم ... فَــبُعْداً لــشخصٍ مِنْ سوى اللهِ يطلبُ

وقال

تقــويمُ قــدِّكَ صــحَّ يــا مَــنْ ثغرُهُ ... درٌّ يقــصِّرُ دونَــهُ الــتقويمُ
إني لأبكــي مِــنْ جفــاكَ ولي أبٌ ... والثغــرُ يــضحكُ مــنكَ وهُــوَ يتيمُ

---

(١) وأرضى.

(٢) في نسخة: حمل منة.

وقال موشحًا

مَـــنْ قـــصدُهُ يرشـــفُ مـــاءَ اللمـــى ... يـــصبرُ في الحـــبِّ لمـــا ألمـــا

بي وبَمَـــنْ قـــد لامـــني مـــن صـــلا ... شـــباك طـــرفٍ وانتـــضى منـــصلا

وبعـــــدما تـــــيَّمني بلـــــبلا ... فـــؤاديَ المـــضنى بلـــي بـــل بـــلا

يـــا عـــاذلي رفقـــاً فقـــد ضـــرَّ مـــا ... في مهجـــتي مِـــنْ هجـــرِهِ ضـــرَّ مـــا

أهـــوى حبيـــباً وجهُـــهُ قـــد حُبِـــي ... حـــسْناً بـــه يـــستعذبُ القـــدحَ بي

فَهْـــــوَ ملـــــيءٍ لازمُ المطـــــلِ بي ... مـــا نلـــتُ مِـــنْ تقبـــيلِهِ مطلـــبي

قلـــبي إلى نـــارِ الجـــوى أســـلما ... فلـــــو رآهُ كافـــــرٌ أســـــلما

لم أحـــتملْ مَـــنْ لامـــني أو ســـعى ... فانـــصحْ لغـــيري مـــرةً[1] أوســـعا

ســـيَّانِ مَـــنْ لم يـــدعُ لي أو دعـــا ... فـــيمنْ بقلـــبي جمـــرةٌ أودعـــا

فـــتى علـــى ســـفكِ دمـــي أقـــدما ... ومـــا رعـــى لي مـــوثقاً أقـــدما

مـــا ضـــاعَ فـــيه ســـهدُ عـــيني ولا ... يـــضيعُ مـــني في علـــيٍّ ولا

يحـــيا بـــهِ يحـــيى فمـــا أجمـــلا ... مـــسعاهُ في تفـــصيلِ مـــا أجمـــلا

يـــا خلعـــةَ الملْـــكِ لقـــد رقَّ مـــا ... علـــيكَ يحـــيى وابـــنُهُ رقمـــا

أرهـــفَ أقـــلامَ المعـــالي وســـنْ ... فناظـــرُ الملـــكِ بـــهِ في وســـنْ

ذلـــك فـــضلُ اللهِ يؤتـــيهِ مَـــنْ ... يـــشاءُ يـــولي المـــرءَ مـــنْ غـــيرِ مَنْ

فـــــراحتاهُ أيَّـــــةٌ مـــــنهما ... تلامـــسُ[2] الـــصخرَ جـــرى مـــنه ما

تهـــذي بـــه العلـــيا لتهذيـــبه ... وألـــسنُ الحـــسادِ تهـــذي بـــهِ

فـــتى كـــشيخٍ حـــسن تجـــريبه ... ســـوابقُ التوفـــيقِ تجـــري بـــه

والدهـــرُ عـــبدٌ لعـــلاهُ فمـــا ... يخلـــي مـــنَ الأمـــداحِ فـــيه فمـــا

مـــا نـــصبَ الـــسلطانُ فـــيمنْ نصبْ ... مـــثلَ عـــلاءِ الـــدينِ ينفـــي نـــصبْ

---

(١) فورًا.

(٢) يلامس.

يـــا محـــيـــاً للفضـــلِ ذكـــراً ذهـبْ تنـــشي لـــلفنا دراً فنـــشي ذهـــبْ
أنـــــشرَ تأهـــيلُكَ لي أعظمــــا فحـــــقَّ لي واللهِ أنْ أعظمــــا

وقال وقد أخرج الخليفة أبو الربيع سليمان إلى الصعيد

أخـــرجوكم إلى الـــصعيدِ لعـــذرٍ غـــيرُ مجـــدٍ في ملـــتي واعـــتقادي
لا يغيِّـــرْكُم الـــصعيدُ وكونـــوا فـــيهِ مـــثلَ الـــسيوفِ في الأغمـــادِ

وقال

قالـــــتْ حكـــــى ليَ شـــخصٌ مـــا قلـــتَ قلـــتُ كـــذوبُ
قالـــــتْ فـــذلكَ عَـــدْلٌ في الـــنقلِ قلـــتُ أتـــوبُ

وقال مضمنًا للمثل المشهور

ربَّ مـــسطولٍ تولَّعْـــنا بـــهِ[1] قـــالَ مـــا أنـــتمْ ومـــا هـــذا الولـــعْ
يفعـــلُ القنـــبسُ بي مـــا يـــشتهي في يـــدي كـــانَ وفي رأســـي طَلَـــعْ

وقال

بـــينَ النـــسا والمـــردِ مـــا بـــينَ الثـــريَّا والثـــرى
وانظـــــرْ إلى تجـــــانسٍ بـــينَ النـــسا والـــشُّعَرا

وقال

ردفهـــا والخـــصرُ مـــنها جـــلَّ مَـــنْ أربى ودقَّـــقْ
نهـــدُها يُطفـــي لهـــيي فَهْـــوَ رمـــانٌ محقـــقْ

وقال فيما كتب به على سيف

مَـــنْ كـــانَ ذا ظفـــرٍ فـــلا يـــأمنْ فإنِّـــي غـــيرُ نـــابِ
أصـــبحتُ مـــرهوبَ الـــسطا فالأُسْـــدُ تهـــرُبُ مِـــنْ ذبـــابي

---

(١) أطلنا عذله.

وقال

أتـــيت بـــبدعة فيـــنا   فأبديـــنا لهـــا العَجَـــبا
أيقطـــعُ طـــرفُكِ المــــسنو   نُ قلـــبي وهُـــوَ قَـــدْ وجـــبا

وقال

قلـــبيَ بـــينَ صـــدغه   وخـــدِّه تَقَـــسَّما
مَـــنْ ذا الـــذي مـــا شـــاقَهُ   ذكـــرُ زرودَ والحمـــى

وقال

رشـفْتُ عـندَ اللقـا مِنْ حلوِ ريقَتِها   قَطْـرَ النـباتِ فـزالَ البؤسُ واللهبُ
وقـالَ أبـشرْ بطـولِ الوصلِ في دعةٍ   فـأوَّلُ الغـيثِ قطـرٌ ثمَّ ينـسكبُ

وقال

جائـعٌ طامـعٌ طلـوعٌ غـشومٌ   عـمَّ في جـورِه الأنـامَ جمـيعا
صـفر الـربْعُ في المحـرَّمِ مـنْهُ   لـيسَ محـرِّماً بـل ربـيعا

وقال

هُنِّـيتَ مولـوداً بـه   صـحْفُ الهـنا مُنَـشَّرَهْ
فاصـنعْ[2] لـه عقـيقةً   فقـد رزقـت[1] جوهَـرَهْ

وقال

شَـبَّهْتُ خـدَّ حبـيي   تـشبيهَ فكْـرٍ مـبرَزْ
مقامـةٌ للحريـري   وشـرحُها للمطـرزْ

وقال

قـالَ عـذولي كـفَّ عـنْ   تـركِ الخطـا واخـشَ الـسطا
وقعـتُ في عـينِ الخطـا   فقلـتُ في عـينِ الخطـا

---

(١) فلقد حبيت بجوهره.

(٢) لا تبخلن بـــ.

وقال

أنــــا في حــــال نقــيص يــــا شموســـاً في البـــزوغ
هـــرمَ الـــصبرُ علـــيكم والمـــنى دونَ الـــبلوغ

وقال

دمـشقُ قـلْ مـا شئتَ في حسنِها[1] واحـكِ عـنِ الـربوةِ مـا تحكـي
فـالطيرُ قـد غنَّـى علـى عـودِهِ في الـروضِ بـينَ الـدفِّ والجـنك

وقال

قـــالَ عُـــذّالي علـــيهِ وجـــوابُ الـــزينِ زيـــنُ
مـــا الـــذي أصـــباكَ[2] مـــنْهُ حاجـــبٌ قلـــتُ وعـــينُ

وقال

لي صـاحبٌ وهُـو نحـويٌّ لهُ ذهبٌ يقـولُ حـينَ يـرى في الـبخلِ عُذَّلَهُ
إنَّ الـدنانيرَ جمـعٌ لا نظـيرَ لـهُ فكـيفَ أصـرف جمعـاً لا نظـيرَ لهُ

وقال

قـــال داري مـــضيئةٌ قلـــتُ واللهِ مظلمـــهْ
فـــابنِ بالجـــورِ قاعـــةً ســـتراها مُـــرَخَّمهْ

وقال

إني وقفـتُ سـبيلاً قـد رجـوتُ به مـثوبةً فاعـتدالي قَـدْ أمـالكُم
عارضـتموهُ بمـا لم يرضـني سـفهاً فقلـتُ خلُّـوا سـبيلي لا أبـا لكم

وقال

قبَّلْـــتُها للتلاقـــي تقبـــيلَ شـــاكٍ وشـــاكرْ
وقلـــتُ شـــوقي بـــادٍ قالـــتْ ووصـــلي حاضـــرْ

---

(١) وصفها.

(٢) أضناك.

وقال

بلّغوني عنه بغضاً وأذى ... فأتاني منهما يعتذرُ
وادّعى فيَّ ولاءً قلتُ لا ... أنتَ مِنْ سرمينَ واسمي عمرُ

وقال

قَدْ عَجَبْنا لأميرٍ ... ظلمَ الناسَ وسبَّحْ
فَهْوَ كالجزّارِ فيهم ... يذكرُ اللهَ ويذبحْ

وقال

رُبَّ رسَّامٍ مليحٍ ... حَسَنِ الطلْعةِ كاسِمهْ
وضنى جسمي عليهِ ... هيِّنٌ فَهْوَ برسمهْ

وقال وقد صادر لؤلؤ الناس

أشكو إلى الرحمن لؤلؤاً الذي ... أضحى يصادرُ سادةً وصدورا
نثرَ الجنوبَ بل القلوبَ بسوطِهِ ... فمتى أشاهدُ لؤلؤاً منثورا

وقال وقد امتلأ العالم سرورًا، وأصبح لؤلؤًا منثورًا، فإنه ملك بعد ما ملك، وعوقب حتى هلك

ألؤلؤُ قَدْ ظلمْتَ الناسَ لكنْ ... بقدْرِ طلوعِكَ اتفقَ النزولُ
كبرْتَ فكنتَ في تاجٍ فلمَّا ... صغرْتَ سُحقْتَ سنَةَ كلّ لولو

وقال مواليا

حمَّامُكُمْ فيهِ قيِّمُ منظرُهُ[2] يُسبي ... غسلني[1] بالدمعِ ثمَّ أنشد كذا صبي
جعل مسنَّهُ وموسه[3] والحجر نصبي ... قال ذا عذاري وذا طرفي وذا قلبي

---

(١) وغسلن.

(٢) منظرو.

(٣) قوسو.

وقال في فقير

بي فقـــيرٌ بـــــل غـــنيٌّ ... بـسنا وجـــــهٍ مـــنيرِ
لا تلمْـــــني في افتـــــضاحي ... فغرامـــــي بــــــالفقيرِ

وقال

لاعـــبْتُ بالـــشطرنجِ مَـــنْ ... أضـــحى كــشمسٍ طالعَـــهْ
نفـــسي بـــه ماتـــتْ ومـــا ... تعجـــــبُني المقاطعَـــــهْ

وقال

محـــــــدِّثٌ كالـــــبدرِ في ... هالـــــةِ قـــــوم محدقَـــــهْ
عـــشَّاقُهُ مِـــنْ حـــولِهِ ... هـــمُ رجـــالُ الحلقَـــهْ

وقال

بـــبابِ فـــردوسِ حلـــبْ ... ســـطرٌ بـــأعلاهُ عجـــبْ
فـــيه صـــحافٌ مـــن ذهـــبْ ... هُـــنَّ صـــحافٌ مـــنْ ذَهَـــبْ

وقال

إني لمجـــــنونٌ بمجــــــنونةٍ ... يغـــارُ مِـــنْ قامَـــتها الغـــصنُ
فمـــن عُذَيْـــري في هـــوى ظبـــيةٍ ... قَـــدْ عَـــشِقَتْها والإنـــسُ والجـــنُّ

وقال

حكـــــى العقـــيقَ والـــنقا ... بالـــــرملِ والأنامـــــلِ
وقـــال وصـــلي عقلـــةٌ ... إلاّ بقـــــبضٍ داخـــــلِ

وقال

ســـيِّدي زادَ انــــتحالي ... فـــيكَ حـــتى حـــالَ حـــالي
كـــنتُ أبكـــي مـــن عـــدوِّي ... فعـــدوِّي قـــد بكـــى لي

وقال

وعاذلـــةٍ رأتْ محـــبوبَ قلـــبي ... فكـــانَ لهـــا بطلعـــتِهِ افتـــنانْ
وجـــاءتْ وَهْـــيَ ســـكرى مـــنْ هواهُ ... وقالـــتْ لـــيسَ كالخَبَـــرِ العـــيانْ

وقال

ناســـــخٌ راســـــخُ الــــــروا دفِ والخــــصرُ قــــدْ طفـــــا
قــــد بـــــرى الجــــسمَ عـــندما نـــــسخَ الوصــــلَ بالجفــــا

وقال

ناشــــدتُهُ أنـــــتَ نحـــوي فــــشدَّدَ الـــياءَ عامــــدْ
وقلــــــتُ أنــــــتَ كـــريمٌ فقـــالَ والكـــافُ زايـــدْ[١]

وقال

يعـيبُ شـعريَ أقـوامٌ وأعـذرُهُمْ فـإنَّ شـعريَ ورديٌّ وهـمْ جعـلُ
شـعري وإنْ كـانَ سهلاً فَهْوَ ذو ثقلٍ علـى حـسوديَ فَهْـوَ السهلُ والجبلُ

وقال

لـــسانُ حـــالِ عـــذارٍ مـــنْ هاجـــري ليَ قائــــلْ
لا تـــدنُ مـــني ودعـــني أكـــتبْ وأنـــتَ تقابـــلْ

وقال

وأفـــشيْتُ ســـرِّي إلى صـــاحبٍ فعـدْتُ[٢] لـهُ طـولَ دهـري ذليلا
فـــوا أســـفا كـــيفَ أودعـــتُهُ لـيومِ العـداوةِ سـيفاً صـقيلا

وقال

إني تــركتُ عقــودَهُمْ وفــسوخَهم وفروضَــهم والحكــمَ بــينَ اثــنينِ
ولــزمتُ بــيتي قانِعــاً ومطالِعــاً كُــتُبَ العلــومِ وذاكَ زيــنُ الــزينِ
أهــوى مِــنَ الفقــهِ الفــروقِ دقيقةً فــبها يــصحُّ تفــرّزُ النــصَّيْنِ
وأحــبُّ في الإعــرابِ مــا هو غامضٌ عــن نــصفِ نحــويٍّ وعابــرِ عــينِ
وأقــولُ في علــمِ الــبديعِ معانــياً مقــسومةً بــينَ البــيانَ وبــيني

(١) في نسخة: زائد.

(٢) في نسخة: فصرت.

وتــركتُ نظــمَ الــشعرِ إلا نــادراً كالبــيت في سَنــة أو البيـــتينِ
مــا الــشعرُ كــالعلمِ الــشريفِ نباهةً فــالعلمُ فــيه ســعادةُ الــدارينِ

وقال

كــلُّ غــرامٍ فــيكَ أمــسى لي أَوَالهــاً بي كــنتَ أَمْ ســالِ
فاجْــرِ علــى أحــسنِ مــنوالِ فلــيسَ لي غــيرِكَ مــنْ والِ

وقال

وصــاحبٍ كــنتُ أرجوه فحين رقي بعــض الرقــيِّ بــدا في ثوبِ منحرفِ
فكلمــا نقلــوا مَيْــناً حلفْــتُ لَــهُ أينقــضي العمــرُ بــينَ النقلِ والحلفِ

وقال

أَكُــلُّ شــعرِكَ يبغــي ميلــي إلى الحــبِّ مكــرَهْ
هــوِّنْ علــيكَ فروحــي جــاءَتْ تُقــاد بــشَعْرَهْ

وقال في صدر كتاب إلى أمين الدين إبراهيم كاتب طشتمر وقد دخل الروم صحبة مخدومه في الكائنة المشهورة

إليــنا لا عدمــناكُم إليــنا فمملكــةُ الــشمالِ[١] بــلا يمــينِ
ومــا حــالُ الجــنودِ بغــيرِ سـيفٍ ومــا حــالُ الوجــودِ بــلا أمــينِ

وقال

لا تقــنعَنَّ بــدونٍ واطمــحْ إلى كــلِّ غــالِ
وكــنْ كغــائصِ بحــرٍ مخاطــرٍ لــلآلي
وانفــسْ بــنفسٍ عــزوفٍ تــواقةٍ للمعــالي
لــيسَ القــناعةُ إلا للعجــزِ أو للكــلالِ

وقال

يــا تــرجماناً لي ثمانــونَ في ذمَّــته مَــنْ عــزَّ بالمطْــلِ هــانْ
إنَّ الــثمانينَ وبُلِّغْــتَها قــدْ أحــوجَتْ سمعي إلى تــرجمانْ

---

(١) في نسخة: الشآم.

وقال وقد أنشده بعضهم ثمانين بيتًا سمجة النظم

هــذه ثمانــونَ بيــتاً لا يلــذُّ بهــا ... سمــعٌ ولا بــصرٌ تحكــي الثعابيــنا
قالــوا أنيــنُكَ طــولَ اللــيلِ يقلقُــنا ... فمــا الــذي تــشتكي قلــتُ الثمانينا

وقال

بــارَكَ اللهُ في قلــيلِ ذُهَــيْبِ ... صــانني عــنْ تــبذُّلٍ وســؤالِ
وجــزى[1] اللهُ مَــنْ دعــا لــصديقٍ ... بارتفــاعٍ وقــد رأى مــا جــرى لي

وقال

مَــنْ رامَ طــولَ العمــرِ يــصبرْ على ... مــصائبٍ أهــونُها[2] مــا تــراهْ
طالــتْ حــياتي في ســوى طائــلٍ ... حــتى رأيــتُ القــردَ[3] قاضي القضاه

وقال

أحــسنُ مــداراةَ الــورى ... يَعُــدْ علــيكَ نفعُهــا
كــمْ مــنْ يــدٍ قبلْــتُها ... كــانَ بــودِّي قطعُهــا

وقال

العروضــيُّ فــلانٌ ... إنْ بَــدَتْ مــنهُ هــناتُ
فلــهُ عــاداتُ ســوءٍ ... فــاعلاتٌ فــاعلاتُ

وقال

مــاذا تقولــونَ في محــبٍّ ... عَــنْ غــيرِ أبــوابكم تخلَّــى
وجــاءكم زائــراً حفــيظاً[5] ... لعهــدِكم[4] هــلْ يجــوزُ أمْ لا

---

(١) في نسخة: وخزى.

(٢) في نسخة: هذي.

(٣) في نسخة: استاذي.

(٤) في نسخة: عفيفا.

(٥) في نسخة: مداراة.

وقال

يـا مـنْ يطـبـبُ قـومـاً ثم يمهلُهُم(١) ... يـومـاً بمـاذا عـداكَ الـشرُّ تعـتذرُ
اذكـرْ فـلانَ الـذي أسـهلْتَهُ سَحَرَاً ... إنَّ الكـرامَ إذا مـا أسـهلوا ذكـروا

وقال

إذا مـا قلـتَ إنَّ القـرعَ يحكـي ... بـني الـورديِّ أخطـأتَ الـرميَّهْ
فـإنَّ القـرعَ ذو عمـرٍ قـصيرٍ ... وإنَّ الـوردَ شـوكتُهُ قـويَّهْ

وقال

قـوِّضْ إلى قـوصِ الـصعيدِ فـبابُها ... بـابٌ صـحيحٌ للقـبولِ مجـرَّبُ
مَـنْ لم يجـدْ مـاءً يكـنْ متـيمِماً ... قوصـاً فقـوصُ هـي الصعيدُ الطيِّبُ

وقال

رأيـتُ فقـيراً في المـرقَّعةِ الـتي ... علـى لطفـهِ(٢) دلَّـتْ وحسنِ طباعهِ
بخدَّيـه ريحـانُ الحواشـي محقَّـقٌ ... إلى الـثلثِ والفـضّاحُ تحـتَ رقاعـهِ

وقال

انقلـبَ الحـبرُ علـى ... ثـوبكَ فابْـشر بـالأدبْ(٣)
فـإنَّ حـبرَ(٤) كاتـبٍ ... ربـحٌ إذا هـو انقلـبْ

وقال

إذا لمْ يـردَّ فـلانُ الكـتابَ ... ودافعـني عـنهُ بالـباطلِ
نـدبتُ لـه قاضـياً فاضـلاً ... وحـصَّلْتُ حقِّـيَ بالفاضـلِ

---

(١) في نسخة: عن مالكم.

(٢) في نسخة: حسنه.

(٣) في نسخة: الأرب.

(٤) في نسخة: فحبر كل.

وقال

لمجـــــنونِكُمْ عــــارضٌ أخـــضرُ   دليلـــي علــى حـــبِّه نــاهِضُ
وقالـــوا أسُــلٌ بـــه[1] عـــارضٌ   فقلـــتُ وبي ذلـــكَ العـــارضُ

وقال

واللهِ لا هجـــــــــوتُهُ   ولا الــــتفتُّ نحـــــوَهُ
مَــنْ لــستُ أرضــى مدحَــهُ   فكـــيفَ أرضـــى هجـــوَهُ

وقال

واغــضبا مِـــنْ شـــاعرٍ   وإنْ أقــــلَّ وافتقــــرْ
أهــانَ مـــا يعلمُــهُ   فقلّـــدَ[2] الــــدرَّ البقـــرْ

وقال

إلى كــمْ هكــذا سمــنا وطــولاً   وأمُّــك ذاتُ عــرقٍ مــستدِّقِ
لقــدْ أصــبحتما طرفَــيْ نقــيضٍ   ألا يــا نخلــةٌ مِــنْ ذاتِ عــرقِ

وقال

إنْ كــنتَ أبــصرتَ مثلــي   يــوماً فلــم أرَ مــثلَكْ
لــو تـــستطيعُ المعـــالي   جـــاءَتْ تقـــبِّلُ رجلَـــكْ

وقال

لقــد عجَّــلَ المحــبوبُ نَبْتَ عذارِه[3]   فــزادَ بــه حُـسناً فعـيلَ بـهِ الصبرُ
تــردى ثــيابَ المــوتِ حمراً فما أتى   لهــا اللــيلُ إلا وَهْيَ منْ سندسٍ خضرُ

---

(١) في نسخة أسله فبه.

(٢) في نسخة: يقلد.

(٣) في نسخة: وعاج له نبت العذار بخده.

وقال

بتـــنا ضـــيوفاً لغـــادة قـــصدَتْ ... ذبـــحَ خـــروفٍ قَـــدْ طـــابَ واعتدلا
حلـــتْ ربـــاطَ الخـــروفِ تنـــشدُهُ[1] ... أمـــا تـــرى الـــشمسَ حلَّـــتِ الحَملا

وقال مضمنًا من قصيدة المتنبي

كـــأنَّ الـــشقيقَ وألـــوانهُ ... ثـــيابٌ شُـــققنَ علـــى ثاكـــلِ
وثغـــرُ الأقاحـــيَ مستـــضحكٌ ... لهـــمْ فـــيهمُ قـــسمة العـــادلِ
فـــدى نفـــسَهُ بـــضمانِ النـــضارِ ... وأعطـــى صـــدورَ القـــنا الـــذابلِ
ونرجـــسُنا ناظـــرٌ ناضـــرٌ[2] ... ولا يـــرجعُ الطـــرفُ عـــنْ هائـــلِ
فـــيا لـــكَ غـــصناً علـــى ذابـــلٍ ... مكـــانَ البـــنانِ مـــنَ العامـــلِ

وقال

كاتـــبٌ علَّـــقَ قلـــبي ... مـــنْ عذاريـــه ســـطورُ
قـــالَ لي أكـــتبُ ثلـــثاً ... قلـــتُ والـــثلثُ كـــثيرْ

وقال

إذا وَهَـــبْا الـــيومَ فلـــساً واحـــداً ... يقـــصرُ عـــنا في الـــسخاء جعفـــرُ
جعفـــرُ أعطـــى والـــزمانُ مقـــبلٌ ... ونحـــنُ نعطـــي والـــزمانُ مدبِـــرُ

وقال مجيزًا للبيت الأخير

أراني اللهُ وجهَـــكَ كـــلَّ حـــينِ ... ضـــحوكَ الثغـــرِ وضـــاحَ الجـــبينِ
ولـــيِّنَ قلـــبَكَ القاســـي لدمـــعٍ ... إذا كفكفْـــتُهُ خُـــضِبَتْ يمـــيني[3]
فكـــمْ لي مـــنْ دمـــوعٍ غالـــيات ... رخـــصنَ لـــدرٍّ مبـــسمِكَ الـــثمينِ
أتفـــرحني بطـــيبِ الوصـــلِ كـــلاً ... فمـــا في العاشـــقينَ ســـوى حـــزينِ

---

(١) في نسخة: منشدة.

(٢) في نسخة: ناصر.

(٣) في نسخة: أغضبت عيني.

مــتى أبــصرتُ قــبلكَ ظــبيَ إنــسٍ ... تــصيدُ لحاظُــهُ أسْــدَ العــرينِ

فأغمــدْ ســيفَ لحظِــك فهْــوَ ماضٍ ... فمــا يُبقــي علــيَّ ولا يقــيني

بمــنْ(١) ذا أســتعينُ علــيكَ هــلْ منْ ... رشــيدٍ ناصــرٍ للمــستعينِ

نحلْــتُ فمــنْ يعــدني لم يجــدني ... ولــيسَ يدلُّــهُ إلاّ أنــيني

أعــيشُ متــيَّماً وأمــوتُ صَــبّاً ... وأُبعَــثُ عاشــقاً حلــفَ الحــنينِ

حفظْــتُ مــنَ الهــوى قلــبي زمانــاً ... و لمْ أعلــمْ بأنَّــك في الكمــينِ

وقال

لمْ أجمــعِ المــالَ فخــراً ... ولا لــصيتٍ وشــهرَهْ

لكــنْ ليــسترَ وجهــي ... عــنِ الخــضوعِ لغُــرَّهْ

وقال

لمْ أجمــعِ المــالَ فَخْــراً ... ولا لحــرصٍ وغَفْلَــهْ

لكــنْ ليــسترَ وجهــي ... عــنِ الخــضوعِ لــسفلهْ

وقال

يــا ســادةً لمــا بَعُــدْنا عــنهمُ ... بَعُــدَتْ مــودتهمُ وعــزَّ مــرامُ

الــشوقُ أعظــمُ أنْ يحــيطَ بوصــفهِ ... كــتبٌ وتــبلغُ حــدَّهُ الأقــلامُ

الــشوقُ أعظــمُ أنْ يحــيطَ بوصــفهِ ... عهــدي وإنْ لمْ تجمــعِ الأيــامُ

فعلــيكمُ وعلــى حمــىً أنــتمْ بــهِ ... وعلــى دمــشقَ تحــيَّةٌ وســلامُ

وقال

قــلْ لتقــيِّ الــدينِ حاشــاكَ مِــنْ ... إضــاعةِ الــصاحبِ والجــارِ

أنــتَ مــنَ الفــردوسِ في جــنَّةٍ ... ونحــنُ مِــنْ بعــدِكَ في نــارِ

---

(١) في نسخة: بماذا.

وقال

قـدرُكَ يـا صـاحبي وقـدري ... يجـلُّ عمّـا أبـنْتَ عـنهُ

مَـنْ لـستُ أرضـى لـهُ قليلاً ... فكـيفَ أرضـى القليلَ منهُ

وقال

قـدْ عبـتمُ خـدَّ حِبّـي ... لمـا بـدا الـشعرُ فـيهِ

وذا الـذي عِبـتُموهُ ... هـو الـذي أشـتهيهِ

وقال

مـا الـذي ضَـرَّكَ لـوْ زرْ ... تَ إذا غـابَ الـرقيبُ

إنْ نـزلتَ القلـبَ يـا بـد ... رُ فللطـرفِ نـصيبُ

وقال

قـال زنـارُ خـصرهِ ... كـمْ كـذا تـرجعُ البـصرْ

قلـتُ لا تنفـردْ بـهِ ... لـكَ شـدٌّ ولي نظـرْ

وقال

أيُّهـا الفاضـلُ الـذي عـزلُوهُ ... فتبـسمتُ مِـنْ غـبون وضـنكِ

صـدَّقَ الـناقلونَ هـذا ولكـنْ[٢] ... لا تَـشَفٌّ تبـسُّمي بـلْ تـشكّي

ومِـنْ الـضحكِ مـا يكـونُ لحـزنٍ ... ومـنَ الحـزن مـا يكـونُ لـضحكِ

كمـشيبِ الـرءوسِ يـضحك لمَّـا ... يبـتدي وَهْـوَ في الحقـيقةِ يبكـي[١]

وقال

قولـوا لمـنْ يفخـرُ بـالعظمِ ... الفخـرُ بـالعلمِ وبـالحلمِ

إذا عـلا قـدري عـن والـدي ... بـزعمكُمْ دلَّ علـى عزمـي

---

(١) في نسخة: مبكي.

(٢) في نسخة: عني هذا.

يا رحمةَ الرحمنِ أُمِّي أبي   واللهِ ما كانَ[1] أبي أُمِّي
هذا وبالصدِّيقِ لي نسبةٌ   ووصلةٌ تُعرف كالنجمِ
أعددْتُها للحشْرِ ذخراً ولا   أبغي بها فخراً على خصمي
يا ثانيَ المختارِ في غارِهِ   وقبرِهِ الزاكي وفي الحكمِ
لا تُخْلِني مِنْ لحظاتٍ فلي   أعداءُ سوءٍ يكرهون اسمي
ذنبي إليهمْ أنني عالمٌ   وفارسٌ في النثرِ والنظمِ
وإن ذكري شائعٌ ذائعٌ   وذكرُهُم أخفى مِنَ الوهمِ
مِن كل مَنْ يعلمُ فضلي وقدْ   أضلَّهُ اللهُ على علمِ

وقال

إنَّما أهرامُ مصرَ مهلكٌ   كلُّ مَنْ غرَّرَ فيها يُخترمْ
قالَ قومٌ ما هوَ الشرُّ الذي   يتمناهُ الفتى قلتُ الهرمْ

وقال

بعلةِ السلِّ توفِّيْ أخي   وكانَ في الأسيافِ معدودا
يا مغمداً في التربِ مِنْ بيننا   أبكيكَ مسلولاً ومغمودا

وقال

إذا ما زوجةُ الإنسانِ ماتتْ   فما بقيتْ لمسكنِهِ سكينَهْ
وكيف يطيعُهُ نظمٌ ونثرٌ   ولا بيتٌ لَدَيْهِ ولا قرينهْ

وقال

إنَّما الدنيا عناءٌ وذلٌّ   ساءَتِ الأحوالُ في حالتيها
إنْ طلبْناها طلبْنا خيالاً   أو تركناها اضْطررْنا إليها

---

(١) في نسخة: فسرني كون.

وكتب إلى الشيخ شهاب الدين بن المرحل النحوي المصري وقد حضر حلقة تدريسه بجامع

ألا أيُّها المولى الذي زارَ عبدَهُ ... ولا بدعَ في مولى تمشَّى إلى عبدِ

تفضلْتَ حتى ضاقَ ذرعي لشكرِ ما ... صنعْتَ وهذا لا يقومُ به جهدي[1]

وعنديَ أني حاضرٌ أنا عندَهُ ... لرفعته لا أنه حاضرٌ عندي

وكانَ هناكَ الصمتُ أجملُ بي وأنْ ... أصيخَ سماعاً لا أعيدُ ولا أبدي

فهلْ أنا إلا قطرةٌ منْ سحابِكُمْ ... ولو كنْتَ في الإعرابِ كالعلمِ الفردِ

عرقْتُ حياءً من حضورِكَ ذاهلاً ... بفضلِكَ عنْ حسنِ المباحثِ والنقدِ

ولكنْ وثوقي منكَ بالصفحِ حثَّني ... على بعضِ بحثٍ بالتكلُّفِ والجهدِ

وجئتُ ببحثٍ أعجبتْكَ فنونُهُ ... ولولا حيائي كنتُ أبدعتُهُ جهدي

وليسَ حياءُ الوجهِ في الذئبِ شيمةً ... ولكنها من شيمةِ الأسدِ الوردي

وقال

قالوا تركتَ الحكمَ قلتُ تركتُهُ ... واعتضتُ عنْ خَضِرِ القضا باليأسِ

قَتَلَ الأنامُ على الحطامِ نفوسَهُمْ ... فصفعتُ دنياهم بألفِ مداسِ

وقال

أُعَبِّسُ حينَ ألقاهُ ... كأني لستُ أهواهُ

محاذرةً من الواشي ... ووسْطَ القلبِ مأواهُ

وقالوا صفْ لنا شهداً ... وخمراً خامراً فاهُ

سلوا مَنْ ذاقَهُ يوماً ... فلستُ بعالمٍ ما هو

ومدح جمال الدين بن ريان الشيخ جمال الدين بن نباتة بقصيدة فأجابه عنها الناظم بقوله

خليليَّ هَلْ من رقدةٍ أستريحُها ... على البيْنِ أمْ مِنْ عبرةٍ أستبيحُها

---

(١) ويروى: حمدي.

ألا أيهــذا الــباعثُ الكــتْبَ حــيلةً ليذْكــرني داراً قــريباً نــزوحُها[1]

بــدا كنـبات القطــرِ قَطْــر نــباتَها فــأخجلني إطْــراؤها ومــديحُها

فمــا روضــةٌ بالحــزنِ باكــرَها الحيا يمــجُّ خــزاماها نــداهُ وشــيحُها

بأطــيبَ مِــنْ أبـيات نظــمٍ بعثــتُها تجــدِّدُ أشــواقاً طــوالاً شــروحُها

ومــا فــضلُ مــولانا بــبدْعٍ فكمْ لهُ مآثــرِ إحــسان جلــيٌّ وضــوحُها

جــدودُكَ أقطــابُ الكــلامِ ملــوكُهُ فــلا عجــبٌ بالمعنــيين فــتوحُها

لقــد رُدَّ تفويــفُ الكــلامِ موشَّــعاً لهــم مــثلما رُدَّتْ ليوشَــعَ يــوحُها

فــأيُّ زمــانٍ مــرَّ قــطُّ ولَمْ يكــنْ علــى غــصنِ العلــياءِ منكمْ صدوحُها

فــأولكُمْ في الأولــينَ خطيــبُها وآخــركُمْ في الآخــرينَ فــصيحُها

فقــل للــذي يبغــي مــداها بــزعمه نعــمْ جــسداً لكــنْ يفــوتُكَ روحُها

وبعــدُ فلــي ســرٌّ[2] إلــيكَ أبــوحُهُ ومــا كــلُّ أســرارٍ عنــتني أبــوحُها

وذلــك أني تجنــبْتُ مــا الــورى علــيهِ مــنَ الدنــيا الــتي غــرَّ ريحُها

ولمــا تأملــتُ الأمــورَ وبــانَ لي بتجــريبِها معــتلُّها وصــحيحُها

تخــذْتُ مقامــاً بالمقــامِ مقاطعــاً لأطمــاعِ نفــسٍ حــانَ منها ضريحُها

ونــزَّهْتُ نفسي منْ زحامِ الورى على ركــيٌّ بكــيٌّ لا يــبضُّ شــحيحُها

إلى كــمْ وكــمْ إذلالُ نفــسٍ إلى متى فخــيرٌ مــنَ الإذلالِ مــوتٌ يــريحُها

ســلامٌ علــى الدنــيا فهلْ مِنْ موافقٍ علــى تــركِ دنــيا ليسَ تبرا جروحُها

فــإنْ رنَّحــتْ عطفــاً فــلا يستميلُها وإنْ سمحــت لطفــاً فلا يستميحُها[3]

فــلا تُخْلــني[4] مــنْ دعــوةٍ أُخْرويَّة عــسى تــوبةٌ يُرضــي الإلهَ نصوحُها

فأنــتَ أخٌ في اللهِ يُرجــى دعــاؤهُ إذا استنــصحَتْ نفــسٌ فأنتَ نصيحُها

---

(١) ويروى: تروحها.

(٢) ويروى: شوق.

(٣) ويروى: تستميحها.

(٤) ويروى: تنسني.

سقى عهدَ دارٍ قَدْ حللتَ سفوحَها عهادُ سحابٍ مُستهلٌ سفوحُها

وقال

عليكَ بصهوةِ الشهباءِ تكفي بجوشَنِها محاربةَ الزمانِ
فللغرفاتِ في الفردوسِ طيبٌ يفوحُ شذاهُ مِنْ بابِ الجنانِ

وقال

ما دامَ في الإنسانِ روحٌ فقد يبلغُ[1] الدنيا أمانيهِ
فلا تهينَنَّ صغيراً فقدْ يحطُّكَ الدهرُ ويعليهِ

وقال

لا تعاتبْ على انقطاعي فودِّي محرزٌ لا تخفْ عليهِ ضياعا
فوصالُ العدوِّ ليسَ وصالاً وانقطاعُ المحبِّ ليسَ انقطاعا

وقال

غيري يُغيِّرُه الجفا ويصدُّ عنْ ميْتٍ بحيْ
لا أرتضي ودَّ امرئٍ إنْ زدتُ رشداً زادَ غيْ
إن الغنيَّ هو الغنيُّ بربِّه والمالُ فَيْ
ما كلُّ شيءٍ كافياً وإذا قنعْتَ فبعضُ شيْ
عزَّ الخلاصُ فلمْ أقلْ[2] هذا جناهُ أبي عليْ

وكتب إليه الشيخ جمال الدين بن نباتة كتابًا يخبره فيه أنه مدح القاضي شهاب الدين بن فضل الله بقصيدة مطلعها "خلقت على مرادي واقتراحي" وأن القاضي شهاب الدين طلب على لسان الشيخ جمال الدين وزنها من الشيخ زين الدين بن الوردي فقال

أُأَقْتَلُ بينَ جدِّكَ والمزاحِ بنبلِ جفونِكَ المرضى الصحاحِ
يكدِّرُني نواكَ وأنتَ صافٍ ويسكرني هواكَ وأنتَ صاحِ

---

(١) ويروى: يبلغ في.

(٢) ويروى: كيف الخلاص من الأذى.

وأبكـــي للغـــرامِ وأنـــتَ لاه ... وأُعــذَرُ في الأُوامِ وأنـــتَ لاحِ

فما لــسراحِ دمعــي مِـنْ إسـارٍ ... وما لإسـارِ وجـدي مـنْ سـراحِ

رضـــاكَ إلى رضـــابِكَ لي دلـــيلٌ ... ألـيسَ كلاهمـا روحـي وراحـي

ومـا لـصباحِ وجهِـكَ مِـنْ مساءٍ ... ومـا[1] لمساءِ شـعركَ مِـنْ صباحِ

ولي لحـظٌ يطـيرُ إلـيكَ شـوقاً ... فهـا قـدْ طـارَ مـبلولُ الجـناحِ

ووجهُـكَ فـوقَ قـدِّكَ عـرفاني ... بإثمـارِ الـبدورِ مـنَ الـرماحِ

عـذارُكَ ملحـةٌ بعـد اختـتامٍ ... يقـولُ[2] أقـولُ مـنْ بعـدِ افتـتاحِ

وثغـرُكَ جوهـريُّ الـنظمِ يُعـزى[4] ... غـريبُ الحسنِ فـيهِ إلى الـصحاحِ

لقـدْ أصـبحتُ مـن سـرِّي ودمعي ... لَقَـى بـينَ اسـتتارٍ وافتـضاحِ

وسمعـي لا يعـي بـابَ الوصـايا ... وطـرفُكَ عـارفٌ بـابَ الجـراحِ

فـإنْ يكـنْ اجتـرحتُ هـواكَ ذنباً ... فتكفـيني[3] جراحـي باجتراحـي

يحـقُّ لِمَـنْ لحـاني فـيكَ ذمـي ... وحُـقَّ لكاتـبِ الـسرِّ امتداحـي

ولـستُ سـوى ابنِ فضلِ اللهِ عني[5] ... شـهابِ الـدينِ ذي الغـررِ المـلاحِ

أبي العـباسِ بـسَّامِ الثـنايا ... كفـى الجـيشَ الـتحاماً بالـتماحِ

يعـدُ نـداه في إحـياءِ مـيْتٍ ... كعـدٍّ سـطاهُ في القـدرِ المـتاحِ

جـوادٌ كثَّـرتْ يـدُهُ أيـادي الـ ... عفـاةِ وقلَّلـتْ أهـلَ الـسماحِ

وحـيدٌ مـا لقلـبي عـنهُ ثـانٍ ... ولا يعـدوهُ في الدنـيا اقتراحـي

قريـرُ العـينِ مـضطربُ الأعـادي ... مـصونُ العـرضِ مـبذولُ الـسماحِ

مهـيبُ المنتمـى طلـقُ المحـيَّا ... خفـيُّ المرتمـى بـادي الـصلاحِ

---

(١) ويروى: ولا.

(٢) ويروى: تقول.

(٣) ويروى: فيكفيني.

(٤) ويروى: يغزى.

(٥) ويروى: أعني.

شمائلُـــهُ حَمَتْهُ عن شمـول ... فما دارتْ لـهُ راحٌ بـراحِ
ومـا سمرُ القـدودِ وإنْ سبتنا ... أحبُّ إليه منْ سمرِ الرماحِ
ولا بيضُ الثغورِ إليه أشهى ... وإنْ عذبتْ من البيضِ الصفاحِ
ندى لانَتْ معاطفُهُ وبأسٌ ... يذيبُ حشاشةَ الأسدِ الوقاحِ
وجودٌ لو تفرَّق في البرايا ... خلَتْ بابنِ الكرامِ عن الشحاحِ
حرامٌ أنْ يُذمَّ وجوبُ ندبٍ ... نفى المكروهَ بالمالِ المباحِ
لهُ قلمٌ بفضلِ اللهِ يُحيي ... لنا نحيا به بعدَ انتزاحِ
فما أدري أنقشاً[1] فوقَ طرسٍ ... يطرزُ أم مساءً في صباحِ
أسدُّ من السهامِ[2] مضاءَ أمرٍ ... وأجرى في الخطوبِ من الرياحِ
كأسمرَ في قلوبِ البيضِ منهُ ... شكاوى فَهْيَ شاكيةُ السلاحِ
هو ابن جَلا وطلاَّعُ الثنايا ... متينُ المتنِ خفَّاقُ الجناحِ
أأحمدَ فاضلٍ وأجلُّ صدرٍ ... وأسعدَ كاتبٍ وأعزَّ ماحِ
أتاني فيكَ مدحٌ منْ إمامٌ ... بقطرِ نباتِهِ يحلو انشراحي
سكرتُ بلفظِهِ شكراً وحمداً ... لقائلِهِ فقامَ مقامَ راحِ
فواطربا للذةِ ما سقاني ... ويا طيبَ اغتباقي واصطباحي
فلا تسجحْ[3] بمدحِكَ فَهْوَ[4] صدقٌ ... وبعضُ المدحِ أكذبُ مِنْ سجاحِ
وكمْ قدْ بلَّغوني عنكَ جبراً ... وتأهيلاً يزيدُ بهِ مراحي
فدتْكَ عدى همُ الأعداءُ غياً ... وقدْ كانوا ذوي لسنٍ فصاحِ
فإنْ سالمتهم سلموا وساموا ... وإن حاربْتَهم أضحَوا أضاحي
بني الفاروقِ بيتُكُمْ رفيعٌ ... أثيلُ المجدِ محروسُ النواحي

(١) ويروى: أنقسا.

(٢) ويروى: القضاء.

(٣) ويروى: يسجح.

(٤) ويروى: وهو.

فمـــا لكـــتابةِ الأســـرارِ عـــنكُمْ ... وأســـرارُ الكـــتابةِ مِـــنْ بـــراحِ

بـــيانٌ مِـــنْ معانـــيكمْ بديـــعٌ ... بـــهِ نمَّقْـــتم روضَ الـــبطاحِ

فـــضرَّجتمْ بـــهِ للـــوردِ خـــداً ... وفلَّجـــتمْ بـــهِ ثغـــرَ الأقاحـــي

فخـــذْها بـــنتَ ليلـــتِها عروســـاً ... تُـــزَفُّ إلـــيكَ كالخـــوْدِ الـــرداحِ

قـــوامُ الغـــصنِ مـــنها في ذبـــولٍ ... ووجـــهُ الـــبدرِ مـــنها في افتـــضاحِ

فـــإنْ يسكُ عـــنْ مـــداكَ بهـــا قصورٌ ... فـــبذلُ الجهـــدِ عـــندي كالـــنجاحِ

ومـــا أنـــا شـــاعرٌ حاشـــا علومـــي ... ولـــستُ أرى التكـــسُّبَ بامتداحـــي

فلـــي مِـــنْ نعمـــةِ الـــرحمنِ مـــالٌ ... يـــصونُ عـــن احتـــياجٍ واجتـــياحِ

ولمْ أقـــصدْ بمـــدحِكَ غـــيرَ ودٍّ ... أروضُ بـــهِ الـــزمانَ عـــن الجمـــاحِ

لأعلـــمَ أنَّ في الدنـــيا وفـــياً ... فأســـلو عـــنْ نواحـــي في النواحـــي

ولـــولا الـــشعرُ بالعلمـــاءِ يـــزري ... لأتعـــبتُ القـــرائحَ باقتراحـــي

أرى في العلـــمِ عـــنه ألـــفَ لاحٍ ... يـــناديني بحـــيَّ علـــى الفـــلاحِ

وكـــنتُ أطـــا علـــى الشعرى بشعري ... وأطفـــي الـــشُّهْبَ مـــنْ شررِ اقتداحي

وهـــا أنـــذا اطـــرحْتُ غـــبونُ دهري ... فدهـــري للأفاضـــلِ ذو أطـــراحِ

حـــثوتُ بأوجـــهِ الآدابِ تـــبراً[1] ... ولم أشـــرعْ لـــشارعِها جناحـــي

وخفـــتُ علـــى بـــناتِ الفكـــرِ يتماً ... فـــإنَّ الـــشيبَ يـــنذرُ بالـــرواحِ

وعفْـــتُ شـــرابَ أمداحـــي فلمـــا ... وجـــدتُكَ أهلَهـــا حَـــسُنَ امتداحـــي

فـــساغَ لي الـــشرابُ وكـــنت قـــدْماً ... أكـــادُ أغـــصُّ بالمـــاءِ القُـــراحِ

ولـــو أني اســـتطعتُ أتـــيتُ[2] أسعى ... إلـــيكَ وفـــزتُ بالمجـــدِ الـــصراحِ

ومـــنْ لي أن أبـــيتَ قريـــرَ عـــينٍ ... أعاطـــي كـــأسَ لفظِـــكَ للـــصباحِ

---

(١) ويروى: تربا.

(٢) ويروى: لجئت.

أشـنِّفُ مسمعيَّ بـدرٍ درٌّ ... تناثـرَ مـنْ سـحائبِكَ الـسحاحِ[1]

بقـيتَ لأمـةٍ لـو لمْ تـصنْها ... طحـا بنفوسِـها للـبينِ[2] طـاحِ

ففعلُـكَ للجمـيلِ اسـمُ اختـتامٍ ... فَـدُمْ مـا دامَ هـا حـرفَ افتـتاحِ

وقال

لـو كـنتَ تدري ما لَقِيْتُ من الهوى ... وعلمـتَ سـرَّ عـذابيَ المـستعذَبِ

لوصـلْتَ وصـلي واقـتطعْتَ قطيعتي ... وهجـرْتَ هجـري واجتنـبتَ تجنُّبي

وقال

جعلْـتَ مـضيفَنا جبـناً رديـئاً ... وكـناً مظلمـاً لم يـرضِ سـاكنْ

فـلا يكثـرْ لـكَ الـرحمنُ خـيراً ... فمـا إنْ طبّـنا جـبنٌ ولكـنْ

وقال

يـا هـندُ مـا في زمـاني ... مـساعف أو مـساعدْ

فـإن[3] صـدقْتُ وإلا ... فكذبـيني بـواحدْ

وقال

كـلَّ يـومٍ رتَّـبوا أربعـةً ... لـكَ فـازددتَ علينا صعـصعةْ

فلـوِ اسْـتُفْتيتُ في سـيدنا ... قلـتُ يـستأهلُ قطـعَ الأربعَـةْ

وقال

فـولٌ بفلـسٍ غـداءً ... واللـبس سـحق قطـيفَةْ

فـاشمخْ بأنفِـكَ تـيهاً ... وعـشْ بـنفسٍ شـريفَةْ

والمـوتُ عـدلٌ يـسوِّي ... بـيني وبـينَ الخلـيفَةْ

---

(١) ويروى: السجاح.

(٢) ويروى: للحين.

(٣) ويروى: قولي.

وقال

يـــا نفـــسُ قـــدْ آنَ أنْ تجـــدِّي ... فـــلا تقـــولي الـــرحيلُ مـــبهمْ

فـــشيبُ رأســـي وعـــيبُ نفـــسي ... أُسْـــــرِجُ هـــــذا وذاكَ أَلجـــــمْ

وقال

خلعْـــتُ ثـــوبَ القـــضاءِ طـــوعاً ... هـــذا ومـــا كـــنتُ بالظلـــومِ

إنْ زالَ جـــاهُ القـــضاءِ عنِّـــي ... يكفـــيني الجـــاهُ بالعلـــومِ

وقال

اكـــتم الغيظ في الهجا إن هجيت وإن[1] ... زاد هاجـــيك في الهجـــاء وقـــبح

وتجلَّـــدْ لـــزورِ هجـــوٍ ومـــدحٍ ... أو لـــيسَ الملـــوكُ تُهجـــى وتُمـــدحْ

وقال

وخطـــــــيبٍ تظـــــــنُّهُ ... فائـــزاً وَهْـــوَ هالِـــكْ

فَهْـــوَ في المـــاءِ ناســـكٌ ... وَهْـــوَ في المـــالِ فاتِـــكْ

وقال وقد سكن كمال الدين بن ريان بالمقام ظاهر حلب

بـــكَ يـــا كمـــالَ الـــدينِ إبراهيمُ قدْ ... شَـــرُفَ المقـــامُ وأنـــتَ فـــيهِ مقـــيمُ

لـــولا التقـــى أنـــشدْتُ فيكَ مخاطباً[2] ... هـــذا المقـــامُ وأنـــتَ إبـــراهيم

وقال

ألا يـــــا لَقلـــــةِ إنـــــصافه ... ألا يـــا لهـــا يـــا لهـــا يـــا لهـــا

وكـــم بلَّغـــوني أقاويلَـــهُ ... فأحلـــفُ بـــاللهِ مـــا قالهـــا[3]

ولـــو قلـــتُ في حقـــهِ بعـــضَها ... لزلـــزلتِ الأرضُ زلـــزالها

---

(١) ويروى: اكتمِ الغيظَ إنْ هُجيتَ وإلا.

(٢) ويروى: موريا.

(٣) ويروى: ويحلف بالله ما قالها.

وقال

أنـــــا لا أمـــــشي إلـــــيهِ لا ولا أســــــألُ عـــــنهُ
إنْ يكـــــنْ أشـــــهرَ مـــــني فأنـــــا أكمـــــلُ مـــــنهُ

وقال

قـــد زرتُـــهُ يـــوماً فـــصادفْتُهُ يكـــتبُ أسمـــاءَ الطفيلـــيَّهْ
فخفْـــتُ أنْ يكتـــبني مـــنهمْ فقـــالَ كُـــلْ قلـــتُ علـــى نـــيَّهْ

وقال

[1]إيـــاكَ ونظـــمَ الـــشعرِ فإنـــهُ بالعلمـــاءِ يُـــزري
واللهِ لـــولا شـــهرتي وذكـــري بـــالعلمِ كـــان الـــشعرُ حـــطَّ قدري

وقال وسمعت من ينشد

كـــم عـــالم عـــالم أعـــيت مذاهـــبه وجاهـــل جاهـــل تلقـــاه مـــرزوقًا
هـــذا الـــذي تـــرك الأوهـــام حائرة وصـــير العـــالم النحريـــر زنـــديقًا

وقال

كـــم عـــالمٍ عـــالمٍ يشكو طوى وظما وجاهـــلٍ جاهـــلٍ شـــبعانَ ريَّانـــا
هـــذا الـــذي زادَ أهلَ الكفرِ لا سلِموا كفـــراً وزادَ أولي الإيمـــانِ إيمانـــا

وقال

حظِّـــي حـــظٌّ نـــاقصٌ مِـــنْ أصـــدقائي والعـــدى
لـــو كـــانَ حظـــي بـــشراً لكـــانَ عـــبداً أســـودا

وقال ملغزًا في نار

عجـــبتُ لـــشيءٍ كـــلُّ شـــيءٍ يهابُهُ وكـــمْ فـــيهِ مِنْ نفعٍ عظيمٍ ومِنْ ضررْ
لـــهُ وجـــنةٌ محمـــرَّةٌ وذوائـــبٌ طـــوالٌ وعـــنقٌ لا يلابُـــسُهُ قـــصرْ
وســـعيٌ بـــلا رجـــلٍ وبطـــشٌ بلا يدٍ وحقـــدٌ بـــلا قلـــبٍ وأكْـــلٌ بلا ثغرْ

---

(١) ويروى: تصدير البيت بـ"بنيَّ".

لــهُ فــردُ عــينٍ في وجــوهٍ كــثيرةٍ ... ومَــنْ عجــبٍ أنْ ليسَ يوصفُ بالعورْ

لــهُ نقطــةٌ ســوداءُ مِــنْ فوقِ رأسِهِ ... وهــذا[1] لعمــري حلــيةُ الحيَّةِ الذكَرْ

وســــرَّتُهُ[3] بالمعنــــيين كــــنخلة ... ســحوقٍ وخــيرُ اللغــزِ ما حيَّرَ الفكرْ

تــراهُ نهــاراً كالبعوضــةِ خــسَّةً[4] ... وباللــيلِ كالطــودِ الذي طالَ واشمخرْ

علــى أنَّــهُ حامــي الحمى ويضيعُ مَنْ ... يجــاورُهُ هــذان ضــدان في النظــرْ

يعــجُّ ويُــبدي أنَّــةً وتحــرُّقاً ... علــى أهلِــه حــتى يلــينَ لــهُ الحجرْ

إذا أبدلــوا[5] بالــباءِ حــرفَ خــتامه ... تــرى اسمــاً وفعــلاً ثم حــرفاً له وبرْ

وتــصحيفُهُ يــا أيهــا العــدلُ جارحٌ ... فإيــاكَ مــنهُ فَهْــوَ كالوخــزِ بالإبرْ[2]

وإنَّ لــهُ ضــداً هــوَ الخلــدُ فاعجبوا ... لخلْــدٍ لــهُ عيــنانِ فَهْــوَ مــنَ العبَرْ

إذا لم تجــدْ في جــنةِ الخلــدِ حلــةً ... فحــذرك[6] يــا مسكينُ تلقاهُ في سقرْ

فــيا ناظــراً في اللغــزِ لو رمتَ كشفَهُ ... رجعْــتَ إلى القــولِ الــذي قالَهُ عمرْ

وقال

كَــمْ وَكَــمْ دولــةٍ تــبرمْتُ مــنها ... ثم زالــتْ كأنَّهــا[7] لمْ تكــنْها

وإذا نعمــةُ الظلــومِ تــداعتْ ... لــزوالٍ فاحــذرْ مــنَ الــذبِّ عــنها

وقال

إيــاكَ مــنْ غــضبي علــيكَ فإنَّــهُ ... ســمٌّ يجــلُّ الدهــرَ عَــنْ دريــاقِ

واحــذرْ أهاجــيَّ الــتي لــو قلــتُها ... طــارتْ بأجــنحةٍ إلى الآفــاقِ

---

(١) ويروى: وهذي.

(٢) هذا البيت ليس موجودًا في بعض النسخ.

(٣) ويروى: وجادلنا.

(٤) ويروى: حيَّة.

(٥) ويروى: أبدلوا.

(٦) ويروى: فإنك.

(٧) ويروى: لأنها.

وقال

يــا صــاحباً إنْ غــبتَ عــنْ عينــيه   يــشاركُ المغــتابَ والعائــبا[1]

مــا صــاحبي مَــنْ ودَّني حاضــراً   بــل صــاحبي مَــنْ ودَّني غائــبا

وقال

كــتمتُ في القلــبِ الهــوى   جهــدي فلــمْ يكتــتمِ

والــنارُ صــعبٌ كَــتْمُها   مــا بــينَ لحــمٍ ودمِ

وقال

مُجــالِسٌ مــؤتَمَنٌ   يحمــلُ عــني الكَلَفــا

يــأتي إذا جالــسني   بالكــبرا والخَلَفــا

أراهُ لي في خلــوتي   عــنْ كــلِّ خــلٍّ خَلَفَــا

وقال

لقــدْ علمــتْ نــساءُ الحــيِّ أني   أُسِــرُّ قــرينتي وأســوءُ قــرني

خــبيرٌ بالمعــالي والمعــاني   قلــيلُ الخــبرِ في كــأسٍ ودَنِّ

وقال مقتبسًا[2]

إذا قــالَ مــا رِدْفي وشــعري أجبــتُهُ   كثــيبٌ مهــيلٌ فــوقَهُ حــيَّةٌ تــسعى

وإنْ قــالَ هل[3] ترعى عذاري[4] مُوَرِيًّا   أقــولُ لــهُ إيْ والــذي أخرجَ المرعى

وقال

بــاللهِ إنْ غنيــتِهِمْ فتبرقعــي   يــا نــزهةَ الأسمــاعِ لا الأبــصارِ

غنــيتِ ســافرةً لهــمْ فقلــوبُهُمْ   في جــنَّةٍ وعــيونُهمْ في نــارِ

---

(١) ويروى: والعاتبا.

(٢) زيادة من بعض النسخ.

(٣) ويروى: البيت بدون "هل" بعض النسخ.

(٤) ويروى: بنت خدي.

وقال

قــد مــات أصــغر مــني ... ســنًا وأكــبر مــني

لم يــبق إلا رحيلــي ... يــا خالــق[1] فاعــف عــني

وقال

إنّــي امــرؤٌ قَــلَّ بــينَ الناسِ أشباهي ... إذ لا أزالُ غــنيَّ الــنفس باللّــه

رفعــتُ كلــي عــنِ الأصحابِ كلّهم ... فــلا أثقّــلُ في مــالٍ ولا جــاهِ

وقال ملغزًا في حلب وبلخ

مِــصرانِ في العــربِ وفي العجــمِ لمْ ... يــصرفْهما إلاّ مَــنِ اضــطرا

وأيَّــةً صــحَّفْتَ معكوســها ... بــنقطة دلَّــت علــى الأخــرى

وقال

يــا مَــنْ أكــادُ لحسنِ صــورتهِ ... وجمالــهِ أنْ لا أمــثّلهُ

مــا أنــتَ للفقــراءِ مــنفعلٌ ... أمّــا مَــنِ اســتغْنى فأنــتَ لَــهُ

وقال

يــا أيُّهــا القاضــي ونعــمَ القاضــي ... ومَــنْ جمــيعُ الــناسِ عــنه راضِ

جــاءَ ســوادٌ مــنكَ في بــياضٍ ... يعــربُ عــنْ خاطــرِكَ الفــيّاضِ

ألطــفُ مِــنْ أزاهِــرِ الــرياضِ ... ومــاءِ مــزنةٍ علــى رضــراضِ

وكتب إليه علم الدين

ليهــنأ بــني الــوردي أنــك مــنهم ... فقــد زدتهــم في الــناس مجدًا على مجد

وكــم في رياض الفضل من زهر حكمة ... وما في صنوف الزهر أزكى[2] من الورد

---

(١) ويروى: خالقي.

(٢) ويروى: أذكى.

قال فأجبته

سـلامٌ كأنفـاسِ النـسائمِ سـحرةً   علـى علـمِ الـدينِ المـبادئِ[1] بالودِّ
لـئنْ كانـتِ الأعـلامُ فيـنا كـثيرةً   خصـصتُ بـودِّي حَضْرَةَ العلمِ الفردِ

وقال

خـشونةُ أهـلِ العلـمِ غـيرُ عجيـبة   وإنْ بالغـوا في الحفظ والبحثِ والفكرِ
لهـمْ أنفـسٌ وحـشيةٌ مـا تأنَّـسَتْ   بجاريـةٍ تـسقي وسـاقيةٍ تجـري

وقال

اعجـبْ لهـوايَ فـيهِ غُـصناً   والقـدُّ بمعنـيينِ سـائلْ
مـا جـادَ عـذارُهُ لدمعـي ال   سـائلِ لا مـا يحـبُّ سـائلْ

وقال في جارية له اسمها لؤلؤة ماتت

وتنظـرُ في القـبورِ فـلا تـراني   وأنظـرُ في القـصورِ فـلا أراهـا
فلـيتَ الباكـياتِ بكـلِّ أرضٍ   جُمعْـنَ لهـا فـنُحْنَ علـى صـباها

وقال فيها

أيـا مـوتُ رفقـاً علـى حـسنِها   فقـدْ بلغَـتْ روحُهـا الـترقوهْ
تـركْتَ جواهـرَ عـندَ اللـئامِ   وتحـسدُ مثلـي علـى لولـوَهْ[2]

وقال فيها

خلعَـتْ ثـوبَ صِـباها   وهْـوَ غـصنٌ يتثنَّـى
إنَّ قـبراً قـدْ حـواها   قـدْ حـوى بـدراً وغُـصنا

وقال فيها

مـضت الحبيـبة والـشبيبة جملـة   ويـلاه مـن فقـد الـصبية والصبا[3]
يـا ربُّ ذقْـتُ الحادثـاتِ فلـمْ أجدْ   شـيئاً أمـرَّ مـنَ الفـراقِ وأصـعبا

---

(١) ويروى: المبادي دون همز.

(٢) ويروى: لؤلوه.

(٣) وفي نسخة يروى البيت:

قضتِ الحبيبةُ والشبيبةُ آهِ وا   أسفاهُ مِنْ فقدِ الصبيةِ والصِبا.

وقال فيها

فــريدةٌ مــنْ لآلــئٍ تتثنَّــى مــنَ المــرضْ
ثُــمَّ ماتــتْ فجــسمُها جوهــرٌ زالَ بالعــرضْ

وقال

أحــسنْ إلى الــناسِ وإلا فــلا تعــتبْ علــى الــناسِ إذا قالــوا
إذا حــرمْتَ الــناسَ مالــوا[1] فمــا يــردُّهمْ جــاهٌ ولا مــالُ

وقال

لحيــته عظــيمة قــد أثقلــت أحــناكه[2]
لــو غــاصَ في البحــرِ بهــا لعــرقلَتْ أسماكَــهُ

وقال

نحــويُّكمْ مِــنْ شَــعْرِهِ وجبيــنه أمــسى وأضــحى
وبطــرفِهِ وقــوامِهِ مــتقلِّداً ســيفاً ورمحــا

وقال

خــذْ مــنَ الدهــرِ نــصيبا قــبلَ أنْ يأخــذَ مــنكا
وانقــبضْ عــنْ كــلِّ فــانٍ قــبلَ أنْ يُقــبضَ عــنكا

وقال

قالــوا زهــدْتَ عــنِ الحكــمِ قلــتُ مــنْ حــسنِ بخــتي
قــدْ كــنتُ قاضــيَ بــرٍّ فــصرتُ ســلطانَ وقــتي

---

(١) ويروى: قالوا.

(٢) وفي نسخة خطأ:

لحيتُهُ طويلةٌ قدْ لأثقلَتْ أحناكَهُ.

وقال

ألا يــا دهــرُ دعــني في خمــولي ... فملبــسي النــباهةُ والتراهــهْ
وعاضــدْ كــلَّ ذي عــيبٍ وريبٍ[1] ... بعــرضِ الــشخصِ مــنهُ ألــفُ عاهةْ
إذا كانــتْ وَجَاهــتهمْ بــإثمٍ ... ففــي تــركِ الــوجاهةِ لي وَجاهَــهْ

وقال

إنَّ لحــسادِيَ عــندي يــداً ... يحــقُّ أن يعــرفَها مثلــي
أبــدَوا عــيوبي فتجنبــتُها ... ونــبَّهوا الــناسَ علــى فــضلي

وقال مضمنًا

نثــرتُ علــيكَ الدمــعَ يــومَ فــراقنا ... كمــا نثــرت فــوق العروس الدراهم
وخالفْــتُ رأيــي طائعــاً فيكَ للهوى ... فــإنَّ الهــوىَ يقظــانُ والــرأيُ نائمُ

وقال

إنْ عــبتَ مَــنْ أهــواهُ واغْتَبْــتَهُ ... مدحــتُهُ عــندي بمــا عِبْــتَهُ
مــا نلــتَ خــيراً في الــذي قلــتَهُ ... أغــضبتني عــنكَ وأغــضبْتَهُ

وقال

إذا أحبــبْتَ نظــمَ الــشعرِ فاختــرْ ... لــنظمِكَ كــلَّ ســهلٍ ذي امتــناعِ
ولا تكثــرْ مجانــسةً ومكِّــنْ ... قوافــيَهُ وكِلْــهُ إلى الطــباعِ

وقال

قالــوا لقــدْ كــسدَ القريضُ فقلتُ بلْ ... عاشــتْ ضــراغمُهُ ومــاتَ ضــباعُهُ
الآنَ طــابَ سماعُــهُ وتقطَّعَــتْ ... أطماعُــهُ وتعــزَّزتْ صــنّاعُهُ

---

(١) ويروى: حمق وجهل.

وقال

قــدْ كــسدَ الــشعرُ فــيا أهلَــهُ ... بــشراكمُ إذْ ذاكَ بالعافــيهْ
زالَ لــباسُ الــذلِّ عــنكمْ وقــدْ ... صــرتمْ إلى مــرتبةٍ عالــيهْ
حُــقَّ ركــوبُ الــشّعراءِ الــضحى ... في زمــرِ الأحــزابِ والغاشــيهْ[1]

وقال

رأيــتُ ظبــياً كُــسرَتْ ... مــنهُ يــدٌ لمــا نَفَــرْ
إنْ كُــسرَتْ مــنهُ يــدٌ ... يــوماً فكــمْ قلــبٍ كــسرْ

وقال

كُــسرتْ يــدٌ مِــنْ نافــرٍ ... عــني تعــاظَمَ كــيدُهُ
والظــبيُ مهمــا عاقَــهُ ... شــيءٌ تيــسَّرَ صــيدُهُ[2]

وقال

قالــوا حبيــبُكَ غــصنُ بــا ... نٍ قلــتُ صُــغراً للغُــصَيْنِ
قالــوا فظــبيُ نقــا فقــلْ ... تُ الظــبيُ يــسوى درهمــينِ

وقال

لحاظُــكَ لي مهلــكٌ ... وثغــرُكَ لي مطلــبُ
يكــادُ ســنا بــرقِهِ ... بأبــصارِنا يــذهبُ

وقال

أحــبُّ مَــنْ كلّمــا رأتــني ... في وجههــا للرضــى دلــيلُ
مــا بخلــتْ لي بــيومِ وصــلٍ ... لكــنَّ دهــري بهــا بخــيلُ

---

(١) ويروى: فالغاشيه.

(٢) ويروى:

والظبي إن كسرت يد ... منه تيَسَّرَ صَيدُهُ

وقال

ومــــالي في زائــــرٍ رغــــبةٌ ففــــيه عــــنِ اللهِ لي مَــــشْغَلَهْ
وقــــدْ لا أراهُ كمــــا قــــيلَ لي وقــــدْ لا يــــراني كمــــا قــــيلَ لَــــهْ

وقال وقد عظم الجور وغلب إلى أن تولى الفزع قضاء حلب

ويلــي علــى الــشهباءِ ويــلُ الشهبا قَــدْ أصــبحتْ بــينَ الوحــوشِ نَهبا
قــردًا وذئــباً زُوِّجَــتْ وكلــباً مــا بقــيتْ تعــوزُ إلا الــدبَّا

وكتب إلى صديق

إني أذم ســــــــــحابًا[1] قــدْ عــاقني عــنكَ شــهرا
ســحابُ كفَّــيْكَ أهــنا مــنَ الــسحابِ وأمْــرا
مــا عــابسٌ درَّ ســيلاً كباســمٍ ســالَ دُرَّا

وقال

خَــوْدٌ جَلَــتْ للــشيخِ كاســاتِها تــزفُّها بالــدفِّ والجــنكِ
قالــتْ تــرى العفــةَ عــنْ هــذهِ فقــالَ لا عــنها ولا عــنْكِ

وقال

مــا لي ولِلــسعي إلى مَــنْ في الحــرامِ قَــدْ غطــسْ
بــينَ لــئامٍ لــوْ أتــى بــضرطةٍ قالــوا عَطَــسْ

وقال

للهِ وردٌ ســــرَّنا في كــلِّ عــامٍ قــربُهُ
أذكــرني بــشمِّهِ وَجْــنَةَ مــنْ أحــبُّهُ

وقال في مليحة عليها قباء أطلس أهدت شيئًا من النرجس

إذا بــرزَتْ في قــباءِ الحريــرِ تقــولُ هــيَ الــشمسُ في الأطلــسِ
أماتــتْ بنرجــستَيْ ناظــرٍ وأحيــيَتْ بناظرَتَــي[2] نَــرْجِسِ

---

(١) ويروى: أشكو إليكَ سحابا.

(٢) ويروى: بناضرتي.

وقال

والله مــــا المـــــردُ مـــرادي وإنْ   نظمـــتُ فـــيهم كعقـــودِ الجمـــانْ
لكـــنَّ[1] مَـــنْ رامَ نفـــاقَ الـــذي   يقـــولُهُ يـــنظمُ خَـــرْجَ الـــزمانْ

وقال

مـــا المـــردُ أكـــبرُ همّـــي   ولا نهايـــــةُ علمـــــي
ولـــستُ مـــنْ قـــومِ لـــوطٍ   حاشـــا تقـــايَ وحلمـــي
وإنمـــا خَـــرْجُ دهـــري   كـــذا فـــنفَّقْتُ نظمـــي

وقال

قالـــوا فـــلانٌ جـــيِّدُ   فأجـــبْتُ أيـــنَ الجـــيِّدْ
إمـــا غـــنيٌّ باخـــلٌ   أو معـــــسرٌ يتـــــصيَّدُ

وقال

يـــا صـــاحباً كـــانَ لي وفـــيًّا   وبي حفـــيًّا فعـــادَ نَـــذْلا
قـــدْ يـــستحيلُ المـــدامُ خَـــلاًّ   ويـــستحيلُ الطعـــامُ زَبْـــلا

وقال

هـــذا الـــيهوديُّ الطبـــيبُ إذا رأى   أَمَـــتي الـــضعيفةَ عـــنهُ طبعـــي نافـــرُ
أأصـــونُها عـــنْ أختـــها شمسِ الضحى   ويـــرى محاســـنَها العـــدوُّ الكافـــرُ

وقال عن لسان صاحب له ماتت زوجته يرثيها

أوحـــشتِني يـــا صـــنعةُ الـــباري   كمالـــكِ العـــاري عـــن العـــار[2]
يـــا نـــورَ عـــيني ويـــا حـــياتي ويـــا   أنـــسي ويـــا مـــودعَ أســـراري
لم تنـــصفيني أنـــتِ في جـــنةٍ   ومهجـــتي بعـــدَكِ في نـــارِ[3]

---

(١) ويروى: بل كل.

(٢) ويروى: جمالُكَ العاري منَ العارِ.

(٣) ويروى: النار.

بعـــدَكِ لا تعجـــبني غـــادةٌ ولـو غـدتْ كالكـوكبِ الساري
وإنْ أجــدْ مــثلَكِ مِــنْ لي في عــشقيَ الطـاري صبا طـارِ
إنْ كـانَ صـبري ناصـري بعـدما بِــنْتِ فـيا قلـةَ أنـصاري
آثـارك الحـسنى إذا مـا بـدت تكـاد أن تـذهب آثـاري
واللهِ قـد أبكـيت عـيني وقـد أوحـشت يـا شمس الضحى داري

وقال

قالـوا تـنقَّلْ لتـنالَ العُلـى واشمـخْ إلى العـزِّ ولا تقتـنعِ(١)
قلـتُ خمـولٌ فـيهِ لي راحـتي وأيـنما سـافرتُ حظـي معـي(٢)

وقال

هـــذه دارٌ رأيـــنا كـــلَّ مـــا نكـــرهُ مـــنها
نـــسألُ اللهَ تعـــالى أنْ يـــزيلَ الـــسترَ(٣) عـــنها

وقال

هـــذه دارٌ رأيـــنا كـــلَّ مـــا نخـــتارُ مـــنها
نـــسألُ اللهَ تعـــالى أنْ يـــزيلَ الـــبؤسَ عـــنها

وقال مضمنًا

دُنـيا يُـضامُ كـرامُها بلـئامِها ودلـيلُ ذاكَ حـسينُها ويـزيدُها
يـا خاطـبَ الدنـيا الدنـيَّة إنهـا طُـبعتْ علـى كـدرٍ وأنـتَ تريدُها

وقال

سـألتُ ربي عروسـاً(٤) وكـنتُ في ذاكَ مخطـي
فجـادَ لي بعـروسٍ لكـنَّها تحـتَ إبطـي

---

(١) في نسخة: تقنع.

(٢) ويروى البيت:

فقلت خلوني في موضعي فأينما سافرت حظي معي

(٣) ويروى: السعد.

(٤) ويروى: سألتُ دهري عروساً.

وقال

عـــشقت[١] حـــصاداً حكَـــتْ قـــامتي   مـــنْ طـــولِ مـــا يهجـــرُني مـــنجلَهْ
أقـــولُ والـــسنبلُ مـــنْ حـــولِهِ   مـــولايَ أنـــتَ الـــشمسُ في الـــسنبلَهْ

وقال

ألـــسثغُ بالـــراءِ زارَ بـــيتي   فجاءَنـــا حاســـدٌ وأصـــغى
قلـــتُ أفـــقْ فالحـــسودُ بـــرًّا   قـــال أفـــقْ فالحـــسودُ بغًّـــا

وقال

خـــصْرُ خـــبازِكمْ رقـــيقٌ[٢] ولكـــنْ   بطـــنُهُ عجـــنةٌ فـــدعْ فـــيهِ نـــصحي
وجهُـــهُ كالـــرغيفِ يعلـــوهُ ملـــحٌ   فاعـــذروني في حفـــظِ خبـــزٍ وملـــحِ

وقال

ليَ نفـــسٌ تقـــيةٌ[٣] لم يعـــبْها   غـــيرُ حظـــي وذا بغـــيرِ اختـــياري
جامـــعُ الحـــظِّ والـــذكاءِ قلـــيلٌ   يـــصعبُ الجمـــعُ بـــينَ مـــاءٍ ونـــارِ

وقال

مـــشتملاً[٤] بالـــسيفِ قـــدْ زارني   وكـــنتُ لا أطمـــعُ في الطـــيفِ
وقـــال خالفْـــتُ كـــلامَ العـــدى   فـــيكَ وقـــد زرتُـــكَ بالـــسيفِ

وقال

قـــاضٍ لـــنا مهمـــا انـــثنى أوْ بـــدا   يغـــارُ مـــنهُ الغـــصنُ والـــبدرُ
قـــالَ لـــسانُ الحـــالِ مِـــنْ ريقِـــهِ   الـــيومَ خمـــرٌ وغـــداً أمـــرُ

---

(١) وتروى: هويت بدلاً من عشقت.

(٢) وفي نسخة: دقيق.

(٣) وتروى نفيسة بدلاً من تقية.

(٤) في نسخة: مشتمل.

وقال

ودَّعـتْني بطـرفها ومـضتْ وهْـيَ لا تعـي
يـدُها فـوقَ خـدِّها ويـدي فـوقَ أضـلعي

وقال

أبـني زمـاني مـا أنـا منكمْ وقـولُ الحـقِّ يثـبتْ
وإذا نـشأتُ خلالكـم فالـوردُ بـينَ الـشوكِ ينـبتْ

وقال

أبائـعَ حَـبٍّ القمـحِ في وصلِ شادنٍ لعـونِ ضـحوكٍ للعقـول سـلوبِ
حظـيتَ بـردٍّ العجزِ للصبر[1] فاحتقرْ قلـيبَ حُـبوب في حبـيبِ قلـوبِ

وقال

حالـةُ الـدولابِ دلَّـتْ أنَّـه في فـرطِ حـزْنِ
كـانَ يُـسْقى ويغنَّـى صـار يـسقي ويغنِّـي

وقال

أفـديك أيـتها الـدِمَنْ رَكْـبُ الحبـيبِ مـتى ظعـنْ
ظعـنوا بظـبيٍ سـاكنٍ قلـبي وقلـبي مـا سـكنْ
ولقـدْ عهـدتك مَلْعَـباً للغـيدِ والرشـأِ الأَغـنْ
يـا لائمـي في حـبِّه أيكـونُ مـا وتلـومُ مَـنْ

وقال

ودقـاق يـدقُّ قفـا عـذولي بخَـدٍّ مـنهُ ينـشقُّ الـشقيقُ
رَبَـتْ أردافـهُ إذ دَقَّ خـصراً فقلـتُ لـه بِكَـمْ هـذا الدقـيقُ

وقال في حاجب مذموم السيرة عزل وتولى حاجب مشكور السيرة

إذا الحاجـبُ المذمـومُ عنْ حلبٍ مضى ودامَ بهـا المـشكورُ أنـشد صـاحبي
تـبدَّتْ لـنا كالـشمس تحتَ غمامةٍ بـدا حاجـبٌ مـنها وضنَّتْ بحاجبِ

---

(١) ويروى: للصدر.

وقال

أرى الـــشيخَ شمـــسَ الدينِ أزمعَ رحلةً إلى حـــضرات القـــدسِ أفديه مِنْ شمسِ
ولـــوْ رامَ غـــيرَ القـــدسِ كـــنتُ منعتهُ وكـــيفَ يجـــوزُ المنعُ عن حضرةِ القدْسِ

وقال

إذا مـــا تعاصـــى مـــن تحـــب لقـــاءه عـــن الوصـــل واســـتولى علـــيه التغير
فارسـنـل لــه الديـــنار فهـــو طيـــبه[1] ومـــن عجـــب الدنـــيا طـــيب مصفر

وقال

إنَّ للـــــــــــشامِ قـــــــــرايا[2] لم تـــــصلْ مـــــصرُ إلـــــيها
كـــمْ بمـــصرٍ مـــن وجـــوهٍ نَفَـــــضَ النـــيلُ علــــيها

وقال

قلـــتُ لَمَـــيٍّ أنـــا في حـــيِّكمْ مَـــيْتٌ فـــدتْك الـــنفسُ مـــنْ مَـــيٍّ
قالـــت أرى مـــاذا فيَّ تَـــرَيْنَ مـــا[3] يخـــرجُ المـــيْتُ مـــن الحـــيِّ

وقال

مجلـــسُهُمْ مجلـــسٌ بهـــيٌّ يجعـــلُ مـــالَ البخـــيلِ فيـــئا[4]
وفـــيه ظـــبيٌ يقـــولُ شـــيئاً وأغـــيدٌ لا يقـــولُ شـــيئا

وقال

لا تكـــنْ لائمـــي إذا اهتـــزَّ عطفـــي مـــن سماعـــي لكـــلِّ معـــنى نظـــيمِ
كـــل مـــن كـــان في ريـــاض المعاني غُـــصُناً هـــزَّهُ مـــرورُ النـــسيمِ

---

(١) طبيبه.

(٢) ويروى: فراتًا بدلاً من قرايا.

(٣) وفي نسخة: "أن" بدل "ما".

(٤) ويروى: فيًا.

وقال رحمه الله قلت تأدبًا لا تكسبا ولم أرد بها معينًا والحمد لله على الغنى فأنا لا أمدح ولا أهجو، ولا أخاف حرمان أحد ولا أرجو وسميتها الذهب الخالص في حسن المخالص

أنـــا في الحـــبِّ قانـــعٌ باليـــسير ... بخـــيالٍ يـــزورُ أو وَعـــدِ زورِ

مـــا لهـــندٍ إذا طلـــبتُ رضـــاها ... فاجـــأتني بنفـــثةِ المـــصدورِ

ألِعَـــيْبٍ كـــرِهْتِني أمْ لـــريبٍ ... أمْ لـــشيبٍ قالـــت لهـــذا الأخـــيرِ

أنـــا بـــدرٌ وقـــد بـــدا الـــصبحُ في رأ ... ســـكَ والـــصبحُ طـــاردٌ للـــبدورِ

يـــا نهـــارَ المـــشيبِ مَـــنْ لي وهـــيها ... تَ بلـــيلِ الـــشبيبةِ الديجـــوري

قلـــت إنَّ المـــشيبَ نـــورٌ فقالـــت ... أشـــتهي نُـــورَةً لـــذاكَ[1] الـــنورِ

قلـــت لا فـــضلَ في ســـوادِ الـــشعورِ ... عـــندنا غـــيرُ لـــونِ نقْـــسِ الوزيـــرِ

ســـارَ بـــين الأنـــامِ فـــيكِ وفـــيهِ ... مـــن مديحـــي ديـــوانُ شـــعرٍ كـــبيرِ

لـــكِ وجـــهٌ أغـــرُّ بـــاهٍ فـــريدٌ ... مـــثلُ دهـــرِ الوزيـــرِ بـــينَ الدهـــورِ

لـــيسَ شـــغلي إلاّ هـــواكِ ومدحـــي ... فـــيهِ هـــذانِ روضـــتي وغديـــري

وإذا ضـــاقَ مـــنْ تجنِّـــيك صـــدري ... فمديحـــي لـــهُ شـــفاءُ الـــصدورِ

كـــلُّ شـــيءٍ سينقـــضي غـــيرَ حـــبي ... لـــكِ والمـــدحِ للوزيـــرِ الكـــبيرِ

كـــم جـــرتْ أدمعـــي لهجـــرِكِ تحكي ... مِـــنْ عطايـــا الوزيـــرِ ســـيلَ البحورِ

أنـــا لـــولا هـــواكِ صـــنتُ دموعـــي ... صـــونَ ديـــنِ الوزيـــرِ عـــنْ محظـــورِ

مدمعـــي فـــيكِ والـــندى مـــن يديه ... أخْجَـــلا مُـــسْبَلَ الغمـــامِ الغزيـــرِ

وإذا كـــنتُ في هـــواك مـــسيئاً ... فمـــديحُ الوزيـــرِ كالـــتكفيرِ

لا وطـــولِ القـــيامِ فـــيكِ[3] ووجدي ... مـــا لطَـــوْلِ الوزيـــرِ مِـــنْ تقـــصيرِ

كـــيفَ أســـتطيعُ لـــثمَ ثغـــرِكِ يا هنْ ... دُ ودأبُ الوزيـــرِ ســـدُّ[2] الـــثغورِ

---

(١) ويروى: لهذا.

(٢) في نسخة: صون.

(٣) في نسخة: منك.

فأديــــري علـــيَّ كـــأسَ مُـــدامٍ ... مـــثلَ أخلاقـــه بـــلا تكديـــرِ

لـــيسَ لي عـــنْ هـــواكِ أقسمْتُ صبرٌ ... لا ولا عَـــنْ مديحـــه المـــبرورِ

بي إلى وصـــلِكِ افـــتقارٌ(١) كمـــا بال ... نـــاسِ فقـــرٌ إلى بقـــاءِ الوزيـــرِ

لِيَ جفـــنٌ وللوزيـــر لـــواءٌ(٢) ... دُعـــيا بالـــسفاحِ والمنـــصورِ

أنعِمـــي بالوصـــالِ جـــادكِ غـــيثٌ ... كـــنوالٍ مـــن راحتـــيهِ غزيـــرِ

ربَّ لـــيلٍ ســـهرتُ فـــيكِ إلى أنْ ... لاحَ فجـــرٌ كـــنورِهِ أيَّ نـــورِ

أثْقَلَـــتْني ردفـــاكِ والجـــودُ مـــنهُ ... أنـــا لا أســـتطيعُ حمـــلَ الطـــورِ

لا تـــذلي(٣) علـــى هـــواكِ عـــنادي ... للأعـــادي أمـــا الوزيـــرُ نـــصيري

فـــيكِ وجـــدي يـــا هندُ وجدٌ عظيمٌ ... مـــثلُ وجـــدِ الوزيـــرِ بالتبذيـــرِ

وإذا كـــانَ في ودادكِ نقـــصٌ ... فـــبمدحِ الوزيـــر تمَّ ســـروري

لـــكِ طـــرفٌ يـــروي روايـــةَ مكحو ... لٍ وإحـــسانُهُ عـــنِ ابـــنِ كـــثيرِ

فَهْـــوَ طـــرفٌ فـــتورُهُ ذو فـــتون ... أنـــا أفـــدي الوزيـــرَ مِـــنْ ذا الفـــتورِ

وإذا مـــا نـــشرتِ شـــعركِ دَلاً ... فَهْـــوَ حاكـــي لـــوائه المنـــشورِ

وإذا مـــا فـــتحتِ جفـــنَكِ المـــكْ ... ســـورَ هِمْـــنا بـــسيفهِ المنـــصورِ

وإذا بـــسمْتِ عـــن ثغـــرِكِ المـــنْ ... ظـــومِ أغـــرى بلفظـــه المنـــثورِ

وإذا مـــا هـــزَزْتِ لي قَـــدَّكِ المـــنْ ... صـــوبَ قلـــنا كـــرمحِهِ المجـــرورِ

ويـــكَ يـــا قلـــبَها بعلـــمِ وفـــاء ... مـــنهُ إنَّ الـــوفاءَ أحـــصنُ ســـورِ

واســـتفدْ يـــا زمـــانُ عطفـــاً ولطفـــاً ... في هـــواها مـــن خلقـــه المـــشكورِ

أنـــا لـــو كـــنتُ حازمـــاً في هـــواها ... حـــزمَهُ في الحـــروبِ جـــادَتْ أموري

حـــبُّها فاعـــلٌ بقلـــبيَ أفعـــا ... لَ يديـــه في مالـــه المذخـــور

---

(١) ويروى: "التفات" بدلاً من "افتقار".

(٢) ويروى: لوآء.

(٣) في نسخة: تذمي.

قـــــسماً إنَّ ريقَهــــا ونـــــداه ينشرُ الميْتَ قَبْلَ يـوم النـشورِ

لـيسَ أحلـى مـن وصلها غيرَ مدحي طَـوْلَ هـذا الوزيـر لـولا قصوري

هاكهــا أيُّهــا الوزيــرُ عروســاً أنــتَ كـفءٌ لحـسنها الموفـورِ

فهْـي بكـرٌ عـذراءُ في ظلِّـكَ الممْ دودِ تجلــى بــسمعِكَ المقــصورِ

كـلُّ بـيت فـيهِ نـسيبٌ ومـدحٌ مـستجادٌ مـنْ مـستكنٍّ ضـميري

كـرَّرتْ لي مخالـصاً فـيك تحكـي سُــكَّراً يُــستلذُّ بالتكريــرِ

عمـدةٌ للـذي يـريدُ مـديحاً كـلُّ بـيتٍ مـنها يُعَـدُّ بـدورِ

طابــعٌ تُطْــبَعُ الـبدورُ علـيها فهْــي للــناظمينِ كالدســتورِ

مهـرُها مـنكَ خـالصٌ مـن ودادٍ إنَّ مهــرَ الفــاني أخــسُّ المهــورِ

واكتــسابُ الغــنى بــنظمٍ ونثــرٍ فـيه نقـصٌ للفاضـلِ المـشهورِ

أنــا لفظــي درُّ الـنحورِ ومثلــي لم يــبعْ بالحطــامِ درَّ الــنحورِ

إنَّ فقــرَ الــنفوسِ ذلٌّ وشَــيْنٌ وغــنى الـنفسِ عــزُّ كـلِّ فقـيرِ

كـم غـنيٍّ أضـحى نظـيرَ عـديمٍ وفقــيرٍ أمـسى عـديمَ نظـيرِ

فعـلى وجهِـكَ الوسـيمِ سـلامـي وإلـى بابِـكَ الكـريمِ حضـوري

وقال

ناديــتُ صــالحةٌ لقــد أمــسيتِ عــنا نازحَــهْ

قالــتْ نــزحْتُ لأنّكــم مــا تــصلحونَ لــصالحَهْ

وقال

تغــسلُ عــيني وجــنتي بدمعــةٍ هاملــةِ

فوجــنتي قــائلتي عــوَّتي غاســلتي

وقال

أزرقُ عــينٍ لابــسٌ أزرقــا في ظـلِّ كـرْمٍ يانـعٍ مـورقِ

فـانهضْ إلى فيءِ الـدوالي بـنا نــشاهدِ الأزرقَ في الأزرقِ

وقال فيمن سرق من مخدومه ظرف خمر ففصله عن خدمته

في ظـــرف خمـــرٍ خـــانَ مخدومَـــهُ فامـــتلأ المخـــدومُ غـــيظاً علـــيهْ
لا بـــدْعَ في ظـــرفٍ أتـــى فاصـــلاً بـــينَ مـــضافٍ ومـــضافٍ إلـــيهْ

وقال

أيـــا أرضَ الـــشمالِ فـــدتكِ نفـــسي وأُصـــغِرُ أنْ أقـــولَ فـــداكِ مـــالي
وقالـــوا مِـــلْ إلى جهـــةٍ ســـواها فقلـــتُ القلـــبُ في جهـــةِ الـــشمالِ

وقال

جـــدارُ بـــيتي وفـــتاتي بـــهِ ذا ســـاقطٌ ضَـــعْفاً وذي ســـاقطهْ
فالبـــيتُ محـــتاجٌ إلى حـــائطٍ والمـــالُ محـــتاجٌ إلى حائطـــهْ

وقال

لي شـــهوتانِ أحـــبُّ جمعَهُمَـــا لـــو كانـــتِ الـــشهواتُ مـــضمونَهْ
أعـــناقُ عـــذّالي مدققـــةٌ ومفاصـــلُ الـــرقباءِ مدفـــونَهْ

وقال

إذا أخفـــى صـــديقكَ عـــنكَ ســـرّاً وأبهـــمَ حالَـــهُ فـــسواهُ أولى
فـــلا تجـــزمْ بالاســـتفهامِ عـــنهُ وهـــبْ أخـــبارَهُ أخـــبارَ لـــولا

وقال

أقـــولُ طلـــبت مـــالاً وملـــتِ عـــنِ افـــتقاري
فقالـــتْ كـــلُّ قلـــبٍ يمـــيلُ إلى اليـــسارِ

وقال

حبـــيبي كـــمْ مجانـــبةٍ وصـــدٌّ[1] علـــوٌّ مـــنك ذلـــك أمْ غلـــوٌّ
ظلمـــتَ وربمـــا إن دامَ هـــذا يـــدبُّ أعـــوذُ بـــاللهِ الـــسلوٌّ

---

(١) ويروى: وصدًّا.

وقال

بشَّروني لَّما جربْتُ وقالوا   لا تخفْ قد لبستَ ثوباً مدثَّرْ
قلتُ لا خيرَ في دنانيرَ ثوبٍ   زغلٍ لونُها على الحكِّ أحمرْ

وقال في مجدر

قالوا تجدَّرَ منْ هوى فطلعتُهُ   كالبدرِ مِنْ فوقِها سمطان منْ لولو
فقلتُ ما هوَ في أعراضِ عدَّتهِ(1)   إلاَّ أغنُّ غضيضُ الطرفِ مكحولُ

وقال

لو كانَ يرضى بحكمي   في الحسْنِ سودٌ وبيضُ
لقلتُ للسودِ سودوا   وقلتُ للبيضِ بيضوا

وقال

ما السودُ كالبيضِ وَصْلُ السودِ مَنْقَصةٌ   فعدْ عنهنَّ واذكرْ خجلةَ الحَبَلِ
وارجعْ إلى الحقِّ والطبعِ السليمِ تجدْ   في طلعةِ الشمسِ ما يغنيكَ عَنْ زُحَلِ

وقال

أعورُ بالسيمنى إلى جنبهِ   أعورُ باليسرى قدِ انضما
فقلتُ يا قومُ انظروا واعجبوا   منْ أعورينِ اكتنفا أعمى

وقال

وناتفٍ للشعَرِ إنْ لمتَهُ   قالَ ولا تَخْشَ منَ الجبْهِ
شعري جناحُ الحسنِ أنْسَلْتُهُ   كي لا يطيرَ الحسنُ مِنْ وجهي

وقال

أأُضِيعُ سحرَ جفونهِ   وأُهينُ مبسَمَهُ وخمرَهْ
منْ شعرتين بخدِّهِ   كلاَّ ولا ألفينِ شعرَهْ

---

(1) ويروى: الأغراض أجمعها.

وقال مجيبًا للقاضي بدر الدين بن الخشاب المصري عن أبيات كتبها إليه عند منصرفه من حلب

فـــراقُكَ للأجـــسادِ مُفْـــنٍ ومـــتلفُ ... وبُعـــدُكَ للأكـــبادِ مـــضنٍ ومُـــضْعِفُ

بـــأيِّ اجتـــراحٍ أم بـــأيِّ جـــريمة ... تـــصدُّ عـــنِ الهـــادي إلـــيكَ وتصدفُ

وكـــنا نرجِّـــي أنْ نُجـــازى بميلِـــنا ... إلـــيكَ بأضـــعافٍ فإنَّـــكَ منـــصفُ

ومَـــنْ ذا الـــذي نرضاهُ بعدَكَ حاكماً ... يعـــزُّ علينـــا أم بمَـــنْ نتعـــرَّفُ

فـــيا طـــولَ ذكـــرانا لأوصـــافِكَ التي ... تجـــلُّ عـــنِ المـــسكِ الذكـــيِّ وتلطفُ

أســـيدنا قاضـــي القـــضاةِ الـــذي لهُ ... تقـــى وعلـــومٌ جمـــةٌ وتعفُّـــفُ

وديـــنٌ وعـــرضٌ ســـالمٌ وتعطّـــفٌ ... وصـــونٌ وثغـــرٌ باســـمٌ وتلطُّـــفُ

أأبـــياتُ شـــعرٍ أنـــتَ نـــاظمُ عقدها ... لتجـــبرَ كـــسري أمْ ســـلافٌ وقرقفُ

لقـــدْ شـــرَّفَتْ قدري وأعلَتْ مراتبي[1] ... ومـــثلُكَ حقـــاً مَـــنْ بـــهِ يُتـــشرَّفُ

لـــئنْ ســـرَّني ذاكَ الـــنظامُ المفـــوَّفُ ... لقـــدْ ســـاءني هـــذا الـــبعادُ المسوِّفُ

ولا بـــدْعَ مِـــنْ مـــصرٍ جمالٌ ورفعةٌ[2] ... فقـــيلَ حوى الوصفينِ في مصرَ يوسفُ

لقـــدْ ســـرتَ فيـــنا ســـيرةً عُمَـــرِيَّةً ... تـــشرِّفُ أسمـــاعَ العلـــى وتـــشنِّفُ

عجـــبتُ لأيـــامِ اللقـــاءِ قـــصيرةً ... تمـــرُّ ســـراعاً فهْـــيَ كالـــبرقِ تخطفُ

إذا لمْ أصـــفْ حـــبي لكـــمْ فهْوَ مضمرٌ ... وقـــدْ مـــنعوا أنَّ الـــضمائرَ توصَـــفُ

فـــسرْ في أمـــانِ اللهِ ذكـــرُكَ طـــيِّبٌ ... وعرضُـــكَ محفـــوظٌ وأنـــتَ مـــشرَّفُ

ســـتعتاضُ بـــالأهلينَ عـــنَّا و بالعلـــى ... وتعويـــضُنا عـــنكَ الأســـى والتأسفُ

علـــى أنـــنا نـــرجو مـــن اللهِ عـــودةً ... يُـــسرُّ بهـــا بـــاكٍ ويـــنعَشُ مدنَـــفُ

وقـــدْ يجمـــعُ اللّـــهُ الـــشتيتينِ مِـــنَّةً ... وفـــضلاً وربُّ الـــناسِ بالـــناسِ ألطفُ

---

(١) في نسخة: مكانتي.

(٢) في نسخة: عفة.

وقال في ابن ابن له توفي

أمفارقـي طفـلاً أشـبْتَ مَفارقـي ... إذ كـنـتَ محـبوباً إلى محـبوبي

فجـرَتْ أنابـيبُ الدمـوعِ[1] عوالياً ... كالـرمحِ أنـبوباً علـى أنـبوبِ

وقال

لـثغةُ مَـنْ أهـواهُ مِـنْ حـسنِها ... عـندي علـى الـوجهينِ محمـولَهْ

قلـتُ سـهامُ الطـرفِ منـسولةٌ ... لرمـيِ قلـبي قـال منـثولَهْ

قلـتُ سـيوفُ الـصبرِ مـسلولةٌ ... علـيكَ منّـي قـال مـثلولَهْ

وقال

حاجـبُكَ المـزْورُّ أَبْعـدْهُ عـنْ ... عيـنكَ واحـذرْ مـنهُ أنْ يهلكَـكْ

أمـرانِ فاحـذر مـنهما واحـداً ... أنْ تتـركَ الحاجـبَ أو يتـركَكْ[2]

وقال

زرتُهُـمُ صـحبةً وودّاً ... ألفيـتُهم مغلقـينَ بابـا

سـعيي إلى بـابهم جـنونٌ ... مـني فأسـتأهلُ الحجابـا

وقال

جئـنا إلى الـبابِ باحـتفالٍ ... ثمَّ رجعـنا بـسوءِ حـالِ

قالـوا لـنا نـائمٌ فقلـنا ... بـلْ هـوَ يقظـانُ للمعـالي

وقال

جئـنا إلى الـبابِ بانـتهاز ... ثمَّ رجعـنا بِـلا جـواز

قالـوا لـنا نـائمٌ فقلـنا ... بـلْ هـوَ يقظـانُ للمخـازي

---

(١) ويروى: الدماء.

(٢) وفي نسخة:

حاجبُكَ المزْورُّ أَبْعدْهُ عنْ ... عينكَ واحذرْ منهُ أنْ يهلكَكْ

أمرانِ فاخترْ منهما واحداً ... أنْ تتركَ الحاجبَ أو نتركَكْ.

وقال

تدرون لَمْ سبقتمُ ... ولَمْ تأخرتُ أنا
لأنني منْ بينكمْ ... رُبيتُ حرّاً ديِّنا

وقال

يقولُ لي بوابُهُ إذْ رأى ... بالبابِ منِّى وقفةَ الحائرِ
لهُ مخازيمُ بها شغلُهُ ... قلتُ مخازيمُ بلا آخرِ

وقال

معرةُ الأذكياءِ تسبي ... لبي(1) ووادي الجنانِ حسبي
قالوا الزُّرَيْنيق قلتُ عيني ... قالوا المغيبين قلتُ قلبي

وقال

إنَّ بالشامِ لبرْداً يابساً ... عابساً يخشاهُ مَنْ فيهِ أقاما
فاصرفِ اللهمَ عنا شرَّهُ ... ربنا واجعلهُ برداً وسلاما

وقال في إمام باجرة ويعظ ويجبي

صلى بحرفٍ منْ رغيفٍ كذا ... مَنْ يعبدُ اللهَ على حرف
وكفهم بالوعظِ لكنْ جبى ... فأكلُهُمْ بالخمسِ والكفِّ
فاقتربتْ آخرُ صادٍ لهُ ... إذْ لمْ يكنْ منْ أولِ الصفِّ

وقال

رعى اللهُ عيشاً بالمعرةِ لي مضى ... حكاهُ ابتسامُ البرقِ إذْ هوَ أومضا
وعصرُ شبابٍ في سباتِ قطعْتُهُ ... وفي أرضِ حَنْدُوثينِ في ذلكَ الفضا
أعاذلُ لو شاهدتُ بابَ جنانها ... لما كنتَ يوماً ناهياً بل محرِّضا
ولو عينُ معراثاً رأيتَ صفاءَها ... لأصبحتَ منْ غيظِ الملامة ريِّضا
فصفْ لي عيوناً بالمنابعِ فُيَّضا ... أريكَ عيوناً بالمدامعِ فُيَّضا

---

(١) ويروى: ودِّي.

ولا تبــــتدرْ[٢] بالبــــيدرين فأضـــلعي أخـــافُ مـــنَ الأشواقِ أن تتقضقضا[١]

ولا تجـــريا لي ذكـــرَ جـــريا ونحـــوها ربي جادَهـــا غـــيثٌ فـــروَّى وروَّضـــا

ففـــستقُها عـــند ابتـــسامِ ثغـــوره يُـــضاحكُ بـــرقاً قد أضاءَ بذي الأضا

وقلعـــتُها عـــندي وإنْ بـــانَ أهلُهـــا كأطـــولَ مِـــنْ سهدي عليها وأعرضا

وعـــينُ زُرَيْـــقٍ بي إلى مائِهـــا ظمـــا ألم تـــرَ لـــونَ المـــاءِ أزرقَ أبيـــضا

وكـــم لقلـــيلاتِ[٦] العـــسيلِ حلاوةٍ وإنْ ملحـــتْ في عـــينِ مَنْ مرَّ مُعْرِضا

وشـــوقي إلى أنـــوارِ مـــشهدِ يوشـــعٍ تـــشوُّقُ مَـــنْ ضـــاقَتْ بهِ سعةُ الفضا

ولـــو درتُ وادي ديـــرِ سمعـــانَ ساعةً لكـــنتُ أبـــلَّ الشوقَ مِنْ عمرِ الرضى

ويـــا ماشـــياً في ملـــكِ فـــارسَ راجلاً ســـعدتَ فكنْ عنْ ملكِ فارسَ معرضا

لقـــد طـــالَ بالهرماسِ عهدي وماؤُهُ[٧] إذا مـــا جـــرى كالسيفِ أحمرَ منتضى

كمعـــصمِ خَـــوْدٍ خـــضَّبَتْهُ وأومـــأتْ بـــهِ في قـــباءٍ سندســـيٍّ تقوَّضـــا[٣]

فمـــا أهـــيبَ الهـــرماسَ إنْ عجَّ مزبداً بهـــا وإلى قطـــعِ الطـــريقِ تعرَّضـــا

حكـــى الخمـــرَ حاشـــاهُ فهـــذا محلَّلٌ طهـــورٌ مـــباحٌ[٤] للعـــبادةِ مرتـــضى

إذا صـــقلَتْ ريـــحُ الـــصَّبا متـــنَهُ أتت تفـــرِّكُ ثـــوباً مُذْهـــباً ومفضَّـــضا

علـــى جانبـــيهِ الـــدوحُ لا بلْ عرائسٌ تـــرومُ لنثـــرِ الـــدرِّ أن تتنفـــضا

وروضٍ غـــدا عـــن ســـحبِهِ طيِّبَ الثنا بنفـــسجُهُ يحكـــي الخُدَيْـــدَ المفضضا[٥]

---

(١) ويروى: تتفضفضا.

(٢) وفي نسخة: تبدرا.

(٣) ويروى: تفوضًا.

(٤) ويروى: مباح طهور.

(٥) في نسخة: المعضضا.

(٦) في نسخة: لعليات.

(٧) في نسخة: ومائه.

وأسمـــرَ زاهٍ[٤] قــدْ تقلَّــدا أسمـــرا ... وأبيضَ نــاهٍ[١] قــدْ تقلَّــدَ أبيــضا[٢]

أصــباغِ ألــوانٍ وأحــداقِ نــرجسٍ ... وقـــاحٍ أبَــتْ أجفانُهـــا أن تغمَّـــضا

وقامـــات أغـــصانٍ رشـــاقٍ تعانقَـــتْ ... فمنـــثورُ مـــنظومِ الأزاهـــرِ قَـــدْ أضـــا

وشـــقَّ الـــشقيقُ الـــثوبَ عنهُ كثاكلٍ ... علـــيها ثـــيابٌ للـــدما لـــيس تنتـــضى

فمـــا المنحنى ما السفحُ ما البانُ ما النقا ... ومـــا رامـــةٌ عـــندَ المعـــرةِ مـــا الغضى

فـــواللهِ لا فـــضَّلْتُ في الأرضِ بقعـــةً ... علـــيها ســـوى مـــا فضَّلَ اللهُ وارتضى

لهـــا خَبَـــرٌ في طيـــبِها فَهْـــيَ مبـــتدا ... فمـــرفوعُها[٣] مـــا كانَ عندي لِيُخْفَضا

ومـــا[٦] بُنـــيَتْ بـــينَ الفـــراتِ وجلِّقٍ ... ســـدى إنمـــا هـــذا لـــسرٌّ قد اقتضى

مـــنازلُ كانـــتْ مربعـــي[٧] زمنَ الصِّبا ... فأبعـــدَني المقـــدورُ عـــنها وأنهـــضا

مـــــراتعُ آرامٍ مـــــرابعُ جـــــيرةٍ ... مَلاعـــبُ[٥] غـــزلانٍ معاهـــدُ تُرْتضى

فللـــهِ هاتـــيكَ الـــربى وســـفوحُها ... وللهِ عمْـــرٌ في ســـواها قـــدِ انقـــضى

ومـــا عـــنْ رضـــى كانتْ سواها بديلةً ... لهـــا غـــيرَ أنَّ الدهـــرَ ما زالَ مدحِضا

قـــضاها لغـــيري وابـــتلاني بحـــبِّها ... فحمـــداً لـــهُ فـــيما ابتلاني وما قضى

وَمَـــنْ نَظَـــرَ الدنـــيا بمـــا هـــي أهلُهُ ... أرتْهُ الرضى كالسخطِ والسخطَ كالرضى

ســـلامٌ علـــى ذاتِ القـــصورِ وأهلِهـــا ... ومـــستقبلٍ مِـــنْ حسنِ حالٍ بها مضى

---

(١) في نسخة: زاه.

(٢) وهذا البيت والذي قبله يروى ترتيبهما على العكس.

(٣) في نسخة: ومرفوعها.

(٤) في نسخة: ناه.

(٥) في نسخة: مراتع.

(٦) في نسخة: فما.

(٧) في نسخة: مرتعي.

وقال

جُمِعــــتْ للبـــــنان ثـــلاثُ محاســـنِ ... ممَّـــنْ هـــويتُ علـــى جلالـــةِ قدرِهِ
تفاحـــــةٌ مِـــنْ وجنتـــــيهِ وخمـــرةٌ ... مِـــنْ مقلتـــيهِ وثلجـــةٌ مِـــنْ ثغـــرِهِ

وقال

قالـــــتْ إذا كـــــنتَ تـــرجو ... أُنـــــسي وتخـــــشى نفـــــوري
صـــــفْ وردَ خـــــدِّي وإلا ... أجـــــورُ ناديـــــتُ جـــــوري

وقال

ناعـــــــورةٌ مذعـــــــــورةٌ ... وَهْـــــيَ كثكلـــــى حائـــــرَهْ
المـــــاءُ فـــــوقَ كـــــتْفِها ... وَهْـــــيَ علـــــيهِ دائـــــرَهْ

وقال

وتاجـــــرٍ ماطلْـــــتُهُ ديـــــنَهُ ... لأجتلـــيهِ قـــالَ مـــا أمطلَـــكْ
قلـــتُ لـــهُ جـــيدُكَ لي أوْ لِمَـــنْ ... فقـــالَ هـــاتِ المـــالَ والجـــيدُ لـــكْ

وقال دو بيت

يــا روضــةَ حــسنٍ ليتَها لي وحدي ... الــشركةُ فــيكِ قــدْ أذابَــتْ كبدي
مــا ضــرَّكِ أنْ تُــسقي بمــاءِ فــردِ ... والــواجبُ أنْ يكــونَ مــاءَ الــوردِ

وقال بيتين مباركين نظمهما ليقولهما كل وقت

أمـــررْتُ كفـــاً ســـبَّحتْ فيها الحصى ... وروَّتِ الـــركبَ بمـــاءٍ طاهـــرِ
علـــى معاشـــي ومعـــادي وعلـــى ... ذرِّيَـــتي وبـــاطني وظاهـــري

وقال

أفــدي الــذي صــدغُهُ لامٌ وحاجــبُهُ ... نـــونٌ وقامـــتُهُ ممـــشوقةٌ أَلِـــفُ
حـــروفُ خـــطٍ مِـــنَ الوجهينِ هنَّ لنا ... إنَّـــا لَنطلـــبُها[1] مـــنهُ فينحـــرفُ

---

(١) ويروى في نسخة: إنا ونطلبها.

وقال دوبيت

قالـــوا فـــلا[2] أبـــدًا زنديـــق   في حـــبك قلـــت يكـــذب الـــزنديق
مـــن أيـــن لـــرافض هـــنا تـــصديق   واسمـــي عمـــر وجـــدي الـــصديق[1]

وقال

لي صـــديقٌ صِـــنانُ إبْطـــيْهِ صَـــعْبٌ   عملَـــهُ تحـــتَ إبْطِـــهِ حـــيثُ مَـــرَّا
عرسُـــهُ مـــنْ صـــنانِهِ شـــابَ قـــرنا   هـــا فقالـــتْ بَعلـــي تـــأَبَّطَ شـــرَّا

وقال

تمنَّـــى القـــضا فاقـــداً شـــرطَهُ   ولـــيسَ رضـــيًّا ولا مُرْتـــضى
ســـألتُ الإلـــهَ لـــهُ خيـــبةً   وأنْ يجعـــلَ المـــوتَ قـــبلَ القـــضا

وقال في مليح ترك الحديث واشتغل بالمنطق الخبيث

قُلْـــتَ[3] بالعقـــلِ معْرِضـــاً   عـــنْ أحاديـــثَ كالغـــررْ
أنـــتَ لـــو كـــنتَ عـــاقلاً   لتمـــسكتَ بالأثـــرْ

وقال يرثي صاحبه كمال الدين عمر بن ضياء العجمي رحمهما الله تعالى

يـــا مـــربعاً لـــك في فـــؤادي مـــربعُ   أتـــذلُّ بعـــدَ ابـــنِ الـــضياءِ وتخـــضعُ
حاشـــاكَ مـــنْ ذلٍّ فـــشمسُ كمالِـــه   كانَـــتْ علينـــا مـــنْ سمائِـــكَ تطلـــعُ
أصـــلٌ وفـــرعٌ في ثلاثـــةِ أشـــهرٍ   ذَوَيَـــا فَحُـــقَّ لكـــلِّ عـــينٍ تدمـــعُ
مـــنْ ذا يطـــيقُ يـــرى خليلـــيهِ معـــاً   في التـــربِ قـــدْ رُمِـــيا بمـــا لا يُدفـــعُ
أمـــودِّعانِ معـــاً وقلـــبي واحـــدٌ   فالدمـــعُ بيـــنهما عـــصيٌّ طـــيِّعُ

---

(١) وفي نسخة:

قـــالوا لفـــلانَ أبداً تدقيقُ   في حبك قلت يكذبُ الزنديقُ
مِنْ أينَ لرافِضي هُنا تصديقُ   واسمي عمرٌ وجديَ الصديقُ.

(٢) في نسخة: فلان.

(٣) وفي نسخة: مِلْتَ بدلاً من قُلْتَ.

حلبٌ على رغمي أقلُّ سعادةً ... مِنْ أنْ يعيشَ لها الكمالُ الأورعُ[1]

الأمرُ للهِ الذي مهما يشا ... يفعلْ فلمْ يكُ للتعرُّضِ موضعُ

بكتِ الأجانبُ يومَ ماتَ وأهلُهُ ... منهمْ ضحوكٌ في المسرَّةِ يرتعُ

لبسوا السنقا وازدادَ عيشُهُمْ صفا ... ومضى الحمى إذْ فارقوه ولعلعُ[2]

وغدوتُ أجرعُ منْ محصّبِ عبرتي ... مثلَ العقيقِ أسى ودمعي ينبعُ

قالوا نظنُّ ديارَهُ مملوءةً ... ذهباً فماتَ وكلُّ دارٍ بلقعُ

تاللهِ قدْ نقضوا بفضلِ كمالهم ... لو انصفوا لتألَّموا وتوجعوا

لهفي عليه وليسَ لهفي نافعاً ... قدْ كانَ تاجاً بالعلومِ يُرَصَّعُ

إنْ كانَ قدْ ماتَ الكمالُ فذكرُهُ ... باقٍ ونشرُ علومِهِ يتضوَّعُ

أوْ فاضَ دمعي مِنْ يتامى ولْدِهِ ... فالدرُّ يُوصَفُ باليتيمِ فيُرْفَعُ

تتصرَّمُ الدنيا وتأتي بعدَهُ ... أممٌ وأنتَ بمثلِهِ لا تسمعُ

أسفي على حلبٍ وَقَدْ عدمَتْ فتىً ... يقظانَ كانَ إلى العلى يتطلَّعُ

لو لمْ أكنْ أقسى الورى قلباً لما ... أصبحتُ أودِّعُهُ الترابَ وأرجعُ

يا وافياً سكنَ الجنانَ إلى متى ... قلبي لفقدِكَ في جحيمٍ تلذعُ[3]

لم يبقَ بعدَكَ للمدارسِ بهجةٌ ... والعلمُ بعدَكَ يا حفيظُ مضيَّعُ

يا مؤنسي في غربتي ومشاركي ... في العلمِ أسمعُهُ وطوراً أُسْمِعُ

كم قدْ قطعْنا ليلةً في وصلِنا ... نظرَ العلومِ لغيرنا لا يقطعُ

واللهِ إنَّ قبيلةً فَقَدَتْكَ قدْ ... زالتْ مزايا السعد عنها أجمعُ

لو يُدفَعُ المقدورُ عنكَ دفعتُهُ ... جهدي ولكنَّ القضا لا يُدفعُ

فارقتَ منزلكَ المنيفَ وقصرَكَ الـ ... ـعالي ورحتَ إلى المقابرِ تُسرِعُ

---

(١) في نسخة: الأروع.

(٢) ويروى: ولعلعوا.

(٣) ويروى: في حميم تدرع.

ونزعتَ أثوابَ الشبابِ جديدةً لهفي عليها عنْ جمالِكَ تُترعُ
وتركتني وَجِعاً وأنتَ بمعزلٍ عني فلا تشكو ولا تتوجّعُ
لم تسكنِ الأعداءُ مِنْ خوفٍ بهم حتى سكنْتَ فليتهم لا مُتِّعوا
أغضبْتَهُمْ لمّا رثيتُكَ فاغتدى كلٌّ لهُ في العتْبِ سمٌّ منقعُ
لكَ يا صديقَ الصدقِ مني أنّةٌ لا تنقضي وكآبةٌ لا تقلعُ
ما سُنَّتي رفضُ الودادِ لصاحبٍ ولكلِّ مَنْ رفضَ المودةَ مصرَعُ
فعلى ثرى أمسيتَ فيهِ سحائبٌ تهمي كما شاءَ الربيعُ وتهمعُ

وقال في فرس

صافنٌ طِرْفٌ ثلاثٌ سنُّهُ كمْ بهِ كسَّرْتُ جمعاً وَهْوَ مفردْ
جرِّدوهُ وانظروا مِنْ أوجهٍ في تصاريفِ الثلاثيِّ المجرَّدْ

وقال

فلان لا تعجب إذا عُزِلتَ[1] واعرفْ ما السببْ
فما رأينا مَنْ وَلي بفضةٍ إلا ذَهَبْ

وقال

عزلوكَ لمّا قلتَ ما أُعطي وولّوا مَنْ بَذَلْ
أوَ ما علمتَ بأنَّ ما حرفٌ يكفُّ عنِ العملْ

وقال

صديقُكَ الموصولُ مقطوعٌ إلى سوءِ مزاجٍ غالبٍ مستحوذِ
وكيفَ يستحسنُ أن تُخْلِيَهُ مِنْ صلةٍ وعائدٍ وَهْوَ الذي

وقال

بسِّي منَ الشعرِ بسِّي لا أرتضي بالأخسِّ
أكونُ عفاً بريئاً وما أبرِّئُ نفسي

---

(١) في نسخة: صرفت.

وقال

ومـــــالِيَ إلا حـــــبُّ آلِ محمـــــدٍ   فكـــم جمعـــوا فضلاً وكم فضلوا جمعا
محبَّـــــتُهُمْ تـــــرياقُ زلاتيَ الـــــتي   يُخـــيَّل لي مِـــنْ ســـحرِها أنها تسعى

وقال

عاتـــــبتُ ظَبْـــــياً مـــــصوناً   لِمْ أنـــــتَ ســـــيئُ خـــــطٍّ
قـــــالَ اغتفـــــرْ قـــــبحَ خطِّـــــي   لحـــسنِ شـــكلي وضـــبطي

وقال في مجد الدين وقد آذته زوجته ووالدها وجدها

زوجـــــةُ مجـــــدِ الـــــدينِ والـــــداها   في أخـــذ عـــرضِ المجـــدِ أشـــبهاها
إنَّ أباهـــــا وأبـــــا أباهـــــا   قـــدْ بلغـــا في المجـــدِ غايـــتاها

وقال

أراكَ علـــى مـــا فـــيكَ تُـــبلغُني الأذى   فـــدعنيَ وافعـــلْ مـــثلَ ذا ببلـــيدِ
أمـــا تـــستقيلُ الـــشرَّ مـــني وتتقـــي   علـــى صـــفحاتِ الدهرِ عارٍ[1] نشيدي
ولـــو رمتُ هجوَ الشمسِ قلتُ قرونَها   طـــوالٌ وقـــدْ كانـــتْ ســـراجَ ثمـــودِ
رهيـــنةُ تكويـــرٍ وكـــسفٍ[2] كأنها   رغـــيفُ غـــلاءٍ أو كقـــرصِ حديـــدِ
ولـــو رمْـــتُ ذَمَّ الـــبدرِ شبهتُ وجهَهُ   بـــدفٍّ بغـــيٍّ أو بخـــفٍّ قعـــودِ
وقلـــتَ حكـــى في بـــردِهِ واصـــفرارِهِ   وكلفـــته الـــسوداءِ وجـــهَ يهـــودي
ومَـــنْ كـــانَ حالُ الشمسِ والبدرِ عندَهُ   كـــذاكَ فَمَـــنْ عـــاداهُ غـــيرُ رشـــيدِ

وقال

قلـــتُ لدنـــيايَ لِمْ ظلمـــتِ بـــني   علـــيٍّ المرتـــضى أبي الحـــسَنِ
قالـــتْ أمـــا تنـــصفُوا لطائفـــةٍ   أبـــوهمُ بالـــثلاثِ طلقـــني

---

(١) في نسخة: عاد.

(٢) وفي نسخة: خسف.

وقال

محمدُ عبدَ اللّهِ[1] حيٌّ وجدُّنا … أبو بكرٍ الصديقُ عندَ محمدِ
فنحنُ على مَنْ يعتدي سمٌّ ساعةٍ … ومَنْ لا يصدِّقْ فليجرِّبْ ويعتدي

وقال

ما الناسُ ناسٌ كنتُ أمسِ عهدتُهُمْ … والدارُ دارٌ كنتُ أمسِ عَهِدْتُها
فإذا تأملْتُ الرجالَ فقدتُهُمْ … وإذا تأملتُ البقاعَ وَجدْتُها

وقال

قدْ أنكرتْ عيني الديارَ وقد رُمي … خَضِرُ الحياةِ لبعدِكُمْ باليأسِ
وإذا تأملتُ البقاعَ وجدتُها … كالناسِ في سعدٍ[2] وفي إتعاسِ
فالدارُ غيرُ الدارِ بعدَ رحيلِكم … والناسُ واحرباهُ غيرُ الناسِ

وقال أيضًا

قلْ للأُلى حسدوا علايَ وشهرتي … أيهالُ ضرغامٌ بنبحِ كلابِ
ما أنتمُ مثلي وليسَ لنقصِكمْ … فضلي ولا أسبابُكمْ أسبابي
لوْ أنَّكُمْ تقفونَ عندَ حدودِكمْ … لخلصتمُ مِنْ روعةٍ وعذابِ
أنا فارسُ المنظومِ والمنثورِ هلْ … تسري المعاني تحتَ غيرِ ركابي
شعري عنِ الأطماعِ حرٌّ صانَهُ … ربي فلمْ يجعلْ بهِ استكسابي
ولئنْ حكيتمْ بعضَ منظومي فما … تحكوني في العلمِ والآدابِ
أنا لو تركتُ القريضَ تهتكَتْ … أستارُهُ وغدا كلمعِ سرابِ[3]

---

(١) وفي نسخة: عند الله بدلاً من عبد الله.

(٢) في نسخة: سوء.

(٣) وفي نسخة يروى هذا البيت:

إن لو تركت الشعر كنت بغيره … ريان من فقه ومن إعراب

ويروى بعده البيت:

وسواي لو ترك القريض تهتكت … أستاره وغدا كلمع سراب.

كـــم ذا أجـــدُّ وتلعـــبونَ ألم تـــروا　أني امـــرؤٌ دأبُ[1] العلـــــومِ ودابي

فدعـــوا ملامـــي ثم لومـــوا الـــناسَ إذْ　قـــدْ أُولعـــوا بـــسؤالِهِمْ وجـــوابي

العلـــمُ لي والجـــاهُ في الدنـــيا لكـــمْ　فارضَـــوا بقـــسمةِ عـــادلٍ وهَّـــابِ

كـــم قـــد سبا الشعراءُ زخرفَ مقولي　تـــبتْ يـــدا مِـــنْ لـــيسَ مِـــنْ أحزابي

وقال في وصف حمص دو بيت

مـــا حمـــصُ قلـــيلةٌ وإنْ طـــالَ عـــنادْ　حمـــصٌ بلـــدٌ قـــدْ فاقَ في الحسنِ بلادْ

تنبـــيكَ حـــروفُ حمصَ صدقاً وسدادْ　إذْ مـــنْ ســـورِ القـــرآنِ حـــم وص

وقال

إذا تعـــــــــــذَّرَ حِـــــــــــبي　فخلِّـــــــــــه يـــــــــــتعذَّرُ

فجـــــــيدُهُ أصـــــــلُ مـــــــا بي　والجـــــــيدُ لا[2] يتغيَّـــــــرُ

وقال

جـــدِّي هـــوَ الـــصدِّيقُ واسمـــي عمرُ　وابـــني أبـــو بكـــرٍ وبـــنتي عائـــشَهْ

لكـــنْ يـــزيدُ نـــاقصٌ عـــندي ففـــي　ظلـــمِ الحـــسينِ ألـــفُ ألـــفِ فاحشَهْ

وقال

أغـــيدُ ذو طـــبٍّ وذو حكمـــةٍ　لـــو عـــادَ أحـــيا قلـــبيَ الطائحـــا

فَهْـــوَ طبـــيبٌ لفـــؤادي ولـــو　شـــئتَ لأبـــدلتَ الطـــاءَ حـــا

وقال

قالـــتْ سُـــلَيْمى والمحـــبُّ ســـامعُ　تعـــرفُ مـــا يقـــصرُ عـــنهُ الطامـــعُ

الـــشمسُ والـــبدرُ ووجهـــي الطالـــعُ　فَهْـــيَ ثـــلاثٌ مـــا لهـــنَّ رابـــعُ

---

(١) وفي رواية: "داب" بلا همز.

(٢) في نسخة: ما.

وقال

جنكــــيَّةٌ شــــاهدْتُ عاشـــقَها(١) وهـــمْ بهـــا في الجَـــوْرِ والـــضنكِ
قالــــتْ أمـــا تعـــشقُ جنكـــيةً قلـــتُ كـــذا يـــا ليـــتني جنكـــي

وقال

يـــا شـــجرَ اللـــوزِ تـــرنحْ ومـــلْ عجْـــباً فمـــنْ حقِّـــكَ تختـــالُ
الزهـــرُ في جـــيدِكَ درُّ الحلـــي والمـــاءُ في ســـاقِكَ خلخـــالُ

وقال

وشـــادنٍ ســـألتُهُ يعـــربُ لي شـــيئاً وقـــصديَ امـــتحانُ لُـــبِّهِ
قـــالَ سَـــبَتْ ملاحـــتي عقـــولَكم فعـــلٌ وفاعـــلٌ ومفعـــولٌ بـــهِ

وقال

فـــرَّقَ الحـــبُّ بـــينَ عقلـــي وبـــيني فاســـتهلَّتْ دمـــوعُ عـــيني كعـــينِ
طـــالَ في أُنـــسِهِ القـــصيرِ غرامـــي وَهْـــوَ بـــدرٌ وينجلـــي في حـــنينِ
بيَ نـــارٌ مِـــنْ جـــنَّتيْ وجنتـــيهِ لهـــفَ قلـــبي علـــى جـــنى الجنـــتينِ
حَـــسَنٌ قـــدرُهُ علـــيَّ فـــيا مَـــنْ في ملامـــي يـــزيد مـــوتي حـــسبيني

وقال

قـــــيلَ لي إنَّ فلانـــــاً لكُـــــم في ســـــوءِ نـــــيَّهْ
قلـــــتُ لا تخـــــشَ علـــــينا شـــــوكةُ الـــــوردِ قـــــويَّهْ

وقال

ضـــامنُ مكـــسٍ قـــدْ أتـــى في خلعـــــةٍ ملفّقـــــهْ
فقلـــــتُ مـــــاذي خلعـــــةٌ بـــــل لعـــــنةٌ مـــــزوَّقهْ

وقال

قـــالَ مـــا تطلـــبُ قـــل لي قلـــتُ مِـــنْ ذي العـــرشِ حفْظَـــكْ
قـــالَ مـــا أرشـــقَ قـــدي قلـــتُ مـــا أرشـــقَ لَحْظَـــكْ

---

(١) في نسخة: عشاقها.

وقال

بـــــأبي أعـــــورُ عـــــينٍ أنـــــورٌ مـــثلَ بـــدرِ الـــتمِّ والـــبدرُ بعـــين
طـــرفُهُ الـــواحدُ عـــضبٌ ذكـــرٌ فلـــهُ في الحـــسنِ حـــظُّ الأنثـــيينِ

وقال

رأيـــتُ رشـــيقَ القـــدِّ أعـــورَ أنـــورا لـــهُ مقلـــة أغنـــتْهُ عـــنْ حـــسنِ ثِنتينِ
إذا قـــالَ غـــصنُ الـــبانِ أنتَ ابنُ قامتي يـــناديه بـــدرُ الـــتمِّ أنـــتَ أخو عيني

وقال

يـــا ربُّ بالهـــادي البـــشيرِ محمـــدٍ وبديـــنهِ العـــالي علـــى الأديـــانِ
ثـــبِّتْ علـــى الإســـلامِ قلـــبي واهدني للحـــقِّ وانـــصرني علـــى الـــشيطانِ

وقال وقد دخل على كاتب السر بعد عزله فرآه ينسخ مصحفًا

قـــد كـــنتَ كاتـــبَ سرٍّ خارجاً معهمْ فـــصرتَ كاتـــبَ وَحْـــيٍ داخلٍ الدارِ
كـــمْ قـــدْ كتـــبتَ عن الباغي لخشيتِهِ فـــالآنَ لا تخـــشَهُ واكـــتبْ عنِ الباري

وقال

اعـــــتدى الدهـــــرَ وادعـــــى أنَّـــــهُ وافـــــقَ الخـــــبرْ
فـــــضةُ الغـــــشِّ للعفـــــي ف[1] وللعاهـــــرِ الحجـــــرْ

وقال في ذم عبد له اسمه بهادر

بهـــادرُ عَـــبْدي لا بهـــاءٌ ولا درُّ فمـــا أنـــا حـــرٌّ يـــومَ قـــولي لهُ حرُّ
رقـــيقٌ غلـــيظُ القلـــبِ فـــظٌّ مقطِّبٌ كـــثيرُ الأذى بـــادي الـــبذا جبلٌ وعرُ
نمـــومٌ نـــؤومٌ ماكـــرٌ غـــيرُ شـــاكرٍ حقـــودٌ نقـــودٌ مـــائنٌ خـــائنٌ غمـــرُ
ذكـــيٌّ دقـــيقُ الفكـــرِ منتـــبهٌ لمـــا عـــناهُ ولكـــنْ عـــندَ مـــصلحتي غـــرُّ
لئـــيمٌ مـــتى أحـــسنْ إلـــيهِ يكـــافني بـــسيئةٍ لم ينكـــتمْ عـــندَهُ ســـرُّ
ثقـــيلٌ خفـــيفُ الكـــفِّ فـــيما ائتمنْتُهُ وَثـــوبٌ علـــى مـــالي كما يثبُ النمرُ

---

(١) ويروى: "للحفيف" بدلاً من "للعفيف".

لهُ كلَّ يومٍ فتنةٌ أو شكايةٌ ... وقالٌ وقيلٌ هكذا ينسلُ الكفرُ

له همةٌ في الأكلِ والشربِ ما لها ... شبيهٌ سوى التنورِ أكْلَبَهُ السجرُ

يكونُ الرغيفُ السخنُ والأكلُ حاضراً ... له ويقولُ الجوع قدْ أعوزَ[1] الصبرُ

تساوى لديْهِ منيَ السخطُ والرضى ... فما شقَّ إعراضي عليهِ ولا الهجرُ

إذا حضرَتْ أعيانُ قومي بمجلسي ... لهُ حركاتٌ ضمنها النقصُ والصغرُ

ويقصدُ في العيدينِ غيظي فكبدهُ ... ولبتُهُ ودي لها الفطرُ والنحرُ

إذا قلتُ قُمْ بردْ لنا الماءَ قال لي ... أترغبُ في فاني[2] النعيمِ وتغترُّ

وإنْ قلتُ توبلْ خبزَنا قالَ لا تكنْ ... مخالفَ ما يعتادُهُ السلفُ الصدرُ

وإنْ قلتُ طيِّبْ مطعمي قالَ قد مضتْ ... أماثلُ ما للأكلِ عندهمُ قدْرُ

وإنْ قلتُ جمِّلْ بيتنا قالَ كلُّ ذا ... فضولٌ وفي أشباههِ لمْ يلقْ فكرُ

وإنْ قلتُ قدِّمْ للوضوءِ مسينتي ... يقولُ إذا لمْ تستعنْ يكملُ الطهرُ

وإنْ قلتُ قدِّمْ شربةَ الماءِ هزَّها ... بغيظٍ رجاءَ أنْ يكدِّرَها العكرُ

وإنْ قلتُ باشرْ بعضَ ما قدْ أهمَّني ... يقولُ إذا باشرْتَ أنتَ لكَ الأجرُ

وإنْ أقلْ امسحْ لي مداسي يقلْ صهٍ ... أتنصرُ إبليساً عليكَ وما النصرُ

إنْ قلتُ قدِّم بغلتي قالَ بغلتي ... ويشخرُ لي بالموصليِّ ويَزْوُرُ

وإنْ قلتُ صوِّل قمحَنا قالَ بدعةٌ ... أصوِّلَ للهادي وأصحابهِ البرُّ

وإنْ قلتُ في الحمامِ حكَّ رجيلتي ... يقولُ ليَ اخشوشِنْ فقد يُبتلى الحرُّ

وإنْ قلتُ حقَّ الطيبِ قدمْهُ لي يقلْ ... قبيحٌ بمنْ لا يخْلُدُ الطيبُ والعطرُ

وإنْ قلتُ فاصقلْ ثم فرِّكْ ثيابنا ... يقولُ أتفريكٌ لِمَنْ خلفَهُ القبرُ

وإنْ قلتُ فانظر في الطعامِ هل استوى ... يقولُ افتقدتُ الملحَ فانكبت القدرُ

أقولُ فهلْ منْ أمسِ عندكَ فضلةٌ ... يقولُ أضعتُ الحزمَ فاجترَّهُ الهرُّ

---

(١) في نسخة: أحوج.

(٢) في نسخة: فإني، وهو خطأ.

وإنْ قلتُ مَنْ بالبابِ قالَ مفوِّلاً ... على البابِ عزرائيلُ وانفصلَ الأمرُ
وإنْ قلتُ ما الأخبارُ قالَ رديئةٌ ... سعَوا فيك أو ماتَ امرؤٌ أو غلا السعرُ
وإنْ قلتُ لا تسرقْ ففي المالِ ضيقةٌ ... يقولُ أحرْصاً بعدما ذهبَ العمرُ
وإنْ قلتُ لا تسألْ منَ الناسِ نفتضحْ ... يقولُ فموسى استطعمَ الناسَ والخضرُ
وإنْ قلتُ لا تفعلْ أو افعلْ يقولُ قد ... بُليتُ بكمْ حتى متى النهْيُ والأمرُ
وكم ضَحْوَةٍ كلفْتُه ردَّ لهفةٍ ... فغابَ ووافاني وقدْ أذَّنَ العصرُ
ثيابي وشاشي عندَهُ في إهانةٍ ... وطرحٍ ولا طيَّ عناهُ ولا نَشْرُ
وحصري ماذا تحتها مِنْ زبالةٍ ... فيا كسرَ قلبي عندما تُرفعُ الحصرُ
وعنديَ قنديلٌ شبيةٌ بوجهِهِ ... إذا ما مضى الشهرانِ يُغْسَلُ والشهرُ
وعنْ أكثرِ الحاجاتِ يُكبرُ نفسَهُ ... فيا أقدَرَ الغلمانِ ما أنتَ والكبْرُ
أعبدٌ خسيسٌ أنتَ أمْ أنتَ زاهدٌ ... عظيمٌ كما كانَ ابنُ أدهمَ أو بشْرُ
بماذا يدلُّ[1] الكلبُ لا أنا عاشقٌ ... ولا حسنُهُ باهٍ ولا ثغرُهُ درٌّ
ولا وجهُهُ صبحٌ ولا شعرُهُ دجى ... ولا قدُّهُ غصنٌ ولا ريقُهُ خمرُ
لقيتُ نقيضَ القصدِ يومَ اشتريتُهُ ... رجوْتُ به نفعاً فمسنيَ الضرُّ
وقلتُ أسيرٌ أستريحُ برقِّهِ ... فأتعبني واللهِ وانقلبَ الأسرُ
ولوْ أنني عاملتُهُ برذيلَةٍ ... لقلتُ بعصياني يعاقبُني الدهرُ
فيا ليتَ شعري ذلكَ الثمنُ الذي ... بهِ ابتعتُهُ هلْ أصلُهُ النردُ أم خمرُ
فلا تحسبوا هذا الذي قلتُ وصفَهُ ... غلطتُمْ فلا العشرانِ هذا ولا العشرُ
إذا بعتُهُ رَدُّوهُ بالعيبِ سرعةً ... عليَّ وللمبتاعِ في ردِّهِ العذرُ
ولو كانَ في إعتاقِهِ ليَ راحةٌ ... فعلتُ ولكنْ خيفتي يعظمُ الشرُّ
بعيدٌ خلاصي منهُ إلا بموتِهِ ... فقدْ سرَّني أنْ لا يطولَ لهُ عمرُ

---

(١) في نسخة: يذل.

وقال شهاب الدين بن ريان وكتب بهما له

محـــبٌ مـــولانا ومملـــوكُهُ … جـــاءَ يُهنـــيكَ بـــشهرِ الـــصيامْ
وقـــدْ بـــدا مـــنكَ جفـــاءٌ ومـــا … عوَّدَتـــنا إلا الـــوفا والـــسلامْ

فأجابه الشيخ زين الدين

لامَ ولـــو أنـــصفَ مـــا كـــانَ لامْ … ألـــيسَ يخـــشى فـــتحَ بـــابِ الخصامْ
يعـــتبُ والـــذنبُ لـــهُ خطـــةٌ … يحـــقُّ للعاقـــلِ مـــنها ابتـــسامْ
جـــافٍ ويبكـــي مِـــنْ جفائـــي كَمَنْ … يـــشكو جـــراحاً وَهْـــوَ رامي السهامْ
يـــا أيُّهـــا المـــولى الـــذي لم يـــزلْ … لـــهُ بقلـــبي مـــترلٌ لا يـــرامْ
وافى كـــتابٌ مـــنكَ في ضـــمنه … عـــتْبٌ لطـــيفٌ مـــثل سـجع الحمامْ
يـــشكو انقطاعـــي في صـــيامٍ أتـــى … حـــالَ الـــوبا في موضـــعِ المـــيمِ لامْ
لـــيسَ انقطاعـــي عـــنكَ بغـــضاً ولا … نقـــصاً ولا رفـــضاً لحـــقِّ الـــذمامْ
وإنمـــا ربَّـــيْتُ غرســـاً لـــه … نـــضارةٌ كـــنتُ بهـــا ذا اهـــتمامْ
وطالمـــا كلفـــتُ نفـــسي علـــى … ضـــعفي لهـــذا الغـــرسِ درع المقـــامْ
فـــصلٌ وجـــاءَ الـــناسَ هـــذا الـــوبا … فكـــدَّرَ العـــيشَ وأوهـــى العظـــامْ
اللهُ لي مِـــنْ وبـــأٍ قـــدْ ســـبا … حـــامَ علـــى الـــروحِ ولـــلنفسِ سامْ
لـــو كانـــتِ الأحـــلامُ ناجَـــتْ بـــه … عـــينَ امـــرئٍ لامتـــنعَتْ أنْ تـــنامْ
ســـلَّمَنا اللهُ وإيـــاكُم … مِـــنْ شـــرِّه فَهْـــوَ ألـــدُّ الخـــصامْ
فـــإنْ حمانـــا اللهُ مـــن شـــرِّهِ … وعـــدْتُ للعلـــمِ رجـــونا التـــئامْ
وإنْ يكـــنْ واللهُ يكفـــي ســـوى … ذا فالـــدعا يـــنفعُ تحـــتَ الـــرجامْ
وكـــيف ينـــسى منـــصفٌ شـــيخَهُ … أمْ كـــيفَ ينـــسى تَـــبَعَاً أو غـــلامْ
أنـــا الـــذي صـــاحبتُ قـــوماً ومـــا … ثقلْـــتُ يـــوماً مـــثلَ بعـــضِ اللـــئامْ
وإنْ[1] أكـــنْ في حلـــبٍ كاســـداً … إنَّ لـــسوقي في ســـواها مقـــامْ

---

(١) في نسخة: إن.

أهملـــني قـــومٌ وكـــمْ فاضـــلٍ ... يـــودُّ أنْ ينظـــرني في المـــنامْ
ومـــا نفاقـــي وكـــسادي علـــى ... قلـــبي ولا فكـــريَ مـــنهُ لمـــامْ
وَمَـــنْ رمـــى الأشـــياءَ عـــنْ قلـــبه ... فعـــندهُ الـــوحدةُ مـــثلُ الـــزحامْ
قـــنعتُ والقـــتعُ يعـــزُّ الفـــتى ... لمـــا رأيـــتُ الحـــرصَ ذلَّ الكـــرامْ
أصـــبحتُ لا أرجـــو مـــزيداً ولا ... أخـــافُ نقـــصاناً وتمَّ الكـــلامْ
هـــذا لـــساني يدَّعـــي لـــومَكُمْ ... ولـــيس في قلـــبي علـــيكُمْ مـــلامْ
والعهـــدُ بـــاقٍ ودعـــاني لكـــمْ ... وافٍ وودي دائـــمٌ والـــسلامْ

وكتب إليه الأديب المعمر علاء الدين أبي أيبك الدمشقي

صـــاح إنْ كـــنتَ في الغـــرامِ معـــيني ... خـــذْ لقلـــبي الأمـــانَ منْ ذي العيونِ
هـــي بـــيضٌ أم أعـــينُ البيضِ أمستْ ... تتـــصدَّى لـــصيدِ أُسْـــدِ العـــرينِ
رشـــقتني بأســـهمٍ انتـــضتها ال ... هـــدْبُ عـــنْ قـــوسِ حاجبٍ مقرونِ
يـــا لهـــا أعيـــناً تـــصولُ علينـــا ... بذكـــورٍ مؤنـــثاتِ الجفـــونِ
مَـــنْ لقلـــبي بـــسلمِها وَهْـــيَ تـــأتي ... كـــلَّ يـــومٍ مِـــنْ حـــربِها بفـــنونِ
لـــيسَ تـــرنو إلا لحَـــيْنِ محـــبٍّ ... مبتلـــى بالفـــراقِ في كـــلِّ حـــينِ
هيَّجـــتْهُ حمـــائمٌ قـــدْ شـــجاها ... فَقْـــدُ إلْـــفٍ[1] وفقـــدُهُ للقـــرينِ
كلمـــا نـــاحَ جاوبـــتْهُ فكـــلٌّ ... نـــاحَ شـــجواً علـــى قـــدودِ الغصونِ
وغـــزالٍ يغـــزو القلـــوبَ بجفـــنٍ ... كـــمْ لـــهُ بالـــبهاءِ مـــنْ مفـــتونِ
ذي فـــؤادٍ أقـــسى مـــن الصخرِ لكنْ ... عطفُـــهُ يلـــتوي بفـــرطِ اللـــينِ
ســـكنَ القلـــبَ حـــبُّهُ فَهْـــوَ ســـعدٌ ... طـــرفُهُ ذابِـــحٌ بـــلا ســـكينِ
فاطـــرُ القلـــبِ كـــم ســـبى زمراً منْ ... شـــعراءَ بـــنورِ ذاكَ الجـــبينِ
سلـــسلَ الدمـــعَ فـــوقَ خـــدَّيَّ لمـــا ... زادَ في حـــسنِهِ الـــبديعِ جـــنوني
حَـــرَبي مـــنْ مهفهـــفٍ بـــانَ صبري ... بـــينَ تحـــريكِ عطفِـــهِ والـــسكونِ

(١) في نسخة: ألف.

ضـنَّ بالطـيفِ يـا أخـيَّ وقـدْ كا … نَ بطـيبِ الوصـالِ غـيرَ ضـنينِ

لـيسَ أعلـى مـنْ التغـزُّلِ فـيهِ … غـيرُ مـدحِ الإمـامِ زيـنِ الـدينِ

عمـرَ بـنِ الـورديِّ ذي العلمِ والحلـ … ـمِ وفـرطِ التقـى وحـسنِ الـيقينِ

سـيِّدٌ سـادَ في الأنـامِ بأصـلٍ … طاهـرٍ زانَـهُ بعـرضٍ مـصونِ

ذي جـلالٍ وهيـبةٍ ووقـارٍ … وحـيا زائـدٍ وعقـلٍ وديـنِ[1]

أريحـيٌّ بجـودِها راحـتاه … بَخَّلَـتْ صَـوْبَ كـلِّ غـيثٍ هتونِ

غـرَّقتنا يميـنُهُ بالعطايـا … فَهْـيَ تُدعـى فيـنا مـن أهلِ اليمينِ

عـالمٌ عامـلٌ تقـيٌّ نقـيٌّ … دائـنٌ دائمـاً بـدينٍ مـتينِ

ولـهُ في نظامِـهِ كـلُّ معـنى … يُفْـرِجُ الهـمَّ عـن حـشا المحـزونِ

نحـوَهُ يـا بـضاعة الفكـرِ سـيري … سـوفَ نحظـى[2] مـنه بخـيرِ زبونِ

مـا سمعـنا يـوماً بأشـعرَ مـنْهُ … مـنذُ عهـدِ الأمـينِ والمأمـونِ

في التـشابيهِ والتغـزُّلِ والـتضـ … ـمينِ والمـدحِ والـرثا والمجـونِ

أسـكرَتْنا ألفاظُـهُ فـوقَ سـكرِ الـ … نـاسِ بالعـشقِ وابـنةِ الـزرجونِ

فَهْـوَ كالمـسكِ في الـشميمِ وكالبد … رِ بـدا سـافراً لـنا في الدجـونِ

فلـريَّاهُ في المعـاطين عـرفٌ … ولـرؤياهُ بهجـةٌ في العـيونِ

يـا إمامـاً جِـيدُ الـزمانُ تحلَّـى … بَعْـدَ عطـلٍ مـنهُ بـدُرٍّ ثمـينِ

خـذْ قـصيداً أتـى بها بحـرُ فكرٍ … لـكَ أهـدى مِـنْ درِّهِ المكـنونِ

ذات حُـسْنٍ كالـشمسِ نـورُ سناها … لـيسَ يُطفـى علـى طـوالِ السنينِ

لا عجـيبٌ تـضوُّعُ المـسكِ مـنها … حـينَ جـاءَتْ إلـيكَ في كانـونِ

غـرَّبَتْ نفـسَها لتحظـى بـتقبي … لِ أياديـكَ يـا إمـامَ الفـنونِ

---

(١) في نسخة: رزين.

(٢) في نسخة: تحظي.

فاجتليها[٣] وخصَّني بسواها وأجز غثَّ منطقي بالسمين[١]
كي يموتَ الحسودُ عند رواحي كاسباً لا بصفقة[٢] المغبون
وابقَ واسلمْ ودمْ وعشْ عمرَ لقما نَ بنِ عادٍ ونوحَ ربِّ السفينِ

فأجابه عنها

ما يقولُ المفتونُ في المَفْتونِ بينَ بيضِ الطلا وسودِ الجفونِ[٤]
بيَ مَنْ لا يقاسُ بالغصنِ حاشا وذلكَ[٥] القدُّ مِنْ غضونِ الغصونِ
طرفُهُ منهُ خمرةٌ وسنانٌ سنَّهُ فالمكروهُ في المسنونِ
هوَ ظَبْيٌ وإنْ رنا فَهْوَ ليثٌ فلهذا كناسُهُ كالعرينِ
ألفُ القدِّ منهُ جاءَتْ لقطعٍ ولوصلٍ وحرفِ مدٍّ ولينِ
ليتَ واواً مِنْ صدغِهِ واوُ عطفٍ لا لصرفٍ ولا لعقدِ اليمينِ
ولهُ نونُ حاجبٍ مستطيلٍ بالمنايا وبالمنى مقرونِ
جَمَعَ العاشقينَ بالواوِ والنو نِ ولم يسلموا لواوٍ ونونِ
كمْ لمخمورِ جفنِهِ مِنْ فتورٍ ولخمَّارِ طرفِهِ مِنْ فنونِ
ولمعسولِ ريقِهِ مِنْ طريحٍ ولعسَّالِ خدِّهِ[٦] مِنْ طعينِ
بعذارٍ كاللامِ والفمِ كالمي مِ وتصفيفِ طرَّةٍ كالسينِ
قلتُ ما الليلُ إذْ سجا قالَ شعري قلتُ والفجرُ قالَ ضوءُ جبيني(*)
قلتُ ما المرسلاتُ قالَ لحاظي قالَ ما الذارياتُ قلتُ جفوني(*)

---

(١) ويروى: بالثمين.

(٢) ويروى: كصفقة.

(٣) في نسخة: فاستمعها.

(٤) في نسخة: العيون.

(٥) في نسخة: ذلك.

(٦) في نسخة: قده.

(*) هذا من فاحش الاقتباس من القرآن لوضعه فيما لا يليق به.

إنَّ صبري وأنَّتي وهواهُ بين واهٍ وذائعٍ ومصونِ

(هذا القدر الذي وجد منها)

وقال

مرتجة الأرداف طاوية الحشا يموت بها فوج ويحيى بها فوج

رأى ساقها إن ينصر الخصر عندما رأى الضعف لكن حال بينهما الموج(*)

وقال

يا تاجرَ الأقباعِ فرقُكَ دائرُ أبداً لِلَفْقِ فؤاديَ المغبونِ

أصبحْتَ قدَّ الشوقِ لكنْ جائراً والعاشقون لديكَ دونَ الدونِ

وقال

يا شاكياً منْ دولةِ التركِ مَهْ واثبتْ ثبوتَ الجبلِ الراسي

ما تفعلُ التركُ كمعشارِ ما قدْ فعلَ الحجاجُ بالناسِ

وقال في مقري

ووعدتَ أمسِ بأنْ تزورَ فلم تزر فغدوتُ مشغولَ الفؤادِ مشتتا

لِيَ مهجةٌ(٢) في النازعاتِ وعبرةٌ في المرسلاتِ وفكرةٌ في هل أتى(*)

وقال

أعورُ كالبدرِ لهُ مقلةٌ واحدةٌ قامَتْ مقامَ اثنتينِ

قدْ سرقَ الرقدةَ مِنْ ناظري وقالَ ما جئتُكَ إلا بعينِ

وقال

أغيدُ عبريٌّ لهُ عِمَةٌ حَكَتْ منَ العشّاقِ ألوانا

لقدْ سبى بالنورِ شمسَ الضحى فهل أتى مِنْ آلِ عِمرانا

(*) هذا من فاحش الاقتباس من القرآن لوضعه فيما لا يليق به.

(٢) ويروى: لي ظفرة.

وقال

قــيِّمةٌ مُحــسنةٌ ... للعــالمينَ مُكْــرِمَهْ[1]
مخلــصةٌ حنــيفةٌ ... ذلــكَ ديــنُ القــيِّمَهْ[2]

وقال

بي مِــنْ بــناتِ المغــلِ مَــنْ ... تفــضحُ مــني مــا[3] اســتترْ
فكــيفَ حــالُ مــسلمٍ ... أصــبحَ في أســرِ التتــرْ

وقال

زنــارُ بــنتِ النــصارى ... فــخٌّ لهــا أيُّ فــخِّ[4]
أرخــانيَ الــشدُّ مــنْهُ ... وكثــرةُ الــشدِّ ترخــي

وقال

هويــتُها عــرجاءَ أمــسى بهــا ... دمــي مــنَ العيــنينِ مــسفوكا
وكلمــا تخطــو تــبوسُ الثــرى ... أحــسبها تــضربُ لي جــوكا

وقال

عــوّادةٌ عــوادةٌ ... بالــنَّغَمِ الملــذِّذِ
قالــتْ لــنا أوتارُهــا ... أنطقَــنا اللهُ الــذي

وقال

ســامرْتُ ســامريَّةً ... كأنهــا الغــصنُ النــضرْ
بطــرفِها وقــدِّها ... يُذكــر موســى والخــضرْ

---

(١) ويروى: "للعاشقين" بدلاً من "للعالمين".

(٢) ويروى: "خفيفة" بدلاً من "حنيفة".

(٣) في نسخة: بتكرار (ما) وهو خطأ.

(٤) ويروى هذا الشطر: لقتلي متوخي.

وقال

مليحةٌ مسطولةٌ — إنْ لمستُها فيما جرى
تقولُ كلُّ ظبيةٍ — ترعى الحشيشَ الأخضرا

وقال

رغيفُ خبازكمْ قدْ حكى — منْ وجهِهِ التدويرَ والحمرَهْ
إذا رأى ميزانَهُ المشتري — قالَ هنا الميزانُ والزهرَهْ

وقال

أقولُ لبدرٍ سائرٍ بينَ أنجمٍ — أأنتَ أميرُ المصرِ قال أميرُهُ
فقلتُ إذا ماتَ الكرامُ بأسرِهمْ — أأنتَ تُميرُ الوفدَ قالَ أميرُهُ

وقال

قلتُ لِفَرّا فرى أديمي — وزادَ صدّاً وطالَ هجرا
قدْ فرَّ صبري وفرَّ نومي — فقالَ لما عشقتُ فرّا[1]

وقال

بائعةٌ كارتُها خلفَها — كبيرةٌ خافضةٌ رافعَهْ
قلتُ لها إني امرؤٌ مشترٍ — للوصلِ قالتْ وأنا بائعَهْ

وقال

رأيتُ في الفقهِ سؤالاً حسناً — فرعاً على أصليْنِ قدْ تفرَّعا
قابضُ شيءٍ برضى مالكِهِ — ويضمنُ القيمةَ والمثلَ معا

وقال

ربَّ فلاحٍ مليحٍ — قالَ يا أهلَ الفتوَّهْ
ردفي أثقلَ خصري[3] — فأعينوني بقوَّهْ[2]

---

(١) ويروى هذا البيت:

قد فرَّ نَومي وفرَّ صبري — فقال مذ عشقت فرّا.

(٢) هذا من فاحش الاقتباس من القرآن لوضعه فيما لا يليق به.

(٣) ويروى هذا الشطر: كفلي أضعف خصري.

وقال

رامَ ظبـيُ التـركِ وردًا   قلتُ أقصرْ خابَ ضدكْ
عندكَ الوردُ يقينـاً   قال قاني قلت خدكْ

وقال

زادَ في ظلمِ عاشقيه حبيبي   فبحقي إذا دعوتُ عليه
لا شفى اللهُ خصرَه من نحولٍ   وأدامَ الذبولَ في شفتيه[1]
وأطالَ ارتجاجَ ردفَيْه حتى   يُتْعباهُ والكسرُ في جفنيه

وقال

للّهِ درُّ أُناسٍ قدْ مَضَوا وهمْ   نشرٌ يفوحُ كنشرِ المندلِ العَطِرِ
جمالَ ذي الدارِ كانوا في الحياةِ وهمْ   بعدَ المماتِ جمالُ الكتبِ والسيَرِ

ومما ينسب إليه وقد اشتهر عند الخاصة والعامة ولكن لم يوجد في ديوانه

اعتزلْ ذكرَ الأغاني والغزلْ   وقلِ الفصلَ وجانبْ مَنْ هزلْ
ودعِ الذكرى لأيامِ الصِّبا   فلأيامِ الصِّبا نجمٌ أفلْ
إنَّ أحلى[3] عيشةٍ قضيتُها   ذهبتْ لذاتُها والإثمُ حلْ
واتركِ الغادةَ لا تحفلْ بها   تُمْسِ في عزٍّ وتُرْفَعْ وتُجَلْ
والهَ عنْ آلةِ لهوٍ أطربَتْ   وعنِ الأمردِ مرتجِّ الكفلْ
إن تبدّى تنكسفْ شمسُ الضحى   وإذا ماسَ يزري بالأسلْ
زادَ إنْ قسناهُ بالبدرِ سنا   وعدلناهُ بغصنٍ فاعتدلْ
وافتكرْ في منتهى حسنِ الذي   أنتَ تهواهُ تجدْ أمراً جلَلْ
واتّقِ اللهَ فتقوى اللهِ ما   جاوزَتْ قلبَ امرئٍ إلاّ وصلْ[2]

---

(١) ويروى هذا البيت:

لا شفى الله طرفه من سقام   وأراني الذبول في شفتيه.

(٢) سقط هذا البيت والذي بعده من النسخة الكمالية.

(٣) في رواية: أهنا.

لـيسَ مَـنْ يقطـعُ طـرقاً بطـلاً | إنمـا مَـنْ يـتّقِ اللهَ البطلْ[1]
واهجـرِ الخمـرةَ إنْ كـنتَ فـتىً | كـيفَ يـسعى في جنونٍ مَـنْ عقلْ
صـدِّقِ الـشرعَ ولا تـركنْ إلى | رجـلٍ يرصـدُ بالليـلِ زحـلْ
حـارتِ الأفكـارُ في قـدرةِ مَـنْ | قـدْ هـدانا سُـبُلنا[2] عـزَّ وجـلْ
كـتبَ المـوتَ علـى الخلـقِ فكـمْ | فـلَّ مِـنْ جَمْـعٍ وأفـنى مـنْ دُولْ
أيـنَ نمـرودٌ وكـنعانٌ ومَـنْ | ملـكَ الأمـرَ وولّـى وعـزَلْ[3]
أيـنَ عـادٌ أيـنَ فـرعونُ ومَـنْ | رفـعَ الأهـرامَ مَـنْ يـسمعْ يخَـلْ
أيـنَ مَـنْ سـادوا وشـادوا وبـنوا | هلـكَ الكـلُّ ولمْ تغـنِ القلـلْ
أيـنَ أربـابُ الحجـا أهـلُ النّهـى | أيـنَ أهـلُ العلـمِ والقـومُ الأُوَلْ
سـيعيدُ اللهُ كـلاً مـنهمُ | وسـيجزي فـاعلاً مـا قـدْ فعـلْ
أيْ بـنيَّ اسمـعْ وصـايا جَمعـتْ | حكمـاً خُـصَّتْ بهـا خـيرُ المللْ
اطلـبِ العلـمَ ولا تكـسلْ فمـا | أبعـدَ الخـيرَ علـى أهـلِ الكـسلْ
واحـتفلْ للفقـهِ في الـدينِ ولا | تـشتغلْ عـنهُ بمـالٍ أوْ خَـوَلْ
واهجـرِ الـنومَ وحـصِّلْهُ فَمَـنْ | يعـرفِ المطلـوبَ يحقـرْ مـا بـذلْ
لا تقـلْ قـدْ ذهـبَتْ أربابُـهُ | كـلُّ مَـنْ سـارَ على الدربِ وصلْ
في ازديـادِ العلـمِ إرغـامُ العـدى | وجمـالُ العلـمِ يـا صـاحِ العملْ[4]
جمِّـلِ المـنطقَ بالـنَّحوِ فَمَـنْ | يُحـرمِ الإعـرابَ في الـنطقِ اختـبلْ
وانظـمِ الـشعرَ ولازمْ مـذهبي | فاطـراحُ الـرفدِ في الدنـيا أقـلْ
فهْـوَ عـنوانٌ علـى الفـضلِ ومـا | أحـسنَ الـشعرَ إذا لمْ يُبـتذلْ
مـاتَ أهـلُ الجـودِ لم يـبقَ سـوى | مُقـرفٍ أوْ مَـنْ علـى الأصلِ اتكلْ
أنـا لا أخـتارُ تقبـيلَ يـدٍ | قطعُهـا أجمـلُ مِـنْ تلـكَ القُبلْ

---

(١) في بعض النسخ: بطل بالتنكير وهو خطأ.

(٢) في نسخة: سبلا.

(٣) في نسخة: "الأرض" بدلاً من "الأمر". وفي رواية يأتي هذا الشطر بالتبادل مع الشطر الذي تحته.

(٤) ويروى هذا الشطر: وجمال العلم إصلاح العمل.

إنْ تُجزْني عنْ مديحي صرتُ في رقِّها أوْ لا فيكفيني الخجلْ[1]
أعذبُ الألفاظِ قولي لكَ خذْ وأمرُّ القولِ قولي بِلَعَلْ
مُلْكُ كسرى عنهُ تغني كِسرةٌ وعنْ البحرِ ارتشافٌ بالوشلْ
اعتبرْ نحنُ قَسَمْنا بينَهُمْ تلقَهُ حقاً وبالحقِّ نَزَلْ
ليسَ ما يحوي الفتى عَنْ عزمهِ لا ولا ما فاتَ يوماً بالكسلْ
واتركِ الدنيا فمِنْ عاداتِها تخفضُ العالي وتعلي مَنْ سَفلْ
عيشةُ الزاهدِ في تحصيلِها عيشةُ الجاهدِ بلْ هذا أزلْ
كم جهولٍ وهْوَ مثرٍ مكثرٌ وحكيمٍ ماتَ منها بالعللْ
كم شجاعٍ لم ينلْ منها غنى وجبانٍ نالَ غاياتِ الأملْ
فاتركِ الحيلةَ فيها واتّئدْ إنما الحيلةُ في تركِ الحيلْ
أيُّ كفٍّ لمْ تنلْ منها المنى فبلاها اللهُ منهُ بالشللْ
لا تقلْ أصلي وفصلي أبدا إنما أصلُ الفتى ما قدْ حصلْ
قدْ يسودُ المرءُ منْ غيرِ أبٍ وبحسنِ السبكِ قَدْ يُنْفى الزغلْ
وكذا الوردُ منَ الشوكِ وما ينبتُ النرجسُ إلا منْ بصلْ
معَ أني أحمَدُ اللهَ على نسبي إذْ بأبي بكرِ اتصلْ
قيمةُ الإنسانِ ما يحسِنُهُ أكثرَ الإنسانُ منهُ أوْ أقلْ
واكتمِ الأمرينِ فقراً وغنىً واكسبِ الفلسَ وحاسبْ مَنْ بَطَلْ[2]
وادّرعْ جداً وكداً واجتنبْ صحبةَ الحمقى وأربابِ البخلْ
بينَ تبذيرٍ وبخلٍ رتبةٌ فكلا هذينِ إنْ زادَ قتلْ
لا تخضْ في سبِّ ساداتٍ مضَوا إنهمْ ليسوا بأهلٍ للزللْ
وتغافلْ عنْ أمورٍ إنَّهُ لمْ يفزْ بالرفدِ إلاّ مَنْ غفلْ

---

(١) وفي رواية: "إن جزتني" بدلاً من "إن تجزني".

(٢) سقط هذا البيت والذي يليه من بعض النسخ.

لـيسَ يخلـو المـرْءُ عـنْ ضـدٍّ وإنْ حـاولَ العـزلةَ في رأسِ جـبلْ[١]

غـبْ عـنِ الـنمّامِ واهجـرْهُ فمـا بلَّـغَ المكـروهَ إلاّ مَـنْ نقـلْ[٢]

دارِ جـارَ الـدارِ إنْ جـارَ وإنْ لمْ تجـدْ صـبراً فمـا أحلـى الـنقلْ

جانـبِ الـسلطانَ واحـذرْ بطـشَهُ لا تخاصـمْ مَـنْ إذا قـالَ فعـلْ[٣]

لا تـلِ الحكـمَ وإنْ هـمْ سـألوا رغـبةً فـيكَ وخالـفْ مَـنْ عـذَلْ

إنَّ نـصفَ الـناسِ أعـداءٌ لِمَـنْ وليَ الأحكـامَ هـذا إنْ عـدلْ[٤]

فهْـوَ كالمحـبوسِ عـنْ لذّاتـه وكـلا كفّـيْهِ في الحـشرِ تُغَـلْ

إنمـا الـنقصُ والاسـتثقالُ في لفظـةِ القاضـي لـوعظٍ ومـثلْ[٥]

لا تـوازى لـذّةُ الحكـمِ بمـا ذاقَهـا المـرءُ إذا المـرءُ[٦] انعـزلْ

والـولاياتُ وإنْ طابـتْ لِمَـنْ ذاقَهـا فالـسمُّ في ذاكَ العـسلْ

نَـصَبُ المنـصبِ أوهـى جَلَـدي وعنائـي مـنْ مـداراةِ الـسفلْ

قـصِّرِ الآمـالَ في الدنـيا تفـزْ فدلـيلُ العقـلِ تقـصيرُ الأمـلْ

إنَّ مَـنْ يطلـبُهُ المـوتُ علـى غِـرّةٍ مـنهُ جديـرٌ بالـوجلْ

غِـبْ وزُرْ غِـبّاً تـزدْ حـباً فَمَـنْ أكثـرَ الـتردادَ أضـناهُ الملـلْ

خـذْ بنـصلِ الـسيفِ واتـركْ غِمْدَهُ واعتـبرْ فـضلَ الفـتى دونَ الحلـلْ

حـبُّكَ الأوطـانَ عجـزٌ ظاهـرٌ فاغتـربْ تلْـقَ عـنِ الأهـلِ بـدلْ

فـبمكثِ المـاءِ يبقـى آسـناً وسُـرى البدرِ بـهِ الـبدرُ اكـتملْ

أيهـا العائـبُ قـولي عبـثاً إنَّ طـيبَ الـوردِ مـؤذٍ بالجُعَـلْ

---

(١) هذا البيت غير موجود في بعض النسخ.

(٢) في نسخة: يصدر البيت بـ"مل" بدلاً من "غب".

(٣) في نسخة: "الظالم" بدلاً من "السلطان".

(٤) هذا البيت غير موجود في بعض النسخ.

(٥) هذا البيت غير موجود في بعض النسخ.

(٦) في نسخة: "المر" بدلاً من "المرء".

عدٌ عَنْ أسهمِ لفظي واستترْ ... لا يصيبنَّكَ سهمٌ مِنْ ثُعَلْ

لا يغرنَّكَ لينٌ مِن فتى ... إنَّ للحيّاتِ لينًا يُعتزَلْ

أنا مثلُ الماءِ سهلٌ سائغٌ ... ومتى سُخِّنَ آذى وقتلْ

أنا كالخيروزِ صعبٌ كسرُهُ ... وهْوَ لدْنٌ كيفما شئتَ انفتلْ[1]

غيرَ أني في زمانٍ مَنْ يكنْ ... فيهِ ذا مالٍ هوَ المولى الأجلْ

واجبٌ عندَ الورى إكرامُهُ ... وقليلُ المالِ فيهمْ يُستقلْ

كلُّ أهلِ العصرِ غمرٌ وأنا ... منهمُ فاتركْ تفاصيلَ الجملْ

وقال قبل موته بيومين

ولستُ أخافُ طاعوناً كغيري ... فما هوَ غيرُ إحدى الحسنيينِ

فإنْ متُّ استرحتُ من الأعادي ... وإنْ عشتُ اشتفتْ أذني وعيني

قد تم بحمد الله تعالى طبع هذا الديوان الفائق، الجامع لكل معنى رائق، عن نسخة جليلة بخط أحد الفضلاء المسمى أحمد بن مسعود النابلسي وهي نسخة مضبوطة بالحركات، حتى أنه ظهر من بعض ما رسم في حواشيها أن ناسخها كان شاعرًا أديبًا، فمن نظمه قوله:

آل يسار منهم غزال ... قلبي للقياه ذو افتقار

فخذ يمينًا عني عذولي ... فالقلب في جانب اليسار

كتب ذلك قبالة قول الناظم:

فقلت كل قلب ... يميل إلى اليسار

وقد بذل الجهد في تصحيحه، وترتيبه وتنقيحه، وذلك في مطبعة الجوانب[2] وكان ختام طبعه في غاية شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٠ هـ.

---

(١) يروى: "لين" بدلاً من "لدن"، وفي نسخة يروى هذا البيت بالتبادل مع الذي قبله.

(٢) في نسخة: الجوائب.




كم قد سبا الشعراءُ زخرفَ مقولي ٢٦٥